

# مغامرات "شهاكلبري فن"

تأليف

مارك توين

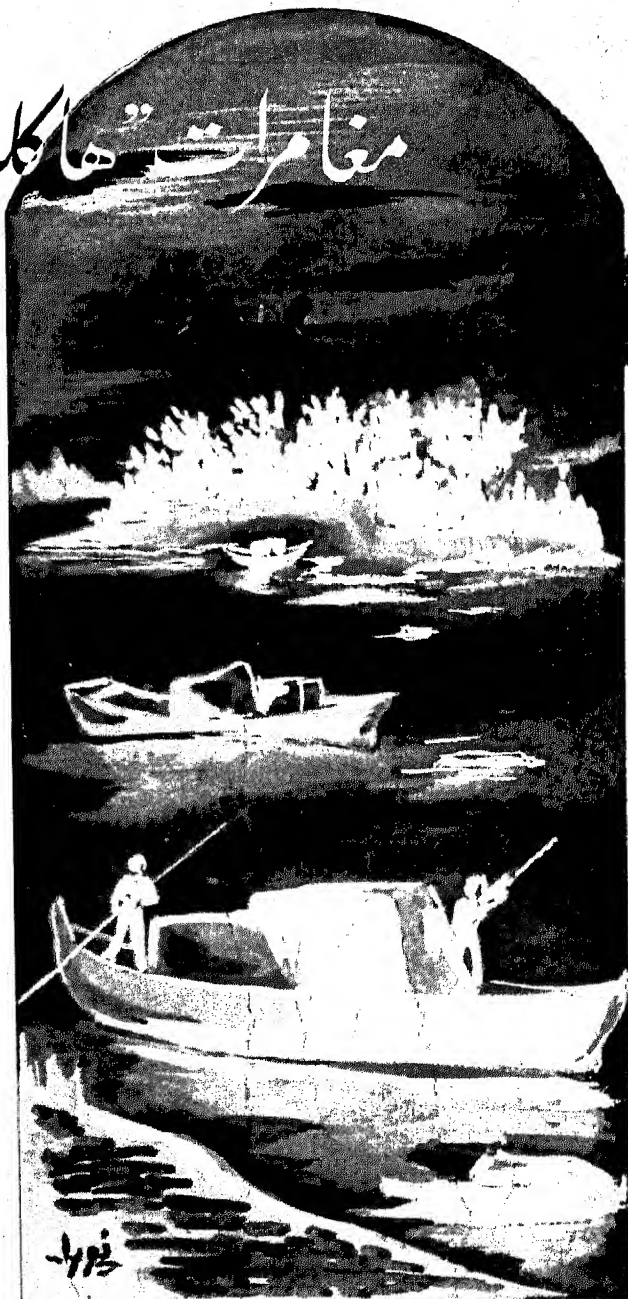


ترجمة

ماهر نسيم

مراجعة

فريد عبد الرحمن



١٩٧٥

الف كتاب

## مغامرات "هاكلبري فن"

(١٨٥)

بإشراف إدارة الثقافة العامة  
وزارة التربية والتعليم

هذا ترجمة لكتاب :

**The Adventures of HUCKLEBERRY FINN**

تأليف

*MARK TWAIN*

الإلف كتاب (١٨٥)

# مغامرات "هاكلبري فن"

تأليف

مارك توين

مراجعة

فريد عبد الرحمن

ترجمة

ماهر نسيم

الناشر

مكتبة مصر

٢ شارع كميل صدف (الجميلة)

دار مصر للطباعة

٢٧ (١١) شارع حسن مدني، القاهرة



## نبذة عن المؤلف

(( مارك توين ))

---

\* ولد عام ١٨٣٥ ، ووافته منيته عام ١٩١٠ بعد أن عاش خمسة وسبعين عاما .

\* كاتب عصامى ، بلغ مكانته المرموقة فى ميدان الأدب بعد جهد مرير وكفاح شاق طويل ، فقد اشتغل عاملا فى المناجم ومراسلا صحفيا ومحاضرا فى المعاهد .

\* اشتهر بسخريته اللاذعة ودعابته الحلوة التى توصل بها فى معالجة المشاكل الاجتماعية .

\* وضع عدة كتب أشهرها « توم سوير » - ظهر فى سلسلة (الآلف كتاب ) فى عام ١٩٥٦ - و « هاكلبرى فن » - التى نقدمها الآن - و « الحياة على نهر المسيسبى » عدا عدة كتب أخرى حظيت بتقدير النقاد فى كل مكان ، وترجمت الى عدة لغات أجنبية .

\* كاتب مصلح ، لم يخل أى كتاب له من محاولة لاصلاح المجتمع والقضاء على الادواء ، والمتالب الاجتماعية .

# تقديم

أصدرنا في عام ١٩٥٦ ، ضمن مجموعة « الألف كتاب » قصة ( توم سوير ) للكاتب الساخر « مارك توين » ، وهى قصة غلام تهفو نفسه الى المغامرة والمخاطرة وينبض قلبه بما ينبض به قلوب البشر عادة من حب وبغض ، وقلق وارتياح ، والمومرح ، وخذلان وانتصار ، ونورة على النفس ورضاء بالواقع .

ولقد اقتسم بطولة قصة « توم سوير » غلامان صغيران هما « توم سوير » المغامر المحظوظ ، و « هاكبرى فن » الفتى الشريد الضائع . ولقد أراد « مارك توين » ذلك لأنه أحب أن يجعل من هاتين الشخصيتين وحدة متماسكة تؤدى غرضاً واحداً هو معالجة مشاكل المجتمع معالجة صادقة ، ونقدها نقداً صارماً في وقت واحد .

وانتهت قصة « توم سوير » كما قد يذكر القراء ، بعثور الغلامين على كنز ثمين اقتسماه ، وعهد كل واحد منهما بنصيب منه الى أصدقاء كبار استثمروا لهما ذلك المال . وأصبح « هاكبرى فن » الفتى الشريد الضائع نجماً من نجوم المجتمع ، فقد آوته سيدة كريمة تناولته بالتثقيف والتهذيب ، وراحت تفرس فيه العادات الفاضلة والتقاليد الحميدة لى تجعل منه مواطناً صالحاً . ولكن « مارك توين » حينما أنهى قصة « توم سوير » على ذلك النحو ، كان قد اعتزم أن يتتبع حياة الغلامين مرة أخرى ، فيؤرخ

لهما بعد أن أصبحا شابين يافعين نريين ، ومن ثم قال فى خاتمة تلك القصة « وعند هذا الحد تنهى هذه القصة . وانه لمن الخير أن تنهى هنا ، لأنها لا تعدو أن تكون ترجمة حياة غلام هو توم سوير . . . ولو أن القصة مضت الى ما هو أبعد من ذلك ، لكان حتما أن تصبح ترجمة حياة رجل . فعندما يكتب المرء قصة عن أحد الراشدين ، فانه بدرك اين ينبغي له أن يتوقف . . . عند زواج ميلا . ولكنه حينما يكتب عن الأحداث ، فانه يحرس على أن يتوقف عن الكتابة عند أحسن خاتمة ملائمة . . . ان معظم الأشخاص الذين لعبوا ادوارا فى هذه القصة ما زالوا على قيد الحياة ، وهم ناجحون سعداء . وقد يأتى يوم ، يصبح من الأفضل فيه أن تستأنف رواية قصص هؤلاء الصغار مره أخرى ، لئرى أى طراز من الرجال والنساء صاروا ، ومن ثم فان الحكمة تقتضينا ألا نزيح الستر عن أى جزء من أجزاء حياتهم فى الوقت الحاضر » . على هذا النحو أنهى « مارك توين » قصة « توم سوير » ، ذلك أنه كان يجهد لقصته الأخرى « مغامرات هاكلبرى فن » التى تشرف اليوم بتقديمها الى القراء الكرام .

وواضح من خاتمة قصة « توم سوير » ، أن قصة « مغامرات هاكلبرى فن » هى تمة القصة الأولى ، ففى قصة اليوم ، يرسم « مارك توين » ما آل اليه « هاكلبرى فن » الفتى الشريد الضائع الذى أثرى بغتة وبطريق « المصادفة » .

ولئن كانت قصة « توم سوير » قد عالجت حياة غلامين صغيرين مغامرين لعب حب المغامرة بعقليهما فأشقاها وأشقى ذويهما فى بادئ الأمر ، ثم أسعدهما وأسعد ذويهما فيما بعد ، فان قصة « مغامرات هاكلبرى فن » تعالج حياة شابين يافعين تصطدم حياتهما بتقاليد المجتمع وأوضاعه ، ثم لا يلبث الخير المتأصل فى

نفسيهما أن يطفى على شرور المجتمع بحكم ما جبلت عليه النفس البشرية من خير طبيعي .

ولقد صور « مارك توين » البيئة التي تدور فيها القصة تصويرا رائعا كشف عن تقاليد تلك البيئة وعاداتها ، بكل ما تحفل به من أهواء ونوازع وخرافات وعادات موروثة . . . فهناك مشكلة الزنجى الذى لم يكن يحظى بالتقدير الملائم ؛ وهناك مشكلة الناس البسطاء الذين يؤمنون بالسحر والشعوذة والشياطين ؛ وهناك مشكلة الأب الضائع الذى غلبه الشر على أمره فراح يطارد ابنه ليسرق ماله وينفقه على ملذاته وشرابه ؛ وهناك مشكلة الفتاة العانس التى تقضى حياتها بين الكتب والكنيسة ؛ وهناك مشكلة الموظف البيروقراطى الكبير الذى يكتسب تقدير الناس له من طريق منصبه لا من طريق شخصيته وثقافته ؛ وهناك مشكلة الرجل الذى يتخذ من منصبه وسيلة لبلوغ ما يطمح اليه من مهابة ومجد ؛ وهناك مشكلة الفنئ الضائع الذى يضيق بالنظام والنظافة والحضارة ويحن الى حياته البدائية الأولى حرصا منه على الاستمتاع بحريته البدائية ؛ وهناك مشكلة الآباء والأمهات الذين يشقون بحياة أبنائهم الصغار ولا يملكون الا أن يستطيخوا هذه الحياة لأنها تجرى على هذا النحو دائما ؛ وهناك مشكلة الشبان الصغار الذين يشبون على تقاليد ومقاييس ومفاهيم فرضت عليهم فرضا ، ولم يعد فى وسعهم الا أن يرضخوا لها كما يرضخون للقدر دون أن يفهموا لها معنى فى بادئ الأمر . . . وهناك عشرات من المشاكل الاجتماعية الأخرى التى عاجلها « مارك توين » معالجة صادقة عامرة بالدعابة الحلوة التى لا تهدف الى مجرد التسلية بقدر ما تهدف الى الإصلاح الاجتماعى .

ولما كان « مارك توين » قد حرص على أن يكتب هذه القصة باللغة « الدارجة » لا الفصحى ، فقد قام بذهننا فى بادئ الأمر

أن ننقلها باللغة العربية « الدارجة » أيضا حتى لا تفقد شيئا من روعتها ، ولكننا عدلنا عن ذلك حتى لا نهبط بمستواها الأدبي ، وأن كنا قد تعمدنا أن نكون اللغة الفصحى التي نقلنا بها القصة الى العربية سهلة بسيطة لا هى بالمتحذلقه ولا هى بالعامية !!  
ولقد وقع اختيار ادارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم على هذه القصة بالذات لأنها تصور الحياة الانسانية تصويرا رائعا ، يستهدف الارتقاء بالذات والتطلع الى الامام وتغليب الخير على الشر مهما اشتدت قوة المؤثرات والمغريات .  
وفي الختام ، هذه لمحة خاطفة عن قصة « مغامرات هاكلبرى فن » التي نتشرف بوضعها بين أيدي القراء الكرام ، سائلين الله تعالى أن يوفقنا جميعا الى ما فيه الخير والتوفيق ، والسلام .

ماهر نسيم

فريد عبد الرحمن

## مغامرات هاكلبرى فن

### الفصل الأول

واطسون - نوم سوير فى الانتظار .  
تهذيب هاكلبرى - الانسية

\*\*\*

انك لن تعرفنى ايها القارىء الا اذا كنت قد قرأت كتابا بعنوان « نوم سوير » (١) ، وان كنت اعتقد الا اهمية لذلك ، فقد ألفا مستر « مارك توين » هذا الكتاب وضمنه جوهر الحقيقة ، ومع انه سمح لنفسه بان يبتدع بضع حقائق نسجها خياله ، فانه توخى الصدق بصفة عامة . وعلى أية حال ، فأننى لا اذكر اننى قابلت انسانا لم يكذب مرة أو اخرى ، ولست استثنى من ذلك « الحالة بولى » أو « الأرملة دوجلاس » وربما « مارى » . ولقد ذكر « مارك توين » كل شيء عن « الحالة بولى » - وهى خالة نوم - ومارى ، والأرملة دوجلاس فى هذا الكتاب . . وهو كتاب صادق فى مجموعه مع بعض الجنوح الى الخيال كما قلت من قبل .

(١) صدرت قصة « نوم سوير » ضمن مشروع الألف كتاب فى عام ١٩٥٦ ، ونشرتها مكتبة الانجلو المصرية - ترجمة ماهر نسيم ومراجعة فريد عبد الرحمن .

أما مجمل هذا الكتاب اذا كنت لم نقرأه فكما بلى :  
عشرت أنا وتوم ، على النقود التي أخفاها اللصوص في الكهف ، وبذلك  
أصبحنا في عداد الأثرياء ، فقد حصل كل منا على ستة آلاف دولار من  
الذهب . ولقد كان منظر الذهب منيرا للرهبنة عند ما كدسناه . .  
وتولى القاضى « فانشر » توظيف هذا المال لقاء فائدة ، فكان كل  
منا يحصل على دولار يوميا على مدار السنة ، وهو أكثر مما  
يستطيع الانسان انفاقه . واتخذت الأرملة دوجلاس منى ابنا ،  
وقررت أن نهذبني ، ولكنى ضقت بالحياة في منزلها بسبب صرامة  
النظام ، رغم ما كانت الأرملة نفسها تتصف به من دماثة خلق ،  
ومن ثم بادرت بالفرار ، حينما استعصى على احتمال صرامة النظام  
في منزل الأرملة ، فهربت ، وعدت الى ارتداء أسالي البالية ، والنوم  
في البراميل ، ولكن توم سوير استطاع أن يعثر على ، وقال لى انه  
قرر تكوين جماعة من المغامرين ، وأن فى استطاعتى ان انضم اليها  
بشرط أن أعود ثانية الى الأرملة وأن أكون رجلا محترما ، وهكذا  
عدت ! . . . .

وبكت الأرملة عند ما عدت اليها ، ووصفتنى باننى حملت تعس  
ضال ، كما أطلقت على أسماء أخرى كثيرة ، ولكنها لم تقصد من  
ذلك كله أية اساءة ، والبستنى تلك الشباب الجديدة مرة أخرى ،  
فلم يلبث العرق ان انسال من كل جسمى ، وشعرت باننى مقيد  
الحركة تماما . . . وهكذا استؤنفت الحياة القديمة ثانية ؛ وهى حياة  
مرهقة ، عليك أن تخضع لها ، فاذا ما دقت الأرملة الجرس لاعداد  
طعام العشاء ، كان عليك أن تعد نفسك لتناوله فى الوقت المحدد ،  
واذا ما جلست الى المائدة ، فانك لم تكن لتستطيع أن تنقض على  
الطعام فتلتهمه اتهاما ، وانما كان عليك أن تنتظر ريثما تحنى الأرملة  
رأسها وتتمتم ببضع كلمات عن ذلك الطعام ، وان كنت أعتقد أنه  
لم يكن هناك ما يدعو لذلك ، فقد كان كل لون من ألوان الطعام

يطلبه على حدة ، على حين أن البرميل الذى كنت أبحث فيه عن الطعام وأنا شريد ضال ، كان شيئاً آخر يختلف عن ذلك تماماً . . فهو يحتوى على فضلات عدة تختلط ببعضها ، ومنزج عصارها فتنتج شيئاً لطيفاً ! !

وكنت كلما شعرت بالرغبة فى التدخين ، وطلبت من الأرملة أن تسمح لى بذلك ، أجبت بالرفض ؛ فقد كانت تقول دائماً ان التدخين عادة ممقوتة غير نظيفة ينبغى لى أن أقلع عنها .

وكانت أختها الأنسة واطسون ، وهى عانس ترتدى عوينات ، فد وصلت لتوها لتقيم مع الأرملة ، فلم تلبث أن تولت امر تعليمى فى كتاب للتهجية ، وقضت قرابة ساعة وهى تعلمنى فى خسونة معتدلة ، ولقد طلبت منها الأرملة أن تتوقف لانى لم أستطع احتمال هذا العناية أطول من ذلك . تم مضت ساعة بغیضة كنت أثناءها كثير التمليل ، وكانت الأنسة واطسون لا تفتأ تقول لى « لا تضع قدميك هكذا عالياً يا هاكلبرى ! » . . « لا تنكمش هكذا يا هاكلبرى ! » . . « اجلس معتدلاً يا هاكلبرى ! » . . نم لا تلبث أن تقول : « لا تفتح فمك وتمدد هكذا يا هاكلبرى ! » . . « لماذا لا تحاول أن تتأدب يا هاكلبرى ! »

واستمرت الأنسة واطسون تنتقدنى ، فبدأت أشعر بالضيق والوحدة ، وبعد فترة من الوقت استدعى الزنوج وأقيمت الصلاة ، وأوى كل واحد منا بعدئذ الى فراشه ، أما أنا ، فصعدت الى غرفتى وأنا أحمل قطعة من الشمع وضعتها فوق المنضدة ، ثم جلست فوق مقعد بجانب النافذة ، وحاولت أن أفكر فى شىء سار ولكن عبثاً ، فقد شعرت بوحدة قاتلة جعلتنى أتمنى الموت . . كانت النجوم تتألق فى السماء ، وأوراق الأشجار تحدث حفيفاً حزيناً فى الغاب ، ولم ألبث أن سمعت نعيب بومة من بعد ، وكأنها كانت تنعى شخصاً قضى ، وأعقبه عواء كلب خيل الى انه كان يبكى من



أجل شخص يوشك أن يموت ، بينما كانت الريح تحاول أن تهمس الى بشيء لم استطع أن اتبينه ، ولهذا انتفضت فزعاً . . . وبعدئذ سمعت صوتاً صادراً من قلب الغاب اشبه بصوت تسبح يريد الافضاء بشيء يدور بخلده فلا يفهمه الناس ، ومن ثم فانه لا يستطيع أن يرقد مستريحاً في فبره ، ويضطر الى سلوك هذا المسلك عينه كل ليلة وهو يشعر بأعظم الحزن ! ولقد غاص قلبي بين ضلوعي ، واجتاحني وزع عظيم ، وتمنييت لو ان احداً كان معي ، وبعد قليل بدأ عنكبوت يزحف فوق كتفي فضربته ببدي ، فسقط فوق الشمعة ، وقبل ان اتمكن من انقاذه من النار احترق وانكمش ، ولم اكن بحاجة لان يذكرني احد بان ذلك نذير مرسوم !! وانتابني الفزع ، حتى لقد كدت انضو الثياب عني ، واسرعت بالوقوف ، ودرت على عقبى ثلاث مرات ، وانا ارسم علامة الصليب فوق صدري في كل مرة . وبعدئذ ربطت خصلة صغيرة من شعري بقطعة من الحيط كي اطرده السحرة عني !! ولكني لم اكن واثقاً من ذلك ، لأن المرء يفعل مثل هذا الشيء فقط عندما يفقد حدوة حصان ، كان ينبغي ان يدقها فوق الباب ! ولكنني لم أسمع ابداً ان مثل هذا الصنيع خليق بابعاد « النحس » عن شخص قتل عنكبوتاً !!

وجلست ثانية وأنا أنتفض بشدة . وبعد فترة طويلة ، سمعت ساعة المدينة البعيدة تدق اثنتي عشرة دقة . ثم ساد مرة أخرى صمت أشد كابة من ذي قبل ، وسرعان ما سمعت صوت غصن يتحطم في الظلام الذي كان يخيم على الأشجار ، فأدركت ان شيئاً ما يتحرك بين تلك الأشجار ، واصحخت السمع ، وما لبثت ان سمعت مواء متكرراً صادراً من قلب الظلام . وكان هذا نداء مثيراً ، مضيت أكرره بدوري بصوت رقيق قدر طاقتي ، وبادرت فاطفات الشمعة ، وتسلفت النفاذة الى سطح الحظيرة ، ثم انزلت الى الأرض وزحفت بين الأشجار ، ولم البث أن وجدت « توم سوير » في انتظارى . . . فقد كان « المواء » هو إشارة اللقاء .

## الفصل الثاني

الأولاد ينتهرون من جيم - جيم وجماعة  
توم سوير - خطط موضوعة بعناية .

\*\*\*

سرنا فوق أطراف أصابعنا في طريق تحف به الأشجار يؤدي  
الى مؤخرة حديقة منزل الأرملة ، ونحن نحرص على خفض رؤوسنا  
حتى لا تحتك أغصان الأشجار بها . وعند ما كنا يمر بالمطبخ ،  
تعثرت في جذر شجرة وأحدثت ضوضاء ، فأسرعنا نتمدد على  
الأرض وقد لدنا بالصمت ، وكان خادم الآنسه واطسون الزنجي ،  
واسمه جيم ، جالسا عند باب المطبخ ، وكان في استطاعتنا أن نراه  
بوضوح ، لأن ضوئا خافتا كان ينبعث من خلفه ؛ وما لبث الزنجي  
أن هب واقفا ومد عنقه الى الخارج زهاء دقيقة وهو يصيح السمع ،  
ثم صاح :

- من هناك ؟

وأصاخ الزنجي السمع فترة أطول من ذى قبل ، ثم أقبل يسير  
على أطراف أصابعه ، وتوقف بينى وبين توم ، غير بعيد منا ، حتى  
لقد كان في استطاعتنا ان نلمسه . ومضت دقائق ودقائق من  
الصمت الثقيل ، وأحسست بأن جسمي « ياكلني » في مكان  
قريب من ركبتي ولكنى لم أحكه ! ثم انتقل هذا الاحساس الى  
أذني ، ثم الى ظهري بين كتفي ، وخيل الى اننى سأموت اذا لم

أحك هذه المواضع كلها . والعجيب في الأمر اننى لاحظت ان هذا الاحساس انتابنى مرات كثيرة من قبل ، فانك حين تحاول النوم وأنت لا تشهر بالنعاس ، أو حين تكون في موقف لا يحسن بك فيه أن نحك أحد أجزاء جسمك ، لا تلبث أن تعاني الأمرين من « الأكلان » في آلاف المواضع !!

وبعد قليل قال جيم :

— من أنت ؟ وأين أنت ؟ اننى واثق من اننى سمعت صوتا . . . حسنا ، اننى أعرف ماذا ينبغي أن أفعل . سأجلس هنا وأصغى ريثما أسمع الصوت ثانية .

وهكذا جلس الزنجى على الأرض بينى وبين توم ، واستند بظهره الى جذع شجرة ، ومد ساقيه امامه حتى كادت احدهما تلمس ساقى ، وبدأ أنفى « يأكلنى » حتى لقد اغرورقت عيناي بالدموع ، ولكنى لم أحكه ولم أدر كيف استطعت احتمال هذا العذاب الذى ظل ما يقرب من ست أو سبع دقائق ، وان خيل الى أن المدة كانت أطول من ذلك ! ولقد كنت أعانى من « الأكلان » في أحد عشر موضعا مختلفا ، وأيقنت اننى لن أستطيع احتمال هذا العناء دقيقة واحدة أخرى ، ولكنى أطبقت أسناني ، وتهيأت لمحاولة الاحتمال بكل قوة ، وفي تلك اللحظة ، بدا جيم يتنفس بثقل ، ثم لم يلبث أن ارتفع شخيره . . . وفي التو شعرت بالراحة مرة أخرى .

وأنى « توم » بإشارة لى بأن أطلق من فمه صوتا كنا قد اتفقنا عليه ، وبدأنا نرحف فوق يدينا وركبتينا ، وعند ما أصبحنا على مبعدة عشرة أقدام من جيم ، همس « توم » قائلا انه يرغب في شد وثاق « جيم » الى الشجرة لمجرد اللهو ، ولكنى رفضت الموافقة على هذه الفكرة خشية أن يستيقظ الزنجى فيكتشف الجميع اننى لست بالمنزل ! وعندئذ قال « توم » انه لا يملك شموعا كافية ، وانه

سيستسل الى المطبخ ليحضر مزيدا من السموع ، فقلت له اننى لا اوافق على هذه المحاولة ، اذ يحتمل ان يستيقظ جيم ويفضح أمرنا ، ولكن « توم » قرر المجازفة ، فنسلنا الى المطبخ وحصلنا على ثلاث شمعات ، وترك توم قطعة نقود من ذات الخمسة السنتات ( ما يعادل قرشين ) فوق المنضدة نمنا للسموع ، ثم انصرفنا بعد أن غرقت في العرق لفرط لهفنى على مفادره ذلك المكان ، ولكنى لم أستطع أن أئنئ « توم » عن الزحف الى حيث كان « جيم » نائما ، فقد قرر أن يسخر منه . أما أنا ، فقد انتظرت ، وخيل الى أن وقتا طويلا قد مر قبل أن يعود « توم » ، وكان الكون هادئا صامتا ، يلقى بالوحشة والوحده في القلوب .

وما ان عاد « توم » حتى انطلقنا في الممر ، ثم درنا حول سياج الحديقة ، وسرعان ما بلغنا قمة تل شديد الانحدار على الجانب الآخر للمنزل ، وقال « توم » انه نزع قبعة « جيم » من فوق رأسه ، وعلقها على غصين فوق رأسه مباشرة ، ومع أن « جيم » تملل قليلا ، الا انه لم يستيقظ . . وفيما بعد قال « جيم » للناس ان السحرة سحروه ، وأفقدوه الوعى ، ثم ركبوه وطافوا به في أرجاء المدينة ، وأعادوه مرة أخرى الى مكانه تحت الأشجار ، وعلقوا قبعته فوق غصين ليدلوا على من فعل ذلك !! وعند ما ذكر « جيم » القصة في المرة التالية قال ان السحرة طافوا به حتى ولاية نيو أورليانز ! وكان كلما أعاد سرد قصته ، تبسط فيها أكثر فأكثر ، الى أن انتهى الأمر بقوله ان السحرة طافوا به العالم كله وأتعبوه الى درجة الموت ، وأحدثوا في ظهره عثرات «الدمامل» بسبب السرج الذى وضعوه فوق ظهره قبل أن يركبوه ! وكان جيم يزهو بذلك ويتفاخر ؛ وجعله هذا يتعاطم على غيره من الزوج . وكان كثيرون منهم يقطعون الأميال الطويلة لكي يستمعوا الى قصته ، فأصبح أشهر زنجى في البلاد كلها ! وكان الزوج

الغرباء يصنفون اليه بأفواه باغرة ، وهم يرمقونه بظرائهم . لما لو كان أعجوبة من العجائب ، ومع أن الزوج اعنادوا ان سجدوا عن السحرة في الظلام وهم جالسون حول نار المطبخ ، فان «جيم» كان كلما شرع احدهم في التحدث عن السحرة والسحر ، بصرخ في وجهه : « آه ... ماذا تعرف انت عن السحرة ؟ » وهكذا يرتج على الزوجى المتحدث ، ويضطر الى الانزواء ! ولقد حرص « جيم » على الاحتفاظ بقطعة النقود ذات السنتات الخمسة التي تركها « توم » فوق منضدة المطبخ معلقة في خيط حول عنقه . وكان يقول انها طلسم اعطاه الشيطان له بيديه . وقال له انه يستطيع شفاء اى شخص من علله واسقامه بهذا الطلسم . وانه في مقدوره ان يستدعى السحرة كلما اراد ذلك بتلاوة تعويذة معينة على هذا الطلسم ! ولكنه - اى جيم - لم يفض لاحد اطلاقا بما كان يقوله للطلسم ! وهكذا بدا الزوج يفدون من كل حذب وصوب لمقابلة جيم واعطائه كل ما معهم من نقود في مقابل القاء نظره على قطعة النقود ذات السنتات الخمسة . ولكنه لم يكن يسمح لهم بلمسها ، بحجة ان الشيطان قد وضع يديه عليها ! ! ولقد اضر ذلك كله بجيم كخادم ، اذ بدا الناس جميعا ينهرون منه ، لانه رأى الشيطان ، وسمح للسحرة ان يركبوه ! !

وأخيرا ، عند ما وصلنا الى حافة قمة التل ، تطلعتنا الى القرية البعيدة ، وكان فى استطاعتنا ان نرى ثلاثه او اربعة اضرواء متألثة ، لعلها كانت تنبعث من منازل قوم مرضى ، اما النجوم ، فكانت اشد ما تكون لمعانا فوقنا . وفى القرية اسفلنا ، كان يجرى نهر عرضه ميل كامل ، وكان هادئا وعظيما بشكل يثير الرهبة . وانحدرنا من فوق التل ، فوجدنا « جو هاربر » و « بن روجرز » و غلامين أو ثلاثة آخرين . وكانوا جميعا مختبئين فى فناء المدبقة ، وبعد قليل فككنا أحد القوارب ، وانطلقنا به فى النهر مسافة ميل

ونصف ميل الى ان بلغنا فجوة في جانب التل . وهناك هبطنا الى الشاطئ .

ومضينا الى دغل كثيف ، واستحلف « توم » الفلمان جميعا ان يحافظوا على السر . وبعدئذ أطلعهم على فتحة في التل الذى يقع في أشد أجزاء الدغل كثافة ، ثم أوقدنا الشموع وزحفنا داخل الفتحة فوق أيدينا وركبنا ، وبعد أن قطعنا ما يقرب من مائتى ياردة ، ألفينا أنفسنا عند فتحة كهف . وهنا راح يتلمس طريقه بين الممرات ، ولكنه سرعان ما اندفع أسفل جدار لم يكن فى استطاعتنا أن نلاحظ أن به فجوة . . وسرنا فى ممر ضيق الى أن بلغنا مكانا يشبه الغرفة . وكان المكان رطبا باردا ، وهناك توقفنا ، وقال توم :

— سنبدأ الآن عملنا كجماعة من المفامرين ! وسنطلق على أنفسنا اسم « جماعة توم سوير » ، وعلى كل من يريد الانضمام إليها أن يدلى بقسم ويكتب اسمه بالدم !

ولم يتردد أحد من الحاضرين فى الموافقة على ذلك . ثم اخرج « توم » رقعة من الورق كان قد كتب عليها صيغة القسم ، وقراها . وكانت هذه الصيغة تقضى بأن يقسم كل غلام على ألا يتخلى عن الجماعة ، وألا يبوح بأى سر من أسرارها ، وإذا أساء أى شخص الى فرد من أفراد الجماعة ، فان على أى غلام يؤمر بمقاطعة هذا الشخص وأسرته أن يفعل ذلك بلا ابطاء ، وعليه أيضا ألا يأكل أو يشرب حتى ينفذ الأمر . وإذا أفشى أحد أفراد الجماعة أسرارها ، فيجب أن يفصل منها ويشطب اسمه من القائمة ، ولا تذكره الجماعة بعد ذلك . . ثم تنساه الى الأبد !

ولقد ردد كل واحد منا هذا القسم بلهجة جدية ، ثم سألنا « توم » ان كان القسم من بنات أفكاره ، فقال ان بعضه من

صياغته . وانه اقتبس البعض الآخر من كتب المفامرين ومن صيغ القسم الذى كانوا يدلون به .

وقال البعض انه من الأفضل مقاطعة جميع أفراد عائلات الفلمان الذين يفشون الأسرار ! وقال « توم » انها فكرة حسنة ، نم أخرج قلما وأضاف هذه الفقرة الى صيغة القسم . وعندئذ قال « بن روجرز » :

— مهلا لحظة ، ان « هاكليرى فن » لا أسرة له ، فماذا ستفعلون به اذا أخطأ ذات يوم ؟  
فسأله توم سوير : أليس له أب ؟

— نعم ، ان له أبا ، ولكنك لا تستطيع العثور عليه في هذه الأيام ، فقد اعتاد أن ينام مع الخنازير في ساحة المدينة وهو مخمور . ولكن أحدا لم يره في هذه البقاع منذ عام أو أكثر .

وتناقش الانان في هذا الأمر ، وكادا يستبعدان « هاكليرى » من الجماعة بدعوى انه يجب أن يكون لكل غلام أسرة أو شخص يمكن مقاطعته ، لأنه ليس من العدالة أن يطبق المبدأ على الفلمان ذوى الأسر دون غيرهم . ولم يستطع أحد أن يفكر في مخرج من هذا المأزق . وجلس الجميع صامتين . أما انا ، فكنت على وشك البكاء . وفجأة خطرت لى فكرة للخروج من المأزق ، فقد عرضت عليهم مقاطعة الأنسة واطسون !! . فقال الجميع :

— أوه .. انها تكفى .. انها تكفى .. هذا حسن .. يستطيع « هاكليرى » ان ينضم الى الجماعة .

وغرس كل منهم دبوسا فى أصبعه ليسيل دما توقع به على الورقة ، فحدوت حدوهم .

وقال « بن روجرز » : والآن .. ماذا سيكون منحنى هذه الجماعة فى العمل ؟

فقال توم : لا شىء غير المغامرة التى لا تضر أحدا .

فقال « بن روجرز » : ولكن ماذا ستكون سبيل هذه المغامرة ؟

... و ...

فقاطعه « توم سوير » قائلا :

— سيكون أهم عمل لنا هو تعقب اللصوص وقطاع الطرق ؛  
فاذا ثبت لنا أنهم مجرمون حقاً ويسلبون الناس أموالهم وماشييتهم ،  
عملنا على استعادة هذا كله منهم ورده الى أصحابه ؛ اما عن  
طريق البوليس واما بطريق المفاجأة . . ولن يكون في ذلك اغتصاب ،  
فنحن لسنا مفتصبين ولا نحب الاعتداء على أحد . ولكن اذا ثبت  
أن من هؤلاء الخارجين على المجتمع قتلة وسفاحين ، ساعدنا  
البوليس على القبض عليهم وكف أذاهم عن الناس .

فاذا حدث أن قبضنا على بعض اللصوص ، ولم نر في اطلاق  
سراحهم ثانية ما يهدد المجتمع ، طالبنا اهاليهم بالفدية !  
— فدية ؟ وما هي الفدية ؟

— لست أدري ! ولكن هذا مايفعله المغامرون دائماً ! ولقد قرأت  
عن الفدية في الكتب . ومن ثم ، فهذا هو ما يجب علينا أن نفعله !!  
— ولكن كيف يمكننا أن نفعل ذلك ونحن لا نعرفه ؟

— مهما يكن من أمر ، فانه يجب علينا أن « نفعل » ذلك ! ألم  
أقل لك انه مذكور في الكتب ؟ هل تريد أن تأتي عملاً يخالف  
ما ورد في الكتب ، وأن تفسد كل مغامرتنا بذلك ؟

— أوه ، انها ولا شك آراء لطيفة يا « توم سوير » ، لكن كيف  
يمكن بحق السماء أن نفتدى هؤلاء الأشخاص ونحن لا نعرف  
كيف نتصرف حيالهم ؟ هذا هو ما أبغى معرفته . فماذا عساه  
أن يكون معنى الفدية ؟

— لست أدري . ولعل معنى الاحتفاظ بهؤلاء الأشخاص الى  
أن يفتدوا ، هو الاحتفاظ بهم الى أن يموتوا !!  
— لعل هذا هو التفسير الصحيح . . ولكن لماذا لم تقل ذلك



من قبل ؟ اذن سوف نحفظ بهم الى أن يفتدوا بالموت ! وليس من شك في أنهم سيسببون لنا مشاكل كثيرة ، فسوف بأكلون كل شيء ويحاولون الفرار دائما .

— ما هذا الذى تقوله يا « بن روجرز » ؟ كيف يستطيعون الفرار وهناك حراس يراقبونهم ولا يترددون في اطلاق النار عليهم اذا بدر منهم ما يدل على محاولتهم الهرب ؟

— حراس ؟ .. هذا عجب ! ! اذن ، فان شخصا ما سيسهر الليل بطوله ولن يطبق له جفن لكى يراقب الاسرى ؟ اعتقد ان فى ذلك حماقة . لماذا لا يلتقط الانسان هراوة و « يفتديهم » بمجرد مجيئهم الى هنا ؟ ! !

— لأن ذلك ليس مذكورا فى الكتب ! .. هذا هو السبب يا « بن روجرز » . هل تريد أن تعالج الأمور حسب النظام المتبع ام بطريقة مخالفة ؟ — هذه هى المسألة . . ألا تظن ان اولئك الذين وضعوا الكتب يعرفون الاجراءات الصحيحة التى ينبغي اتخاذها ؟ هل تظن « أنك » تستطيع أن تعلمهم شيئا ؟ كلا يا سيدى ! سوف « نفتدى » هؤلاء الأشخاص بالطريقة المتبعة . — على أية حال . . ان ذلك لا يهمنى ، وان كنت أعتقد انها طريقة تدل على حماقة ! . وهل نفتدى النساء أيضا ؟

— لا ، فان أحدا لم يقرأ عن مثل هذا فى الكتب ! ان الكتب تقول ان النساء ينقلن الى الكهف ، وانه يجب عليك أن تكون مهذبا معهم . فلن يلبث بعد فترة من الوقت أن يقعن فى حبك ، فتتلاشى رغبتهن فى العودة الى منازلهن ! !

— هذا جميل ! .. اذا كانت هذه هى الطريقة المتبعة ، فانى أوافق عليها ! ولكنى لا أؤمن بها ! فاننا لن نلبث ان نجد الكهف مكتظا بالنساء والرجال الذين ينتظرون الفدية ، ومن ثم فلن نجد

مكانا نلوذ به !.. ومهما يكن من أمر ، فقل ما تشاء ، فليس عندي ما أقوله .

كان «تومي بارس» الصغير قد استسلم للنوم في تلك الأثناء ، وعندما أيقظوه فملكه الفزع وبكى وقال انه يريد أن يذهب الى امه لانه لا يرغب في أن يكون مغامرا !

واخذ الجميع يسخرون منه ، وأطلقوا عليه اسم « الطفل الصغير » ، فجن جنونه ، وقال انه سوف يفشى جميع أسرارنا ، ولكن توم أعطاه خمسة سنتات ليمسك لسانه ، وقال أننا جميعا سنعود الى منازلنا ، على أن نتقابل ثانية في الأسبوع المقبل لنستأنف مغامراتنا . !!

وقال « بن روجرز » انه لا يستطيع مغادرة منزل أسرته كثيرا اللهم الا في أيام الاحاد فقط . ومن ثم طلب أن تبدأ الجماعة عملها في يوم الاحد التالي ، ولكن جميع الفلمان قالوا انه من النذالة أن يفعلوا ذلك في يوم أحد ! وهكذا بت في الأمر ، واتفق الجميع على أن يتقابلوا معا ، ويحددوا يوما للعمل في أقرب فرصة مستطاعة ، ثم انتخبنا « توم سوير » زعيما للجماعة و « جو هاربر » وكيلا لها . وعدنا الى منازلنا ، وتسلفت الحظيرة ، ثم تسملت من نافذة غرفتي قبل أن يطلع الفجر . وكانت ثيابي مبللة بالندى وملطخة بالأوحال ، كما كنت متعبا اشد التعب !

## الفصل الثالث

نظرة فاحصة - انتصار الخير - تمثيل دور المشاهرين  
- الجن - أكذوبة من أكاذيب « توم سميثير » .

وفي الصباح تعرضت لعملية فحص دقيق من الأنسة واطسون بسبب ما كانت عليه ثيابي من سوء حال ، ولكن الأرملة لم تنهرني ، وإنما نظفت ثيابي من الشحم والوحل ، وقد بدا عليها الأسف لأنني لم أحاول اصلاح أخلاقي ! وبعدئذ اصططحبتني الأنسة واطسون الى غرفة صغيرة حيث صلينا .! وقالت لي الأنسة واطسون انه ينبغي أن أصلي كل يوم حتى أستطيع الحصول على كل ما أطلبه في صلاتي ! ولقد جربت ذلك ، ولكن الصلاة لم تحقق لي أى مطلب ! فذات مرة حصلت على خيط سنارة ولكن بنسب شص ، وصليت ثلاث أو أربع مرات لعلني أحصل على شص ، ولكنني لم أستطع لأمر ما أن أحقق أمنيته بالصلاة !! ومرت الايام الى أن جاء يوم طلبت فيه من الأنسة واطسون أن تصلي نيابة عني ، ولكنها قالت لي انني أحقق ! بيد أنها لم تذكر لي سبب ذلك ، كما انني لم أستطع أن أفهمه حتى كبرت فعرفت قيمة الصلاة التي لم تستطع « الأنسة واطسون » أن تفهمني قيمتها في ذلك الوقت ، وكما كنت أحقق وأنا صغير . . لقد كنت أحدث نفسي قائلا : « اذا كان الناس يستطيعون الحصول على ما يريدون

بالصلاة فلماذا لا يستعيد « ويكون وين » النقود التى فقدتها فى  
تربية الخنازير ؟ ولماذا لا تستطيع الأرملة دوجلاس أن تسترد  
علبة « السعوط » الفضية التى سرقت منها ؟ ولماذا لا تستطيع  
الآنسة واطسون أن تزيد من وزنها ؟ « وعندئذ أيقنت أنه ليس  
فى الامكان أن يحقق الانسان أمنيته بالصلاة ! وذهبت الى الأرملة  
وقلت لها رأى ، فقالت ان الشئ الذى يستطيع الانسان الحصول  
عليه من الصلاة هو « الهبات الروحية » لا الهبات المادية ! !  
ولما كان المعنى الذى قصده من ذلك غامضا على ، فقد مضت  
تفسره لى قائلة انه يجب على أن اساعد الناس وأن أفعل كل  
ما فى طاقتى من أجلهم وأن أترقبهم طوال الوقت وألا أفكر اطلاقا  
فى نفسى ! ! ولقد فهمت انها توجه هذه النصائح الى الآنسة  
واطسون أيضا ! ! . وخرجت الى الغاب مرة أخرى ، وقضيت  
وقتا طويلا وأنا أقلب ما سمعته من الأرملة فى رأسى ، ولكنى  
لم أستطع أن أتبين له أية ميزة اللهم الا ايتار الآخرين ! ومن ثم  
فقد قررت فى النهاية ألا أزعج نفسى بالتفكير فى مثل هذه الأمور ! !  
وكانت الأرملة تنتحى بى ناحية منعزلة فى بعض الأحياء وتحديثى  
عن القدر بطريقة تسيل لعاب الانسان ، ولكن الآنسة واطسون  
كانت لا تلبث أن تحدثنى فى اليوم التالى حديثا يحو الأثر الذى  
تركه حديث الأرملة فى نفسى ! لذلك بدأت أعتقد أن هناك قدرين ،  
وان الانسان يستطيع أن يرتاح الى قدر الأرملة ، فاذا ما تولت  
الآنسة واطسون زمام امره ، ضاع كل شئ ! وفكرت فى الأمر  
بامعان ، وقررت أن أنتمى الى القدر الذى تتحدث الأرملة عنه ،  
وان كنت لم أستطع أن أدرك كيف يمكن أن يكون القدر أحسن  
مما كان من قبل ، وأنا غلام جاهل لا حول لى ولا قوة ! ! . أما

بعد أن كبرت وما عقلت واتسعت مداركي ، فقد عرفت من أمر  
القدر ما عرفت من أمر الصلاة .

\*\*\*

وكان قد انقضى عام كامل دون أن يرى أحد أبى ، ولهذا كنت  
أحس براحة شديدة لأننى لم أكن راغبا في رؤيته مرة أخرى ،  
لأنه اعتاد أن يسيء الى كلما تخلص من سيطرة الخمر وأمكنه أن  
يظفر بى ، مع اننى كنت أحرص دائما على الاختفاء منه في الغاب  
كلما استطعت الى ذلك سبيلا . ولقد سمعت من بعض الناس  
أنهم عثروا على غريق في النهر على مبعدة اثني عشر ميلا من  
القرية ، وان هذا الغريق الذي عثر عليه كان في قوام أبى تقريبا ،  
وكان يرتدى أسملا بالية مثله ، وله شعر مسترسل بشكل غير  
عادى مثل أبى الذي كان يترك شعره يطول بشكل غير عادى ،  
ولكن الناس لم يستطيعوا تمييز وجه الغريق لأنه بقى وقتا طويلا  
في الماء فضاعت معالمة تماما . وقالوا انه كان طافيا على ظهره  
فانتشلوه ودفنوه على الشاطئ . ولم يدم ارتياحى طويلا لأن  
خطرا طرا على بالى فأزعجنى . فقد كنت أعلم تمام العلم أن  
« الرجل » الغريق لا يطفو على ظهره ، وإنما يطفو على وجهه !!  
ومن ثم أدركت أن الغريق لا يمكن أن يكون أبى ، وإنما كان امرأة  
في ثياب رجل !! وهكذا انتابنى القلق من جديد ، وأدركت أن أبى  
لن يلبث أن يظهر ثانية في أحد الأيام مع اننى كنت أتمنى من كل  
قلبي الا يفعل !!

وقضينا حوالى شهر ونحن نقوم بمغامراتنا ، ثم استقلت من  
الجماعة ، وفعل الغلمان مثلما فعلت ، لأننا لم نقم بأية مغامرة ذات  
بال ، وإنما اكتفينا بالتظاهر والادعاء بأننا مغامرون ! فقد كنا  
ندفع خارجين من قلب الغاب ، ثم نتظاهر بالانقراض على

اللصوص ، وعلى قطعان الخنازير المسروقة ، ولكننا لم نستطع أن نحقق بصفة عملية حلما من هذه الأحلام ! وكان « توم سوير » يطلق على الخنازير اسم « الذهب ! » وعلى اللفت اسم « الجواهر » ! وكنا نعود بعد ذلك الى الكوخ حيث نتحدث ضاحكين عما فعلناه . وعن عدد اللصوص الذين قبضنا عليهم ، وعن الخنازير التي أعدناها الى أصحابها ، ولكنى لم أتبين اننا ربحنا شيئا على الإطلاق ! وذات مرة ، أرسل « توم سوير » غلاما يحمل شعلة وهو يعدو في المدينة ، وكان يطلق على ذلك اسم « الشعار » ! وكانت تلك هى العلامة المتفق عليها لجمع أفراد الجماعة ، فلما التأم شملها قال « توم سوير » انه تلقى من جواسيسه معلومات سرية مؤداها أن مجموعة كبيرة من اللصوص سيعسكرون في كهف « هولو » فى اليوم التالى ، وأن معهم مائتى فيل وستمائة جمل وأكثر من ألف دابة من دواب الحمل وكلها محملة بالماس . وأن اربعمائة لص يتولون حراسة هذه القافلة الكبيرة ، ولذلك فان فى استطاعتنا أن ننصب لهم فخا . . ! وقال أيضا أنه يجب علينا أن نشخذ سيوفنا ونعد بنادقنا للعمل . ومع انه لم يستطع أن يطارد احدى المركبات المحملة باللفت ، فقد أصر على اعداد السيوف والبنادق للعمل ! وكانت هذه السيوف والبنادق تتكون من عصى المكائس ! وكان علينا أن ننظفها بكثرة الحك ، فتضاءلت وأصبحت عديمة الجدوى ! ولم أصدق اننا سنستطيع أن نقضى على مثل هذا الحشد الكبير من اللصوص ، ولكننى كنت تواقا الى مشاهدة الجمال والفيلة ! ولذلك حرصت على أن أكون فى « الكمين » فى اليوم التالى ، وكان يوم أحد ! وعند ما صدر الينا الأمر ؛ اندفعنا الى خارج القاب وانحدرنا من فوق التل ولكننا لم نجد لصوصا ولا جمالا ولا فيلة ، وكل ما وجدناه ، جماعة من صفار التلاميذ والتلميذات فى رحلة مدرسية ! ! وأفسدنا الرحلة ؛

ورحنا نطارد الصفار حتى كهف « هولو » ، صادرين فى ذلك عن  
السذاجة التى يتصف بها الأطفال أمثالنا دائما . بيد اننا لم نحصل  
من وراء ذلك الا على قليل من الفطائر والمربى ، وان كان « بن  
روجرز » قد استطاع أن يحصل على دمية من القماش ، بينما  
حصل « جو هاربر » على كتاب دينى وكراسة ! وسرعان ما خف  
المدرس الى مطاردتنا ، فاضطررنا الى التخلّى عن كل ما استولينا  
عليه ثم هربنا ! وهكذا لم أر ذهباً أو ماساً ، ولما قلت ذلك لتوم  
سوير قال انه كانت هناك اكداى منه على كل حال ، كما قال  
انه كان هناك لصوص وفيلة وأشياء أخرى ! فسألته : لماذا لم  
نرها اذن ؟ فأجاب بأن ذلك سببه جهلى ، لأنى لم أقرأ كتاب  
« دون كيشوت » ! !! فلو أننى قرأته لعرفت كل شىء ، ولما كنت  
بحاجة الى القاء هذه الأسئلة عليه ! وأضاف أن كل شىء يحدث  
بالسحر ! ثم قال ان هناك مئات من الجمال والفيلة فضلاً عن  
الكنوز ، الا أن لنا أعداء أطلق عليهم اسم السحرة ، أحالوا كل  
شىء الى أطفال مدرسة من مدارس الأحد بدافع من الحقد ، فقلت  
له : اذن فان ما يجب أن نفعله هو أن نلجأ الى السحرة ! . وعندئذ  
قال « توم سوير » اننى جاهل عقيم التفكير !! . وأردف : ان فى  
استطاعة الساحر أن يدعو اليه عددا كبيرا من الجن ، وهؤلاء  
يستطيعون القضاء عليك قبل أن تتمكن من النطق باسم « جاك  
روبنسون » ! ! انهم طوال كالأشجار ، ضخام كمبنى الكنيسة .  
فقلت : ولنفرض اننا استطعنا أن نطلب من بعض هؤلاء الجن  
مساعتدنا ؟ ألا نستطيع بذلك أن نتغلب على الجماعة الأخرى ؟ .  
فقال : وكيف يمكننا أن نصل اليهم ؟  
فقلت : لست أدرى . . كيف يتصلون هم بهم ؟

---

(١) صدرت قصة « دون كيشوت » ضمن مجموعة الألف كتاب .

فقال : انهم يملكون مصباحا عتيقا أو خاتما حديديا ، يحكه نه  
فيندفع الجن اليهم ، بعد فرقة كفرقة الرعد وضوء كالبرق  
الحافظ ، وتحيط بهم سحب كثيفة من الدخان ، ولا يترددون في  
تنفيذ كل ما يطلب منهم ! ان هؤلاء الجن قادرون على اتيان أى شىء .  
قلت : ومن الذى يجعلهم يجيئون على هذه الصورة ؟ .

قال : أى شخص يملك المصباح أو الخاتم ، ان هؤلاء الجن  
يصبحون خدما مطيعين لأى شخص يحك المصباح أو الخاتم ، كما  
انهم مرغمون على تنفيذ كل ما يطلبه منهم ، فاذا طلب منهم  
صاحب المصباح أو الخاتم أن يشيدوا قصر طوله أربعون ميلا من  
الماس الخالص وأن يملأوه « باللبان » أو أى شىء يريد ، وان يأتوه  
بأبنة أحد الأباطرة الصينيين ليتخذ منها زوجة ! فانهم يلبون الأمر  
بلا معارضة أو ابطاء ، بحيث يتم كل شىء قبل شروق شمس  
اليوم التالى ! وأكثر من ذلك انهم يشيدون هذا القصر فى أية بقعة  
يختارها من المدينة ! هل فهمت ؟

فأجبت : أكبر الظن أن هؤلاء الجن أغبياء لأنهم لا يحتفظون  
بالقصر لأنفسهم بدلا من أن يشيدوه لغيرهم ! فلو أننى كنت  
واحدا منهم ، لما لبيت نداء أى شخص يحك مصباحا قديما من  
الصفيح !! بل لو اننى كنت واحدا من هؤلاء الجن ، لتخليت عن  
عملى !

— انك تهرف يا هاكلىرى .. انك ستكون مضطرا للمجئء  
كلما حك انسان المصباح سواء أردت ذلك أم لم ترده !

— ماذا تقول ؟ هل أكون طويلا كالشجرة ، ضخما كمبنى  
الكنيسة ، وانصاع لأمر شخص ما ؟ ! وحتى اذا رضخت لأمره ،  
فسوف أجعل مثل هذا الشخص يتسلق شجرة تفوق أية شجرة  
وجددت فى البلاد ارتفاعا وطولا !!



— هذا سخف .. من العبث التحدث معك يا هاكبرى ، فان  
رأسك فارغ أجوف !!  
وفكرت فيما سمعته من « توم سوير » يومين أو ثلاثة ،  
وقررت أن أتأكد مما اذا كان في قوله هذا شيء من الصدق ،  
فحصلت على مصباح قديم من الصفيح وخاتم حديدي ، وذهبت  
الى القاب وأخذت أحكما الى أن أنسال العرق من جسمي  
بغزارة وأنا أعلل النفس بتشديد قصر أبيعه بعد تشييده ، ولكن  
جهدى ذهبت أدراج الرياح ، اذ لم يأت أحد من الجن ، وعندئذ  
أيقنت ان كل ما سمعته من « توم سوير » لم يكن الا اكذوبة من  
اكاذيبه التي لا ينضب لها معين !!  
وأيقنت كذلك انه يؤمن بالخرافات والسحر ، ولم أسمح لنفسى  
بأن أؤمن بمثل هذه الخرافات !!

## الفصل الرابع

التقدم ببطء (( ولكن بثقة )) -  
هاكلبرى والقاضى - خرافة .

---

مضت ثلاثة شهور أو أربعة ، تم أقبل النساء ومضى منه شطر طويل ! وكنت أقضى معظم وقتى فى المدرسة ، فتعلمت القراءة وبعض مبادئ الكتابة أيضا ، كما استظهرت ستة أسطر من جدول الضرب ، فكنت أستطيع أن أقول مثلا ان  $6 \times 7 = 42$  ! ولكننى كنت واثقا من اننى لن أستطيع أن أذهب الى ما هو أبعد من ذلك حتى ولو عشت الى الأبد ، فقد كنت لا أهضم مادة الحساب !!

ولقد نفرت من المدرسة فى بادئ الأمر ، ولكننى لم ألبث أن ألفتها بمرور الوقت ، وكنت كلما استولى التعب على لعبت الهوكى ، فأشعر بالانتعاش والمرح فى صباح اليوم التالى ، وهكذا كنت كلما مضت الأيام وكثر ترددى على المدرسة ازداد اطمئنانا وارتياحا إليها ، كما اننى ألفت أسلوب الأرملة فى الحياة حد ما ، رغم ما كنت أشعر به من ضيق أحيانا من جراء الحياة فى منزل نظيف والنوم فوق سرير ! ولهذا دأبت ، قبل حلول فصل الشتاء ، على التسلل من المنزل والنوم فى الغاب ! وكان ذلك يتيح لى ارتياحا عظيما لأننى كنت لا أزال أحن الى حياتى

القديمة ! واذا بدأت آلف الحياة الجديدة بعض الشيء . كانت الارملة تقول اننى اُتقدم ويُيدا ولكن بتقّة ، وان سلوكى أصبح يدعو للارتياح ! وحدث ذات صباح ان اصطحبت يدى بوعاء الملح فسقط وتنشرت محتوياته ، وعندئذ أسرعت أمد يدى ، والتفتعت قليلا منه ، ألقيته من فوق كتفى الأيسر لاطرد النحس عنى . ولكن الأنسة واطسون سبقتنى الى ذلك وزجرتنى قائلة : « ابعد يديك يا هاكلىرى ! انك تفسد كل شىء دائما ! » وتدخلت الارملة فامتدحتنى ، ولكن مديحها هذا لم يطرد النحس عنى ! ومن تم فما كدنا نفرغ من تناول طعام الافطار حتى غادرت المنزل وانا قلق مضطرب ، اتساءل : أين سيدهمنى النحس ؟ واية كارثة تلك التى ستحقيق بى ؟ . ومع اننى كنت أعلم ان هناك عدة وسائل أخرى لابعاد بعض أنواع النحس ، فقد كنت واثقا من أن نكبتى لن تكون قابلة للتجنب ، ولذلك لم أحاول أن افعل شيئا لدرئها ، واكتفيت بالترقب والانتظار وأنا منهار معنويا !!

ومضيت الى الحديقة الأمامية فتسلقت سياجها العريض . وكانت الأرض مغطاة بطبقة حديثة من الجليد سمكها بوصة ! وسرعان مارأيت آثار أقدام فوقها . وكان من الواضح ان صاحب هذه الآثار قد أقبل من المحجر وتريث قليلا عند الدرج المؤدى الى السياج تم استقله وراح يدور حول سياج الحديقة . وبدا لى أن هذا الرجل الغريب لم يدخل الحديقة بعد ان وقف خارجها هذه الفترة الطويلة . ولم أستطع أن ادرك جليلة الأمر ، واثقنت أن فى الأمر ما يدعو للفرابة ، وكدت اتعقب هذه الآثار ، فانحنيت أتأملها أولا ، ولكنى لم لاحظ شيئا فى البداية ، غير اننى لم البث أن تبينت أن هناك رسم صليب محفورا فى الجليد فى اتر حذاء القدم اليسرى ، وكنت أعلم أن هذا الصليب يتخذ دائما وسيلة لطرده النحس والشيطان !!

واستويت واقفا في الحال ! ومضيت أهبط السياج على عجل  
وأنا لا أفتأ أطلع ورأى من فوق كفى ، ولكنى لم أر أحدا ،  
وانطلقت أركض دون أن أتوقف حتى بلغت منزل القاضى تاتشر .  
واستقبلنى الرجل قائلا : لماذا تلهث هكذا يا بنى ؟ هل جئت فى  
طلب ما حققته نقودك من ربح ؟

فأجيب : لا ياسيدى ... هل أستحق بعض الربح ؟  
— نعم ، انك تستحق اليوم ربح نصف عام ... أكثر من مائة  
 وخمسين دولارا ( رايالا ) ... انها تروة كبيرة يجمّل بك أن  
تستمرها مع الستة آلاف دولار التى تملكها ، لأنك أن أخذت هذا  
الربح ستبدده وتنفقه !

فقلت : لا يا سيدى ، اننى لا أريد انفاقه ، بل اننى لا أريده على  
الاطلاق، بل ولست أريد الستة الآلاف الدولار أيضا !! لقد وهبتك  
هذا المال يا سيدى ... أعنى الستة الآلاف الدولار أيضا !  
— ماذا تعنى يا بنى ؟

فقلت : أرجو ألا تلقى أية أسئلة على ... خذ المبلغ كله ....  
ألا تفعل ؟

فقال : حسنا ... اننى فى حيرة ... هل مسك ضر ؟  
— أرجوك أن تأخذه ، ولا تطلب منى تفسيراً لذلك حتى  
لا تضطرنى للالتجاء الى الكذب .

فتأملنى مليا ، ثم قال :  
— اكبر ظنى أننى فهمت ... انك تريد أن تبيعنى كل ماملك !!  
انها فكرة سليمة !

ثم كتب بضع عبارات على رقعة من الورق وقرأها على ....  
وقال :

— اسمع ، لقد كتبت « مبايعة » ، ومعنى ذلك اننى اشتريت

أملاكك منك ، ودفعت لك منها . . . اليك دولارا ، ووقع هدد الوثيقة .

ووقعت الوثيقة ، وانصرفت .

واذ كنت أعرف أن « جيم » الزنجى خادم الأنسة واطسون كان يحتفظ بكرة في حجم قبضة اليد اقتطعها من معدة نور . وكان يستعملها في السحر والشعوذة بحجة أن بداخلها روحا تعرف كل شيء ، فقد ذهبت اليه في تلك الليلة وقلت له أن أبى عاد ثانيا . واننى تبينت أنار قدميه فوق الجليد ، واننى أريد أن أعرف ماذا ينبغى أن أفعل ، وما الذى سيقوله ؟ وأخرج جيم الكرة وهمس لها تم رفعها وتركها تسقط على الأرض ، فتدحرجت قليلا ثم تبتت في مكانها ! وكرر « جيم » ذلك مرة ثانية ثم نالته ولكن الكرة كانت تتدحرج في جميع المرات الى بوصة أو اثنتين ثم تتوقف . وعندئذ ركب « جيم » فوق ركبتيه والصق أذنه بالكرة وأصاح السمع ولكن بدون جدوى ! قال جيم ان الكرة ترفض الكلام ! وأضاف انها لا تتكلم في بعض الأحيان الا بنقود ! فقلت له اننى أملك ربع دولار قديم مزيف لا يصلح لشيء لأنه مصنوع من النحاس . وان كان مغطى بطبقة من الفضة وأخرى من النحاس والقذار ! ولم أذكر له شيئا عن الدولار الذى أعطانى إياه القاضى ! ثم أضف أن قطعة النقود التى معنى لا تصلح لشيء ولكن من الجائز أن تقبلها الكرة لأنها لن تعرف انها مزيفة !! وأخذ « جيم » قطعة النقود وشمها ، وقضمها بأسنانه ثم حركها ، وأخيرا قال انه سيجعل الكرة تعتقد انها قطعة نقود صحيحة لا غبار عليها ! ثم أضف بأنه سيشق ثمرة بطاطس إيرلندية ثم يضع قطعة النقود في الشق ويحتفظ بها على هذا النحو طوال الليل . حتى اذا ماحل صباح اليوم التالى اختفى النحاس ، وطبقة النحاس والقذار المتراكمة فوقها ، وبذلك يمكن تداولها بسهولة ! ولقد كنت أعلم من

فبيل أن البطاطس تستطيع أن تفعل ذلك ولكنى كنت قد نسيت ذلك فى تلك اللحظة .

ووضع « جيم » قطعة النقود تحت الكرة ثم رقع فوق ركبتيه وأصاخ السمع مرة أخرى ، وفى هذه المرة قال أن الكرة لم تعارض ، وأنها مستعدة لأن تكشف لى عن مستقبلى اذا شئت ، فطلبت اليه أن يفعل ذلك ، وتحدثت الكرة الى « جيم » ، ونقل « جيم » الى ما قالته . . .

قال : ان أباك لا يعلم بعد ما سيفعله ، فهو يقول أحيانا انه سيرحل ولكنه يعود فيقول انه سيبقى ، وخير ما يمكن أن تفعله هو أن تهون عليك وتدع الرجل العجوز يمضى حينما يحلوه له ، أن هناك ملاكين يحومان حوله ، أحدهما أبيض متألق والآخر أسود اللون ، أما الملاك الأبيض فيحاول أن يهديه الى السبيل السوى ، ولكن الملاك الأسود لا يلبث أن يتدخل فى الأمر ويفسد كل شىء ، ولهذا لا يستطيع أحد أن يقول أى الملاكين هو الذى سينتصر فى النهاية ، أما أنت فلا خوف عليك ! صحيح أنك ستواجه كثيرا من المتاعب فى حياتك ، ولكنك ستفوز أيضا بكثير من المتع ، وست « ا » مرة بأذى ، وتعرض أحيانا ، ولكنك ستبرأ من مرضك فى كل مر وستؤثر فى حياتك فثانان ، أحدهما شقراء والأخرى سمراء ، أحدهما ثرية والأخرى فقيرة ، وستتزوج الفقيرة أولا ، ثم تتزوج الثرية ! ويجب عليك أن تتجنب الماء قدر طاقتك ، وأن تكف عن المغامرة لأنك ان لم تفعل سيكون مصيرك الشنق ! !

وعند ما أشعلت شمعدانى وصعدت الى غرفتى فى تلك الليلة ، وجدت أبى بلحمه ودمه جالسا هناك ! !

## الفصل الخامس

والد هاكبرى - الأب المحب - نحو الإصلاح . .

أغلقت الباب ورأى ، ثم استدرت ، فالفيته هناك ! ولما كنت قد اعتدت أن أخشاه دائما لدأبه على أيدائي ، فقد ركبني الخوف في تلك اللحظة ، ولكنى لم ألبث أن تجلدت وصمدت بعد أن انحسر أثر المفاجأة الأولى عني ، ثم لم ألبث أن أيقنت اننى لم أعد أخشاه .

كان أبى فى حوالى الخمسين من عمره ، وإن كان منظره يوحي بأنه أكبر من ذلك كثيرا . وكان شعره طويلا مسترسلا ملطخا بالقاذورات المختلطة بالعرق ، وكانت عيناه تتألقان من وراء شعره الأسود الفاحم الذى لا أثر للشيب فيه ، كذلك كان سالفاه قائمى اللون لم يدب فيهما الشيب ، أما وجهه فكان لا لون له ! بل لقد كانت ثمة بقع بيضاء تشير الاشمزاز والقشعريرة منتشرة فوق وجهه كله ، وكانت ملابسه أسمالا بالية . . . وكان يضع احدى ركبتيه فوق الأخرى ، أما الحذاء الذى ينتعله فكان ممزقا ، وقد برزت من مقدمه بعض أصابعه التى كان يحركها بين الحين والحين ! وكانت قبعته العتيقة السوداء اللون التى تأكل الجزء العلوى منها ، ملقاة على الأرض !

ورحت أتأمله مليا ، كما تأملنى بدوره وقد مال بمقعده قليلا الى الورا ، ووضعت الشمعدان فوق المنضدة ، ولاحظت أن النافذة مفتوحة ، فأدركت أنه تسلل الى الغرفة عبرها بعد أن

تسلىق الحظيرة ، وظل يصعدنى بنظره بعض الوقت ثم لم يلبث أن قال :

— يا لها من ملابس منسأة ، منسأة جدا . . . أغلب الظن أنك تعتقد أنك الآن شخص عظيم . . . أليس كذلك ؟  
— ربما نعم . . . وربما لا .

فقال : اننى لا أسمح لك بمثل هذا التهمك . . . لقد تماديت فى سخافاتك منذ أن تركتك ! ولكن اعلم اننى سوف أقضى على مظهرك هذا قبل أن أصفى حسابى معك ! انهم يقولون أنك أصبحت شخصا متعلما تعرف القراءة والكتابة ! ولا شك أنك تظن الآن أنك صرت أفضل من أبيك لأنه لا يعرف ما تعرف . . . ولكن أعلم اننى سأجعلك تكف عن القراءة والكتابة . . . قل لى ، من الذى جعلك تتورط فى مثل هذه الحماقات ؟ من قال أنك تستطيع أن تفعل ذلك ؟ . .

— انها الأرملة . . .

— الأرملة ؟ ومن الذى قال للأرملة انها تستطيع أن تقحم نفسها فيما ليس من شئونها ؟  
— لم يقل أحد ذلك لها .

— حسنا ، سأعلمها عقبي التدخل فيما لا يعنيهها . . . والآن اصغ الى . يجب عليك أن تكف عن الذهاب للمدرسة . . . هل تسمعى ؟ سأعلم هؤلاء الناس أى اثم يرتكبون بتعليمهم الابن كيف يتعاطف على أبيه ! . . . حذار أن أراك تتسكع حول هذم المدرسة ، هل سمعت ؟ ان أمك لم تكن تعرف القراءة والكتابة قبل أن تموت ! وأنا أيضا لا أستطيعهما ، بينما تتعاطف أنت هكذا وتبهاى ! اننى لست بالرجل الذى يستطيع احتمال مثل هذا الوضع ، هل تسمعى ؟ دعنى أسمعك وأنت تقرأ .  
فالتقطت كتابا وبدأت أقرأ شيئا عن الجنرال « واشنطون »



والحرب ، وما كدت أفرا حوالى نصف دفيقة ، حتى انزع ابى الكتاب من يدى وقذف به بعيدا وقال :

— اذن فقد كانوا صادقين ... فهانذا أراك تقرا ... لقد ساورتنى الريب عند ما تحدثت الى ، والآن اصغ الى ... عليك أن تكف عن كل هذه السخافات لأننى لن أسمح لك بها ، واذا ضبطتك عند هذه المدرسة ، سأضربك ضربا موجعا ... ثم لقد علمت أنك بدأت تدرس الدين ايضا ! هل هذا صحيح ؟ يا لله .. اننى لم أسمع طيلة حياتى عن ابن فعل ما تفعل الآن !  
والتقط صورة صغيرة تصور قطيعا من البقر وغلاما باللونين الأزرق والأصفر وسال :

— ما هذا ؟

— انها جائزة منحونى اياها لأننى استذكرت دروسى جيدا .  
ومزق أبى الصورة وقال :

— سأعطيك شيئا أفضل منها .. سأعطيك جلد بقرة !!  
وبقى ملازما مكانه وهو يحدجنى بنظرة صارمة ويتمتم بكلمات غير مفهومة ...

وأخيرا قال : ألا تعتقد أنك غلام معطر مغال فى التائق ؟ فراش ، وأغطية للفراش ، ومرآه ، وسجادة فوق الأرض ، بينما ينام أبوك مع الخنازير فى ساحة المدينة !! ... اننى لم أر ابنا كهذا ، وأراهن أننى سوف أجردك من بعض هذه الأناقة قبل أن انتهى من تصفية الحساب معك ... اننى لا أرى نهاية لموقفك السخيف هذا ! لقد سمعتهم يقولون أنك ثرى ... فكيف حدث ذلك ؟  
— أنهم كاذبون فيما يقولون .

— اصغ الى ، يجب أن تخاطبنى بلهجة مؤدبة ، لقد احتملت وقاحتك أكثر مما أطيق ، فلا تحاول خديعتى ! لقد انقضى على يومان فى المدينة ، وسمعت الناس جميعا يتحدثون عن نرائك ، ولم

أقابل أحدا على طول النهر الا وحدثني عن ذلك ، وهذا هو السبب  
في مجيئي ، فعليك أن تحضر لى هذه النقود غدا ، فأننى بحاجة  
اليها ..

— ولكنى لا أملك مالا يا أبى !

— هذا كذب .. ان ثروتك مودعة عند القاضى تاتشر ، فعليك  
ان تستردها ، لأننى أريدها .

— اننى لا أملك نقودا كما قلت لك .. اذهب وسل القاضى  
تاتشر ، وسيقول لك ما أقوله .

— حسنا ، سأسأله ، وسأرغمه على الكلام ... أخبرنى كم  
معك من نقود ؟ اننى فى حاجة اليها .

— ان معى دولارا واحدا فقط ... وأنا بحاجة اليه أيضا ..

— ان حاجتك اليه لا تهمنى .. هات هذا الدولار !

واختطفه من يدي ، وعضه بأسنانه ليتأكد من أنه غير زائف ،  
ثم قال انه سيذهب الى المدينة ليحتسى بعض الشراب لأنه لم  
يحصل على كأس واحدة طوال النهار ، وعند ما تسلل من النافذة  
الى الحظيرة ، عاد فأدخل رأسه من النافذة ثانية وراح يؤنبنى  
ويعيرنى بأناقتى ويلومنى لأننى أحاول ان اكون أحسن حالا منه ،  
وعند ما ظننت انه انصرف ، عاد فأدخل رأسه من النافذة مرة  
أخرى وأوصانى بأن أذكر ما قاله لى عن المدرسة لأنه سوف يكمن  
لى هناك ويفتك بى ان عصيت امره ، ولم أكف عن الذهاب الى  
المدرسة .

وشرب أبى حتى ثمل فى اليوم التالى ، وذهب الى منزل القاضى  
تاتشر ، وحاول التأثير عليه للحصول على المال ، ولكنه لم ينجح ،  
وعندئذ أقسم أن يلجأ الى القانون ليرغمه على تسليم الثروة له .  
ولجأ القاضى تاتشر والأرملة الى المحكمة ليحصلوا على حكم  
بانتزاعى من أبى وتعيين أحدهما وصيا على ، الا أن قاضى المدينة

كان حديث عهد بها لسوء الحظ ، ولم يكن يعرف حقيقة أبى . ولهذا قال انه ينبغي ألا تتدخل المحاكم فى أمر كهذا خشية القضاء على الروابط العائلية ، كما أنه ينبغي ألا يحرم أب من ابنه . . ومن ثم فقد اضطر القاضى والأرملة الى التخلّى عن الاحتكام الى القانون .

ولقد سر ذلك أبى أيما سرور ، وقال انه سوف ( يسلم ) جلدى اذا لم اعطه بعض المال ، فاضطرت الى اقتراض ثلاثة دولارات من القاضى تاتشر ، اعطيتها له . . . وبعد أن ملأ أبى معدته بالخمر . راح يتسكع هنا وهناك وهو يصخب ويعربد . وظل يتجول فى انحاء المدينة الى أن انتصف الليل تقريبا ، وعندئذ قبض رجال البوليس عليه وأودع السجن ، وفى صباح اليوم التالى قدم للمحاكمة وحكم عليه بالسجن أسبوعا ، ومع ذلك فقد قال انه سعيد غابة السعادة لأنه أصبح المهيمن على ابنه وانه سوف يؤدبه حسبما يريد . .

وعند ما أفرج عن أبى ، قال القاضى الجديد انه سينولى أمره ليجعل منه رجلا صالحا ، ثم أخذه الى منزله والبسه ثيابا لطيفة نظيفة ، وجعله يتناول طعام الافطار والغداء والعشاء مع الأسرة . وبعد أن فرغ الجميع من تناول طعام العشاء أول ليلة ، تحدث القاضى الى أبى عن التعفف والاعتدال وما شبابه ذلك حتى بدأ أبى يبكى ويقول انه كان غبيا وانه أضاع حياته سدى ، وانه يتعهد بأن يحيا حياة جديدة وأن يكون رجلا لا يخجل احد منه ، وأعرب عن أمله فى أن يساعد القاضى لتحقيق هذه الغاية . ولا يشمئز أو يخجل منه ، وانشرح صدر القاضى وزوجه ، فتأثرا لذلك أشد التأثر . وقال أبى ان الناس كانوا يسيئون دائما فهمه ، فقال القاضى انه يصدقه . وعندئذ قال أبى ان ما يحتاج اليه رجل يتردى فى وهدة الشر هو العطف . فأمن

القاضي على قوله . وعند ما حان موعد النوم نهض أبى وبسط يده للقاضي قائلا :

- أنظروا الى هذه اليد أيها السادة والسيدات وصافحوها ! لقد كانت يد خنزير ولكنها لن تصبح كذلك منذ الآن . . انها يد رجل بدأ حياة جديدة ، ولن يعود الى حياته القديمة ولو كان جزاؤه الموت . . سجلوا هذه الكلمات على ولا تنسوا اننى نطقت بها . . انها يد نظيفة ، فصافحوها ولا تخافوا !

وهكذا صافحوه جميعا وهم فى أشد حالات التأثر . بل لقد قبلت زوجة القاضي يده ، وهنا قال القاضي ان تلك هى أقدس لحظة مرت به ، وقادوا أبى الى غرفة جميلة كانت الأسرة قد أعدتها للزائرين ، وعند ما تقدم الليل ، شعر أبى بظما شديد الى الشراب فتسلىق النافذة ثم أخذ طريقه الى المدينة حيث رهن سترته الجديدة مقابل بضع كؤوس من الخمر ! وعند ما حصل على كفايته من الخمر ، كان الفجر قد بدأ يتنفس ، فأسرع عائدا الى منزل القاضي وهو يترنح من فرط ما شرب من خمر . وعند ما شرع يتسلىق بوابة المنزل سقط من فوقها فانكسر ذراعه فى موضعين وأغمى عليه . وعند ما عنروا عليه بعد شروق الشمس ، كانت أطرافه شبه متصلبة !!

وأغضب القاضي مسلك أبى ، حتى لقد خيل اليه أن السبيل الوحيد لاصلاحه هو اطلاق النار عليه !!

## الفصل السادس

مقاضاة القاضى تاتشر - هاكلبرى يقرر  
الرحيل - التفكير فى الأمر - الاقتصاد  
السياسى - الضرب على غير هدى .

---

استرد أبى صحته سريعا ، واستأنف نشاطه ! وما لبث ان لجأ الى المحاكم مطالبا القاضى تاتشر باعطائه النقود ، كما شرع فى مطاردنى لاننى لم أكف عن التردد على المدرسة . ولقد ظفرتى مرتين ، ضربنى ضربا مبرحا ، ولكنى مع ذلك لم أكف عن الذهاب للمدرسة ، وكنت أتحدث لقاء أبى أو أهرب منه اذا رأيته . والواقع اننى لم أكن أحب الذهاب الى المدرسة رغبة فى العلم ، وإنما فقط أردت أن أغضب أبى ، أما الدعوى القضائية فكانت بسيطة للغاية ، حتى لقد خيل الى انها لن تبدأ على الإطلاق ، ولهذا كنت مضطرا الى اقتراض دولارين أو ثلاثة دولارات من القاضى تاتشر بين الحين والحين لأعطيها لأبى لئى أتجنب تعذيبه لى . وكان أبى كلما حصل على النقود ، أفرط فى احتساء الخمر ، وأثار زوبعة من الصخب فى المدينة ، وفى مثل هذه المناسبات كان المسئولون يودعون السجين ، ولكن هذه المعاملة لم تكن لتضيق أبى لأنها كانت تلائمه وتتلاءم مع طبيعته .

وأكثر أبى من التسكع حول منزل الأرملة ، وأخيرا قالت له المرأة انها ، اذا لم يكف عن ازعاجها ، سوف تسبب له كثيرا من

المتاعب ! ولم يفرغ ذلك أبى ، فقد كان ملتاثا . . فقال لها انه سوف يريها من هو ولى أمرها كبرى فن ! وراح يتحين الفرص الى أن تمكن من اقتناصى فى يوم من أيام الربيع ، وأرغمنى على ركوب القارب معه . وبعد أن قطعنا حوالى ثلاثة أميال فى النهر ، عبرناه الى « شاطئ النوى » حيث تقوم غابة كثيفة لا يوجد بها منازل اللهم الا كوخا عتيقا مشيدا من كتل خشبية ضخمة . وكان هذا الكوخ محجوبا تماما عن العيون ، فلا يستطيع أحد معرفة مكانه الا اذا كان يعرف ذلك سلفا !

واستبقانى معه طوال الوقت ، فلم تتح لى فرصة للهرب ، وهكذا عشنا فى هذا الكوخ العتيق . وكان أبى يعلق الباب بالمفتاح ويضع المفتاح تحت رأسه أثناء الليل ، وكان يتسلح ببندقية سرقها من أحد الأشخاص ، وكنا نصطاد السمك والطيور البرية ونطعم بما نصطاد . وكان أبى لا يفتأ يسجننى فى الكوخ بين آونة وأخرى ، ويذهب الى المدينة لي جلب المؤن مستقلا القارب ، فيبيع السمك والطيور التى نصطادها مقابل الحصول على مايبغى من شراب ، فاذا ما عاد أخذ يعب الشراب عبا ، حتى اذا ما لعبت الحمر برأسه انهال على ضربا ، ولقد استطاعت الأرملة أن تعرف المكان الذى سجننى أبى فيه ، فأرسلت رجلا ليحاول انتزاعى من برائنه ، ولكن أبى اضطره الى الرحيل بعد أن هددته باطلاق النار عليه . . وانقضى على ذلك وقت طويل ، حتى بدأت آلف حياتى الجديدة واطمئن إليها ، لولا ما كان ينالنى من أذى أبى بين الحين والحين .

وكانت حياتى هناك حياة خمول وتراخ ، فكنت أقضى يومى كله ما بين نوم وتدخين وصيد . . فلا كتب ولا دراسة ! ومضى شهران أو أكثر ، فتمزقت ثيابى حتى تحولت الى أسمال بالية ملطخة بالأوحال والقاذورات ، ولم أستطع أن أدرك حينذاك كيف

كنت أحتمل الحياة الرتيبة النظيفة المضنية في منزل الأرملة حيث كان يتعين على أن أغتسل وأن أتناول طعامي في طبق ، وأن أمشط شعري ، وأن آوى الى فراشي واستيقظ من نومي في مواعيد منتظمة ، وأن أزعج رأسي باستذكار الدروس ، واحتمال مضايقات الأنسة واطسون طوال الوقت !! . وشيئا فشيئا أدركت اننى لا أرغب في العودة الى هذا المنزل مرة أخرى ، وبعد أن كنت قد كففت عن استخدام الألفاظ غير المهذبة التى لم تكن الأرملة تحب سماعها ، فقد أصبحت استخدم هذه الألفاظ لأن ابى لم يكن يستنكرها . . وهكذا بدأت استمتع بالحياة في القاب . . . ولكم ندمت على ذلك فيما بعد . فالبيئة السيئة هى التى حملتنى على ذلك !

وتمادى أبى في اينائى حتى بلغ السيل الزبى . ولم استطع احتمال اضطهاده وقسوته ، فقد اعتاد أن يكتر من التغيب عن الكوخ بعد أن يسجننى بداخله ، ولقد سجننى ثلاثة أيام ذات مرة ، فشعرت بقسوة الوحدة ، بل لقد ظننت انه غرق واننى لن أخرج من سجنى ، وتولانى الفرع ، وقررت أن أبحث لى عن مخرج ، وكنت قد حاولت الخروج من الكوخ مرات عديدة ولكن بدون جدوى ، لأنه لم تكن بالكوخ نافذة كبيرة تكفى لأن يتسلل كلب منها ، كما اننى لم أسنطع أن أتسلل من « ماسورة » المدفأة لشدة ضيقها . وكان باب الكوخ مصنوعا من كتل سميكة من خشب البلوط ، كما أن أبى كان يحرص على الا يترك في الكوخ سكيناً أو أية أداة حادة أثناء غيابه . ولقد فتشت الكوخ أكثر من مائة مرة بحثا عن أداة تصلح لفتح فجوة في جدار الكوخ ولكنى منيت بالفشل ، الا اننى نجحت في هذه المرة ، فقد عثرت على منشار قديم بلا مقبض بين لوحين خشبيين من الواح السقف ، فشحذته ! وكانت بالكوخ « بطانية » عتيقة مثبتة في الجدار خلف

المنضدة لتحول دون تسرب الهواء من السقوق التي تتخلل الكتل الخشبية ، وتسلك أسفل المنضدة ورفعت « البطانية » ورحلت « أنشر » كتلة الخشب لكي أحدث فجوة تكفى لخروجي . . ولقد كانت مهمة مضمينة شاقة ، ولكنى مضيت فيها بدأب وصبر حتى كدت أنمها ، غير اننى اضطررت الى التخلي عن العمل عند ما سمعت صوت طلقات بندقية أبى فى الغاب ، فأسرعت أنخلص من كل ما عساه أن يفضح امرى ، فوضعت « البطانية » فى مكانها ، كما خبات المنشار . وبعد قليل ، كان أبى يدخل الكوخ !

وكان أبى ضيق الصدر محنقا فى ذلك اليوم . واقد قال لى انه كان فى المدينة ، وأن الأمور تسير من سيىء الى اسوأ ، فمع ان محاميه أكد له انه سيربح القضية ويحصل على النقود اذا بدأت المحكمة نظر الدعوى ، فان الحكم فى القضية تأجل أمدا طويلا ، لأن القاضى تاتشر ، وهو الخصم ، يعرف شتى الألعاب القضائية . وأنصاف أبى ان الناس قالوا له أن الأرملة ستلجأ بدورها الى القضاء معاللة بانتزاعى منه ، وتعيينها وصية على ، وانهم سينقدون انها ستوفق فى ذلك هذه المرة ! ولقد أفرغنى سماع هذا النبا فزعا شديدا لأننى لم أكن راغبا فى العودة الى منزل الأرملة حيث اخضع لقسوة المدينة والحضارة كما كانوا يطلقون عليها ! ثم بدأ أبى يسب وينتمم ، كل شىء وكل انسان يخطر على باله ، وأعاد سبهم مرة أخرى ليستوثق من أنه لم ينس أحدا ، ثم فقد سيطرته على أعصابه فازداد سبا ولعنا ، وشمل سبابا أشخاصا وهميين ، واستمرت ثورة غضبه الجائحة هذه فترة طويلة .

واخيرا قال انه يود أن يعرف كيف ستمكن الأرملة من انتزاعى منه . وأنصاف انه سيكون لهم بالمِرصاد ، فإذا حاولوا خداعه فإنه سوف ينقلنى الى مخبأ سرى يعرفه على مبعدة ستة اميال



أو سبعة ، تم يدعهم يبحنون عنى حنى يصيبهم الياس فيكهر  
عن البحث ! ولقد جعلنى قوله هذا أشعر بالقلق ، ولكن هذا القلق  
لم يدم طويلا ، لأننى كنت موقنا انى لن أبقى طويلا فى قبضة أبى .  
وأمرنى أبى أن أذهب الى القارب لاحضار الاشياء التى جلبها  
من المدينة ، وهى جوال من الدقيق زنته خمسون رطلا . وفخذة  
من اللحم ، وملح ، وبعض الذخيرة ، ووعاء سعة اربعة جالونات  
مملوء بالشراب ، وكتاب قديم ، وصحيفتان الف الأشياء ، ولقافة  
من حبال القنب !! . وجمعت بعض هذه الأشياء معا ، ثم جلست  
عند أحد جانبي القارب لأستريح ، ومضيت أفكر فى الموقف ،  
فخطر لى أن أهرب حاملا معى البندقية وبعض « سنارات »  
صيد السمك ، وأن ألوذ بالغاب أول الأمر على الا ائزم مكانا  
واحدا ، وانما أتجول فى طول الغاب وعرضه وبخاصة أثناء الليل ،  
فاضطاد الطيور والسمك لأقتات بها ، وهكذا اختفى عن أبى  
والأرملة معا !! وقدرت انه سيكون فى استطاعتى أن أنتهى من  
عملية « نشر » كتلة الخشب والتسلل من الكوخ فى تلك الليلة اذا  
ثمل أبى كعادته دائما ، ولقد جعلنى اسفراقى فى التفكير انسى مرور  
الوقت . وهكذا ظلت شارد الفكر ، الى أن سمعت أبى يصيح  
متسائلا ما اذا كان قد غلبنى النوم على أمرى أم ابتلعنى الماء  
ففرقت !!

ونقلت الأشياء جميعها الى الكوخ . وكان الظلام قد بدأ يرخى  
سدوله فى تلك الأثناء ، وبينما كنت أعد طعام العشاء شرب أبى  
كأسا أو اثنتين من الخمر فدبت الحرارة فى أوسالة ، وانحلت عقدة  
لسانه ، فقال انه قضى وقته فى المدينة وهو مخمور ، حتى لقد  
سقط فى حفرة مملوءة بالقاذورات والأوحال نام فيها طوال الليل ،  
وفى الصباح كان منظره يبعث على الاشمئزاز لأنه كان ملوثا بطبقة  
من الوحل ! . وكان أبى كلما احتسى الخمر ولعبت برأسه ، راح

يسب الحكومة لأنها لا تهىء له فرصة العبث !. ولقد قال لى  
فى تلك الليلة :

— هل تدعوها حكومة ؟ تأمل نوع هذه الحكومة ! ها هو القانون  
يقر حرمان رجل من ابنه !!.. نعم حرمان رجل من فلذة كبده ،  
رغم ما لاقاه من عناؤ وقلق وما أنفقه من مال فى سبيل تنشئته ..  
نعم ، عند ما انتهى هذا الرجل أخيرا من تربية ابنه ، وأعدده للعمل  
والإنتاج حتى يمكنه من الراحة ، يقف القانون ليحول بينهما ويحرم  
الأب من ابنه .. وهم بعد ذلك يقولون أنها حكومة !! وليس هذا  
هو كل شيء ، فان القانون يسند القاضى الكهل تاتشر  
ويساعده على حرمانى من ممتلكاتى !!! هذا هو ما يفعله  
القانون ... ان القانون يرغم رجلا تزيد بروته على  
سنة آلاف دولار على السكنى فى جحر عتيق كهذا الذى أعيث  
فيه ، ويدعه يتجول وهو يرتدى ثيابا لا تصلح لحزير ! وهم بعد  
ذلك يقولون أنها حكومة !! ان الانسان لا يستطيع الحصول على  
حقوقه ما دامت الحكومة القائمة كهذه !! ولهذا فأنى أفكر أحيانا  
فى الرحيل عن هذه البلاد .. نعم ، لقد قلت لهم ذلك ! قتله  
لتاتشر العجوز فى وجهه ! ولقد سمعنى الكثيرون وأنا أقول ذلك ،  
وفى استطاعتهم أن يذكروه ! لقد قلت اننى أتمنى مغادرة هذه  
البلاد وعدم الاقتراب منها ثانية .. كما قلت لهم : أنظروا الى  
قبعتى — ان كنتم تعتبرونها قبعة — ! ان غطاءها قابل للارتفاع  
بينما تهبط جوانبها حول عنقى الى أسفل ! انها ليست قبعة على  
الإطلاق ! أنظروا اليها .. أنظروا الى هذه القبعة التى أضطر الى  
ارتدائها رغم اننى سأصبح واحدا من نراة المدينة اذا استطعت  
الحصول على حقوقى !!.. نعم ، انها حكومة مدهشة !!..  
مدهشة !!.. اصغ الى يا بنى .. لقد رأيت هناك زنجيا من  
اوهايو يكاد يشبه الرجل الأبيض فى كل شيء .. لقد كان يرتدى

قميصا ناصع البياض ، فضلا عن قبعة شديدة اللمعان ، وبذا:  
لايملك مثلها أى رجل فى هذه المدينة ، وساعة ذهبية ذات ساسلة .  
وعصا ذات رأس من الفضة !.. صفوة القول انه أنرى كهل فى  
الولاية .. فماذا تظنه ؟ لقد قالوا انه استاذ فى احدى الكليات  
وانه على علم بجميع اللغات ، ويعرف كل شىء ! وقالوا ايضا انه  
يستطيع ان يدلى بصوته فى الانتخابات فى الولاية التى ينتمى  
اليها ! ولقد أثارنى ذلك ، وبدأت اتساءل عن مصير هذه البلاد !  
وأخذت الكلمات تتدفق من فم أبى وهو يسير فى الكوخ ، فلم  
يلاحظ الى أين كانت قدماه المرتعشتان تقودانه ، وتعتبر فى وعاء  
لحم الخنزير المملح ، وسقط فوقه ، وراح بسبب ويستمر باقذر  
الكلمات وأكثرها بذاءة ، وكان معظم سبابه وتشتائمه منصبا على  
الزنجى والحكومة ، وان كان بعض السباب قد انصب على الوعاء  
الذى تعتبر فيه ! وراح يعطل فترة حول الكوخ باحدى قدميه ،  
ثم بالقدم الأخرى وهو يمسك تارة باحدى ساقيه ثم بالأخرى .  
وأخيرا ، وعلى حين بفتة ، ازداد هياجه ، فركل وعاء لحم الخنزير  
بقدمه اليسرى ، ولكنه أخطأ التقدير ، لأنه نسى ان حذاءه مهزق  
من الأمام وأن أصابعه تبرز منه . وفى التو صرخ صرخة مدوية  
وقف لها شعر رأسى ، ثم سقط ، وتدحرج على الأرض وهو  
ممسك بأصابع قدمه ، والسباب ينهال من فمه على كل شىء !! .  
وبعد العشاء ، التقط أبى إبريق الخمر ، وقال ان به ما يكفى  
للشراب مرتين أو يزيد ، فقدرت انه سوف يصبح ثملا خلال  
ساعة ، وعندئذ استطيع أن اسرق مفتاح الكوخ منه ، او امضى  
فى « نشر » الجدار الخشبي وأخرج من الفجوة التى سآحدنها .  
ومضى أبى يعب الخمر عبا ، ثم تهاوى فوق « البطاطين » . ولم  
يحالفنى الحظ ، لأن أبى لم يستغرق فى نوم عميق ، وأما كان قلقا

مضطربا ، فراح يناوه ويتقلب على جانبيه فترة طويلة من الوقت ،  
وأخيرا دب النعاس فى جفونى ، ولم أستطع الاحتفاظ بعينى  
مفتوحتين ، فاستسلمت للنوم قبل أن أدرك ذلك ، وتركت  
الشمعدان موقدا ! !

ولست أدرى كم مضى على من وقت وأنا نائم ، ولكنى سمعت  
فجأة صرخة مروعة ايقظتنى من نومى والفيت أبى أمامى ، وكان  
شديد الهياج ، ينب فى كل مكان ، ويصرخ فزعا من نعايين زعم  
انها تزحف صاعدة فوق ساقيه ! ثم لم يلبث أن وثب وصرخ  
وصاح قائلا ان تعبانا عضه فى خده ! ولكنى لم أستطع ان أرى  
نعايين . وانتفض أبى ، وراح يعدو حول الكوخ وهو يصرخ فزعا  
ويصيح « ابعده عنى، ابعده ، انه يعضنى فى عنقى . . » والواقع اننى  
لم اكن قد رأيت من قبل رجلا تمثل الرعب فى عينيه مثلما تمثل فى عينى  
أبى فى تلك اللحظة ، ولكنه سرعان ما استنزف قواه ، وسقط على  
الأرض لاهثا ، وراح يتدحرج المرة بعد الأخرى ، وهو يركل  
الأشياء بقدميه ، ويضرب الهواء بقبضتيه ، وصرخات الفزع  
تنطلق من حنجرتيه ، ثم لم يلبث أن صاح قائلا ان الشياطين  
تطارده وتلاحقه . وبعد قليل تملكه الاعياء ، فخمدت حركته بعض  
الشيء ولكنه لم يكف عن التآوه . وسرعان ما كف عن الصراخ بل  
عن الكلام ، فاستطعت أن اسمع أصوات نعيب اليوم وعواء  
الذئاب صادرة من قلب الغاب . وكان صداها مفرعا ، أما أبى ،  
فقد ظل ممددا فى ركن الكوخ ، ثم رفع رأسه قليلا ، وأصاخ  
السمع وقد مال رأسه ، ثم قال ببطة شديد :

— انى اسمع وقع أقدام . . انهم الموتى . . لعلهم قادمون فى  
طلبى ، ولكنى لن اذهب معهم . . انهم هنا . . لا تلمسونى . .  
لا تفعلوا . . ارفعوا أيديكم لأنها باردة . . اذهبوا . . دعوا  
الشيطان التعس وشأنه .

وراح يزحف على الأرض وهو يتوسل اليهم أن يدعوه وشأنه .  
ثم لف نفسه في « بطانيته » وتدرج حتى استقر تحت المنضدة  
وهو لا يزال يتوسل ، ولكنه سرعان ما انفجر باكيا . واستطعم  
أن أسمع صوت بكائه من خلال « البطانية » .  
وبعد قليل ، نهض من تحت المنضدة وتب واقفا على قدميه  
وقد بدت عليه أمارات القسوة والوحشية ، وماكادت عيناه تقعان  
على ، حتى انقض على ، ولكنى راوغته ، فبدأ يطاردنى حول  
الكوخ ، وقد شهر سكيناً في يده ، ومضى يدعونى « ملاك الموت »  
ويقول انه سيجهاز على حتى لا أحاول القضاء عليه ، أما أنا ، فقد  
نملكنى الفرع ورحت أتوسل اليه أن يدعنى وشأنى ، فانا لست  
إلا هاكلى ابنه !! ولكنه أطلق ضحكة شيطانية ، وزجر ، وشتم ،  
ومضى يطاردنى ، ثم اندفع نحوى فجأة وانقض على ، ولكنى أفلت  
من تحت ذراعه ، فأمسك بسترى من عند عنقى ، وعندئذ خيل  
الى اننى أصبحت من الهالكين ، ولكنى بادرت بالانزلاق من السترة  
بسرعة البرق، وبذلك أنقذت نفسى من موت محقق ، وسرعان ما دب  
الاعياء فى أوصال أبى فتهالك على ظهره فوق الأرض عند الباب .  
وقال انه سيستريح دقيقة ثم يقتلنى ، ووضع سكينه تحت راسه ،  
وأردف قائلاً انه سينام ليسنرد قوته ثم يرى بعدئذ أينما الأقوى !!  
وسرعان ما دب النعاس فى جفونه . وعندئذ نقلت المقعد بهدوء  
الى الجانب الآخر من الكوخ ، وتسليقته وأنا اتحاشى أحداث اية  
ضوضاء ، وأنزلت البندقية ، وبعد أن فحصتها وتأكدت من انها  
محشوة ، وضعتها فوق برميل اللفت وقد سددت فوهتها الى أبى ،  
وجلست خلف البرميل فى انتظاره حتى يستيقظ ، الا أن الوقت  
كان يمر ببط شديد ممل . . . وبعد قليل غلبنى النوم !

## الفصل السابع

---

في موقف التبرص - سـجـين في  
الكوخ - الاستعداد للرحيل - اغراق  
الجثة - رسم خطة - قسط من الراحة

---

- انهض ، ماذا تفعل ؟  
وفتحت عيني وأدبرتهما حولي محاولا ان اتبين أين أنا . . كانت  
الشمس قد أشرقت ، ومعنى ذلك اننى قضيت وقتا طويلا وأنا  
مستسلم للنوم العميق ، ووجدت أبى منتصب القامة وقد بدا  
عليه الغضب ، والمرضى أيضا !  
قال : ماذا تفعل بهذه البندقيّة ؟  
وأيقنت أنه لا يتذكر شيئا مما فعله ليلا ، فقلت له :  
- لقد حاول مجهول اقتحام الكوخ فكّمت له .  
- لماذا لم توقظنى ؟  
- لقد حاولت ذلك فعلا ، ولكنى فشلت . . فشلت في ايقاظك .  
- على أية حال ، لا تقف هكذا كالأبله طوال النهار . . هيا ،  
اذهب وانظر هل اصطادت احدى السنارات سمكة نفطر بها ؟  
أما أنا فسألحق بك بعد قليل .  
وفتح أبى الباب ، فخرجت ، وانطلقت في اتجاه شاطئ النهر ،

ورأيت كتلا من الخشب طافية فوق سطح الماء ، فادركت أن الفيضان قد بدأ ، وتذكرت أن تلك هى الفترة التى كنت أنعم فيها بوقت سعيد فى المدينة ، فقد كان فيضان النهر فى شهر يونيو يجلب لى حظا حسنا دائما ، اذ مايكاد الفيضان يبتدىء حتى يجلب التيار معه كتلا من الخشب مختلفة الأنواع تتجمع أحيانا حتى يصل عددها الى انتى عشرة قطعة دفعة واحدة ، وعندئذ كنت أسحبها الى البر وأبيعها لأصحاب مخازن الخشب أو الورش .

وسرت على الشاطيء وأنا أرقب حركات أبى ، وأرقب النهر فى الوقت ذاته لأرى ما قد يأتينى به الفيضان ، وفجأة رأيت زورقا مقبلا . . . وكان زورقا جميلا طوله حوالى ثلاث عشرة أو أربع عشرة قدما ، وهو ينزلق فوق الماء كالبطة ، فالتفت بنفسى فى الماء كالضفدعة دون أن أخلع ثيابى ، ورحت أسبح نحو الزورق ، وكنت أتوقع أن أجد شخصا ممددا فيه ، لأن الناس كثيرا ما يفعلون ذلك للسخرية من اللصوص ! فعندما يحاول احد الأشخاص الاستيلاء على مثل هذا القارب يبرز من قلبه شخص آخر يسخر منه ، ولكن الأمر لم يكن كذلك فى هذه المرة . . . فقد كان القارب خاليا تماما ، ومن ثم ، فقد تسلقته ، واخذت أقوده نحو الشاطيء ، وأنا أحدث نفسى بأن الرجل العجوز - أبى - سيفرح بالقارب لأنه يساوى عشرة دولارات . . . وعند ما بلغت الشاطيء لم أجد أبى هناك ، وبينما كنت أقود القارب داخل فجوة مغطاة بالأشجار بين الصخور ، خطرت لى فكرة أخرى . . . خطر لى أن اخفى القارب كى أستقله عندما أعترم الهرب فذلك خير من الاختفاء فى الغابة ؛ وأمضى به فى النهر خمسين ميلا ، ثم أعسكر فى مكان آمن ، وبذلك أتجنب قطع هذه المسافة الطويلة سيرا على قدمى !

وما كدت أفعل ذلك حتى سمعت ديبب أقدام فطننت أن أبى قادم ، ولكنى لم أعبأ بذلك ، اذ كنت قد فرغت من اخفاء الزورق،

واسرعت أخرج الى العراء ، فرأيت أبى يصوب بندقيته الى طائر في الفضاء ويطلقها فيسقطه ، وعندئذ أيقنت أنه لم يدرك ما فعلت ! وعند ما رأنى ، كنت أجذب احدى السنائير ، وعندئذ انفجر يسبنى ويشتمنى لتكاسلى ، ولكنى قلت له اننى سقطت فى النهر ، وهذا هو سبب تاخرى ! فقد كنت أعلم أنه سيلاحظ بلل ثيابى ، فيمطرنى بوابل من أسئلته . . . وتبين لنا ان السنائير اصطادات سمكا كثيرا فأخذناه وعدنا الى الكوخ !

وعند ما فرغنا من تناول طعام الافطار ، أحس كل منا بالاعياء فتمددنا على الأرض لنستريح . وعندئذ رحت أفكر فى اننى اذا استطعت ان أحول دون نجاح أبى والأرملة فى تعقب أنرى ، فاننى سوف أجعل المسافة بينى وبينهما طويلة جدا قبل ان يكتسفا اخفائى ، وبينما أنا مستغرق فى التفكير ، استيقظ أبى وشرب « برميلا » آخر من الماء ، ثم قال :

— عند ما تسمع دبيب أقدام أحد فى هذه المنطقة بادر بإيقاظى . . . هل فهمت ؟ ان هذا المجهول كان يعتزم شرا ولا شك ، ولو اننى رأيته لأطلقت النار عليه ، فعليك أن توفظنى فى المرة التالية . . . هل سمعت ؟

ثم تمدد ثانية على الأرض ، واستسلم للنوم . . . وفى الحق ان ما قاله لى زودنى بالفكرة التى كنت أبحث عنها ، فقلت لنفسى اننى أستطيع الآن ان أضع خطة تصرف الناس جميعا عن تتبع أنرى ! . . .

واستيقظنا حوالى الظهر ، فمضينا الى شاطئ النهر ، وكان الفيضان قد بلغ درجة عالية من الارتفاع . والتيار شديدا ، وكانت عسرات من الكتل الخشبية تطفو مع التيار ، وبعد فترة من الوقت ، أقبل طافيا فوق الماء جزء من قارب خشبى محطم تبقت منه تسع كتل خشبية مشدودة الى بعضها . وركبنا قارب أبى ورحنا ننقل



هذه الكتل الضخمة من الخشب الى الشاطئ وتناولنا طعام الفداء ، ولو ان احدا آخر - غير أبى - كان هناك ، لتريث حتى ينضم النهار ليحصل على كميات كبيرة من الكتل الخشبية الطافية . ولكن التريث لم يكن شيمة أبى ، ولهذا فقد اكتفى بالكتل التسع التى حصل عليها وقرر أن يذهب الى المدينة بلا ابطاء لبيعها هناك ، وسرعان ما سجننى فى الكوخ وأخذ قاربه وشد اليه الكل الخشبية ومضى الى المدينة . كان ذلك حوالى الساعة الثالثة والنصف . وقدرت أنه لن يعود الى الكوخ فى تلك الليلة ، وانتظرت حتى يبعد عن مكاني كثيرا ، ثم بادرت باحضار المنشار واستأنفت « نشر » كتلة الخشب التى يتكون منها باب الكوخ . وقبل أن يصل أبى الى الشاطئ الثانى للنهر ، كتب قد نجحت فى الخروج من الكوخ ، وتطلعت الى الجانب الثانى من النهر ، فلاح لى أبى وقاربه كنقطة صغيرة فوق صفحة الماء !

ونقلت كيس الدقيق الى المكان الذى أخفيت قاربى فيه ، كما نقلت أيضا « فخذه اللحم » وكل ما فى الكوخ من بن وسكر وطعام . ولم انس الدلو و « الطنست » والقدرح النحاسى والمنشار العتيق . وبطانيتين ووعاء القهوة وعلب النقاب ! لقد نقلت كل ما فى الكوخ من أدوات وأمتعة ، وتركته شاغرا تماما ! وكنب بحاجة الى فاس ولكنى لم أجد فاسا فى الكوخ ، ولكنى وجدت فاسا فى كومة أخشاب قريبة ، فلم أخذه وانما تركته حيث هو لفكرة خطرت ببالى ... وأخذت البندقية معى ايضا ، وبذلك تم تأهيبى .

وكنت قد تركت ورائى آثارا واضحة على الأرض بسبب كثرة دخولى وخروجى من الفجوة وجر الأشياء التى نقلتها ، ومن نم رحت أصلح ما فسد من معالم الأرض جهد طاقتى ، بنشر التراب فوق الآثار الظاهرة حتى انطمست ، وأخيرا وضعت قطعة الخشب التى انتزعتها من جدار الكوخ فى مكانها ووضعت تحتها قطعتين من

الصخر ، وقطعة تالئة امامها لتشبيتها في مكانها — ذلك أن قطعة الخشب « المنسورة » كانت مقوسة الى الخارج ، ولو أنك وفقت على مبعدة اربع اقدام او خمس ، وتطلعت الى الجدار ، لما عرفت أنه « منشور » ، ولما لاحظت أى شىء غير عادى ! وعداً ذلك فان الجدار الذى تسلمت منه كان الجدار الخلفى للكوخ ، ومن ثم لم يكن من المرجح ان يحاول أحد اكتشافه !

كانت المنطقة المؤدية الى القارب مجردة من الأعشاب . كما اننى لم أترك فوفها أى اثر ، ومع ذلك فقد أخذت استكشفها لاستوثق من عدم وجود أية آثار يمكن أن تفضح أمرى . ووقفت عند شاطئ النهر ، ورحت أتأمل الماء . . . كان كل شىء آمناً ، ومن ثم التقطت البندقية ومضيت الى القارب لعلى اصطياد بعض الطيور ، فلم ألبث أن رأيت خنزيراً برياً ! ولا عجب ، فان الخنازير تلوذ بالغاب بعد أن تفادى مزارع البرارى في تلك الفترة ، وفى التو أطلقت الرصاص على الخنزير وحملنه ذبيحاً الى الكوخ !

والتقطت الفأس وهويت به على باب الكوخ مرة ثم مرات حتى حطمته الى حد كبير . وحملت الخنزير الذبيح الى داخل الكوخ ورحت اجذبه الى مكان قريب من المنضدة ! ثم رفعت الفأس ، وبضربة واحدة خطمت عنق الخنزير ، فسال الدم منه بفزارة ولطخ الأرض ! نعم لطخ الأرض التى لم يكن يغطيها بلاط ولا خشب ، وبعد ذلك احضرت جوالاً قديماً حثوته بالصخور التى كان فى استطاعتى أن أجرها . ووضعت الجوال عند المكان الذى أخرجت منه جثة الخنزير ، ورحت أجذب الجوال فوق الأرض نحوالباب ، ثم فى الغاب حتى حافة النهر . وأخيراً اغرقته فيه فغاب عن الأنظار ! وهكذا أصبح فى استطاعة أى انسان أن يدرك بمجرد القاء نظرة عابرة ، ان شيئاً ثقيلاً قد جر فوق الأرض ما بين الكوخ وشاطئ النهر ثم القى فى الماء ! ولكم تمنيت لو أن « توم سوير »

كان معنى في هذه اللحظة ، فقد كنت اعلم مدى شغفه بمثل هذه المفامرات ، وكم يحب دائما أن يضيف إليها بعض اللمسات التي يتدعها خياله ، فليس هناك انسان له عبقرية « توم سوير » في مثل هذه المناسبات !!

وأخيرا انتزعت خصلة من شعري ، ولطخت الفأس بدم الخنزير ، ثم ألصقت خصلة الشعر بنصل الفأس ، ووضعت في ركن الكوخ ! وحملت الخنزير بين ذراعى بعد أن لففته جيدا في ستري كي لا يقطر الدم منه على الأرض ، وأخذت أسير حنى ابتعدت عن الكوخ مسافة كافية ، تم أغرقته في النهر ! وعندئذ خطرت لى فكرة أخرى .... ذهبت الى القارب ، وأحضرت جوال الدقيق والمنشار القديم ، وعدت الى الكوخ حيث وضعت الجوال في مكانه المؤلف واستعنت بالمنشار في احداث ثقب بقاعدة الجوال لأننى لم أجد سكيناً أو « شوكة » ... فقد كان أبى يستخدم المديّة التي يحملها دائما في أداء شتى الأعمال التي يحتاج أدائها الى سكين ! . وكان يحتفظ بهذه المديّة معه دائما ... ثم حملت الجوال وسرت به حوالى مائة ياردة فوق الأعشاب بين اشجار الصفصاف شرفى الكوخ حتى بلغت بحيرة ضحلة اتساعها خمسة أميال مملوءة بنبات السمار ، ويختفى فيها البط في موسم الفيضان ! وكان غمة نهير في الجانب الآخر من البحيرة ، يجري أميالا بعيدة في قلب القاب ، وان كنت لا أعلم أين ينتهى ! ولكنه لم يكن يتصل بالنهر الكبير على كل حال ! ولقد تسرب الدقيق من ثقب الجوال وترك أثرا ضئيلا على طول الطريق حتى البحيرة ! ثم رتقت الفتحة التي ثقبها في الجوال بقطعة من الخيط حتى لا يتسرب الدقيق منه . وعدت بالجوال والمنشار الى القارب !!

كان النهار قد أوشك على الادبار ، فدفعت القارب الى النهر وأبقيته في منطقة تكسوها أغصان اشجار الصفصاف الضخمة ،

وانتظرت ريتما يطلع القمر ، وشددت القارب الى جذع شجرة صفصاف . وتناولت بعض الطعام ، ثم تمددت فى القارب ريتما أندبر الأمر ، وفلت لنفسى انهم سوف ينتبعون أثر الجوال المملوء يقطع الصخور حتى شاطئ النهر ، ثم يبحثون عنى فى النهر ، كما سيتبعون أثر الدقيق الى البحيرة ويبحثون عنى فى البحيرة والنهر النابع منها ، وسيبحثون عن اللصوص الذين قتلونى وسرقوا ما فى الكوخ ، ولكنهم لن يجدوا لى اثرا ، وسوف يملكهم اليأس والاعياء فيكفون عن البحث . . . وحدثت نفسى بأن هذا كله حسن وايقنت اننى أستطيع عندئذ ان استقر حيثما أريد ! وخطر لى أن « جزيرة جاكسون » هى خير ملاذ لى ، فانا أعرف جميع معالم هذه الجزيرة حق المعرفة ، ولن يفكر أحد فى البحث عنى هناك ! وهكذا أستطيع بعد ذلك أن أتسلل الى المدينة فى الليل لأحصل على كل ما قد يعوزنى . . . نعم ان جزيرة جاكسون هى أصليح مخبأ لى !

وكان التعب قد نال منى كل منال فغلبنى النوم على امرى ، وعند ما استيقظت لم أدرك أين انا فى بادىء الامر فاستويت جالسا وتلفت حولى وقد ركبى الفزع ، ولم البث أن تذكرت كل شئ ! كان النهر يند امامى أميالا وأميالا ، وكان القمر ساطعا حتى لقد كان فى استطاعتى أن أعدكتل الخشب الطافية على سطح النهر على مبعدة مئات اليرادات من الشاطئ ! . . . وكان الكون هادئا غاية ما يكون الهدوء .

ومطيت وتشاءبت ، وكدت أفك الحبل الذى يند القارب الى جذع الشجرة استعدادا للرحيل ، ولكنى سرعان ما سمعت صوتا صادرا من الجانب البعيد من النهر ، فاصحخت السمع . وسرعان ما تبينت حقيقة هذا الصوت ! كان صوت ارتطام بمجاديف بالماء . وحدثت فى مصدر الصوت ، ولم البث أن تبينت قاربا مقبلا من

بعيد . ولم اسطع أن أحدد عدد ركاب القارب الذى راح يتقدم نحوى . وعند ما أصبح وبالتى ، تأكدت أنه ليس به غير شخص واحد ، وخطر لى أن القادم هو أبى ، رغم أننى لم أكن أتوقع عودته فى مثل هذا الوقت ، وابتعد القارب عنى منساقا مع التيار ، وبعد فترة من الوقت اقترب من الشاطئ متأرجحا متهاديا لبعده عن مجرى التيار القوى ، ومر القارب على مقربة منى ، بحيث كان فى استطاعنى أن أبسط ذراعى وأمسك حافته . ورأيت أبى يجلس فى القارب ، وادركت من طريقة امساكه بالمجدافين أنه متمالك حواسه ووعبه وليس غملا !

ولم أضع لحظة واحدة ! وفى اللحظة التالية ، كان القارب ينزلق بى فوق سطح الماء مستترا فى ظل الشاطئ . وقطعت ميلين ونصف ميل ، تم اتجهت الى قلب النهر حتى قطعت حوالى ربع ميل ، فقد كنت أعلم اننى لن ألبث أن أمر بحرس القوارب وربما رآنى بعض الناس واستوقفونى . وسرعان ما اصطدم قاربى بكتل الحشب الطافية على صفحة الماء . وبادرت بالتمدد فى قاع القارب ، وتركته ينساب مع التيار ! وظللت ممددا فى مكانى فترة طويلة من الوقت لأستريح ، ورحت أطلع الى السماء التى لم تكن نعكر صفحتها سحب أو غيوم ! ولكم تبدو صفحة السماء شديدة العمق حينما تتمدد فوق ظهرك والقمر ساطع ، وهو ما لم أكن أعلمه من قبل ! بل ان الانسان ليستطيع أن يسمع الأصوات التى تصدر من بعيد فوق سطح الماء فى مثل هذه الليالى ! فقد سمعت الناس وهم يتكلمون عند مرسى الزوارق ، وطرقت أذنى كل كلمة كانوا ينطقون بها ! فسمعت رجلا يقول ان هذا الوقت من العام يقترب من الأيام التى يطول فيها النهار ويقصر الليل ! وعندئذ ضحك سامعوه ، فعاد الرجل بكرر قوله ، فضحكوا ثانية ، وأبقلوا رجلا آخر أنبأوه بما قاله الرجل الأول ، ولكنه لم يضحك

مثلهم ، وانما قال لهم شيئا ما بلهجة خسنة ، وطلب البهم أن يدعوه وشأنه ! وعاد الرجل الاول يقول انه سوف يخبر زوجته الصبور بالامر ، ولا شك في انها ستصدقها ، ولكنه عاد فقال ان الحقيقة التى ذكرها لا تعتبر شيئا مذكورا اذا قيسست بحقائق اخرى هامة سبق ان أفضى بها لزوجته !! وسمعت رجلا يقول ان الساعة تقترب من الثالثة صباحا وانه يامل الا يتاخر طلوع الفجر اطول مما تاخر فى الاسبوع الماضى !! واخيرا بدأت اصوات المتحدثين تخفت ، فلم تستطع اذنى التقاط كلماتهم بعد ان أصبح حديثهم مهمة تتخللها ضحكة بين حين وآخر !

وكنت قد ابتعدت كثيرا عن مرسى الزوارق فى تلك الانثناء ، فاستويت جالسا . وعندئذ رايت « جزيرة جاكسون » على مسعدة حوالى ميلين ونصف ميل الى الجنوب ، تظلل سماءها اغصان الاشجار الكثيفة ، وهى قابضة فى قلب النهر صلبة ، كبخرة جبارة لا يتسلل منها نور . ولم ار حاجزا عند رأس الجزيرة ، فقد كان الحاجز مغمورا بالماء فى تلك الانثناء .

ولم يستغرق وصولى الى الجزيرة وقتا طويلا ، فقد بلغت رأسها بسرعة عظيمة لنسبة التيار ، ثم بلغت منطقة الماء الهادئة ، فهبطت الى البر على الجانب المواجه لتساطىء « الينوى » ، واخفيت القارب فى فجوة عميقة كنت أعرفها ، وحرصت على أن يكون القارب محجوبا عن العيون أسفل اغصان شجر الصفصاف حتى لا يراه احد من الخارج .

وجلست فوق كتلة خشب عند رأس الجزيرة ، وتطلعت الى النهر الكبير وكتل الخشب المظلمة التى كانت تتهادى فوق صفحة مائه ثم تطلعت الى المدينة على مسعدة ثلاثة أميال ، وقد تالقت فيها ثلاثة أضواء أو أربعة . ورايت قاربا ضخما من كتل الخشب يجرى فوق صفحة الماء قادما نحو الجزيرة على مسعدة ميل تقريبا ،

وقد انبعث منه ضوء مصباح موقد. ورحت أراقبه وهو يزحف،  
وعند ما أصبح محاذيا للمكان الذي كنت فيه سمعت رجلا يقول :  
« مجاديف المؤخرة . . حول رأس القارب في الاتجاه الآخر ! »  
ولقد سمعت هذه العبارة بوضوح كما لو كان المتكلم واقفا  
بجوارى !!

وبدا ضوء الفجر يقهر ظلمة الليل في تلك الأثناء ، فاندفعت  
داخل القارب لأحصل على قسط من النوم قبل أن أتناول طعام  
الافطار !!

## الفصل الثامن

النوم في القابة - إيقاف الموتى - الترقب -  
استكشاف الجزيرة - نوم عديم الجدوى - العثور  
على جسيم - هرب جسيم - علامات - «الزنجي الأعرج» .

---

كانت الشمس قد ارتفعت في كبد السماء عند ما استيقظت من نومي ، حتى لقد قدرت أن الساعة بلغت الثامنة . وبقيت ممددا فوق الأعشاب في الظل الرطب وأنا أفكر في الموقف ، وقد شعرت براحة وارتياح . وكان في استطاعتي أن أرى الشمس من فجوة أو اثنتين خلال أغصان الأشجار ، التي كانت تملأ هذه المنطقة . . وكانت الفجوات التي تتخلل هذه الأشجار معتمة ، كما كانت هناك أماكن متفرقة على الأرض يتسرب إليها الضوء من بين الأغصان . وكانت أوراق الأشجار تهتز فأدركت أن هناك نسيما ، وحط سنجابان على أحد الغصون وراحا يثرثران بود عظيم ! !

كنت أشعر بكسل شديد وراحة كاملة ، فلم تتملكني رغبة في النهوض لطهي طعام الإفطار . وكدت أستسلم للنوم مرة أخرى عند ما خيل إلى أنني أسمع صوتا أشبه بصوت انطلاق المدافع صادرا من بعيد عبر النهر ، فرفعت رأسي وأستندت على مرفقي



وأصخت السمع . وسرعان ما تكرر الصوت ، فانتصبت واقفا ،  
وتقدمت من فجوة بين أوراق الشجر تطلعت من خلالها فرايت  
سحابة من الدخان فوق صفحة الماء على مسافة بعيدة ، بمحاذاة  
مرسى القوارب . ورأيت ناقلة بحرية محملة بالرجال ، تسير في  
الاتجاه المضاد من النهر ، وأدركت جلية الأمر على الفور . . . وعلا  
صوت المدفع مرة أخرى ، ورأيت الدخان الأبيض ينبعث من كل  
جانب . . فادركت أن ركاب الناقلة يطلقون مدفعها فوق صفحة  
الماء لكي تطفو جثتي ! ! . . .

كنت أشعر بجوع شديد ، ولكنى أدركت أن من خطئ الراى  
أن أشعل نارا ، خشية أن يرى ركاب الناقلة دخانها ، فلزمت  
مكاني ومضيت أرقب دخان المدفع وأصغى الى صوت اطلاقه .  
وكان عرض البحر ميلا في هذه المنطقة . وكان يبدو جميل المنظر  
في هذا الوقت من الصيف وبخاصة في الصباح ، ولهذا استمتعت  
أعظم متعة وأنا أراقبهم ينقبون الماء بحثا عن جثتي ، ولم يعكر  
صفو متعتي سوى شعورى بالجوع ، وتذكرت في تلك الاثناء كيف  
أن أهل المدينة اعتادوا أن يضعوا مقادير من الزئبق في أرغفة من  
الخيز يلقونها في الماء ، لإعتقادهم أن هذه الأرغفة تذهب دائما الى  
حيث توجد جثة الفريق ! . . . وقلبت لنفسي اننى سامضى في  
المراقبة ، فاذا طفا أحد الأرغفة حول المكان الذى أنا فيه ، فلا بد  
لى من الحصول عليه ! ! وانتقلت الى شاطئ الجزيرة المواجه  
لمقاطعة « الينوى » لأرى ما يخبئه لى القدر . ولم يخب ظنى ،  
اذ لم يلبث رغيف كبير أن أقبل نحوى . وكدت أفوز بالرغيف  
مستعينا فى ذلك بعضا طويلة ، ولكن قدمى انزلقت فابتعد  
الرغيف عنى ! بالطبع ، كنت أقف فى المنطقة التى كان التيار فيها  
أقرب ما يكون من الشاطئ ، ولكن ما ان انقضى وقت غير طويل  
حتى أقبل رغيف آخر ، استطعت أن أفوز به هذه المرة .



سوير « وخالته العجوز « بولى » و « سيدنى » وغيرهم . وكان الجميع يتكلمون عن جريمة القتل ، ولكن الربان قاطعهم قائلا :  
- افتحوا عيونكم جيدا ، فان التيار أقرب مايكون الى الشاطئ ، هنا ، ومن المحتمل أن يكون قد جرف الجثة الى الشاطئ ، فاشتبكت ببعض الأعشاب النامية عند حافة الماء . أو هذا على الأقل ما أرجوه .

أما أنا فلم اكن أرجو ذلك ! وتجمهر الجميع عند حاجز الناقلة وراحوا بتطلعون باهتمام نحو الشاطئ حتى خيل الى أنهم يرون وجهى ، لأنهم جمدوا تماما فى أماكنهم وهم يتطلعون بكل قواهم . وكان فى استطاعتى أن أراهم بسهولة . أما هم ، فلم يكن فى استطاعتهم رؤيتى ، وعندئذ أنشأ الربان يقول :  
- ابتعدوا ....

وانطلق المدفع ، وكان دوى انطلاقه عنيفا حتى خيل الى أننى أصبت بالصمم ، كما خشيت أن أصاب بالعمى نتيجة لنسدة وهج الضوء الذى اقترن بالطلق . بل لقد خيل الى أننى من الهالكين ، فلو أنهم قرروا إطلاق المدفع عدة مرات لاستطاعوا الحصول على الجثة التى يبحثون عنها ! ! وعلى أية حال ، فأننى لم أصب بكرهه ، والحمد لله على ذلك . واستمرت الناقلة تسبح مبتعدة عنى الى أن غابت عن عيني عند كتف الجزيرة . وكان فى استطاعتى أن أسمع دوى انطلاق المدفع بين الحين والحين ، ولكنه كان يتضاءل باستمرار ، حتى اذا ما انقضت ساعة تلاشى الدوى تماما فلم أعد أسمعه . ولما كان طول الجزيرة ثلاثة أميال ، فقد رجحت أن الناقلة بلغت طرفها فى تلك الأثناء وأن ركبها قد تملكهم اليأس وأنهم سوف يتخلون عن محاولتهم . ولكن واقع الأمر أنهم لم يفعلوا ذلك ، إذ أنهم لم يلبثوا أن داروا حول طرف الجزيرة ثم انطلقوا فى الاتجاه المؤدى الى نهر الميسورى ، وهم يطلقون

المدفع من حين الى حين . فعبرت الجزيرة ، حتى اذا ما بلغت جانبها الآخر أخذت أراقب الباحثين عنى ، ولم ألبث ان لاحظت انهم ماكانوا يصلون الى رأس الجزيرة حتى كفوا عن اطلاق المدفع ثم تراجعوا عن شاطئ نهر الميسورى وكروا عائدين الى المدينة .

أيقنت حينذاك اننى بمأمن ، فلن يخرج احد للبحث عنى بعد ذلك ، فبادرت باخراج امتعتى من القارب ، وأقمت لنفسى معسكرا فى الغابة الكثيفة . . أنشأت ما يشبه الخيمة مستعينا فى ذلك بالبطاطين ، لكى أضع منقولاتى فيها حتى لا يصل المطر اليها . تم اصطدت سمكة ضخمة فتحت جوفها بمنشارى .

وعند ما آذنت الشمس على المغيب ، أوقدت نارا وناولت عشائى ، ثم أعددت « السنائر » لصيد بعض السمك لأجعل منه طعام افطارى .

وعند ما أظلمت الدنيا جلست الى جوار النار الموقدة وأنا أشعر براحة غامرة، ولكنى لم ألبث أن أحسست بشغل وطأة الوحدة، فهرعت الى شاطئ النهر ومضيت أصغى الى الأمواج وهى تصطدم ببعضها البعض . كما أخذت أعد النجوم ، وكتل الخشب الطافية فوق الماء والقوارب الشاردة ، ثم آويت الى فراشى ، فقد كنت أعلم أنه ليس من وسيلة أفضل من النوم للتغلب على الوحدة.

وهكذا مضت ثلاثة أيام بلياليها ، رتيبة مملة . غير أننى خرجت لاستكشاف الجزيرة فى اليوم التالى . . لقد كنت سيد هذه الجزيرة . . كانت كلها ملكى فوددت أن أعرف كل شئ عنها ، وان كنت فى واقع الأمر قد أردت قطع الوقت ! وعثرت على كثير من أشجار الراولة وعنب الصيف وأشجار التوت المحملة بالثمار الناضجة ، كانت كلها فى متناول يدى أقطف منها فى أى وقت ما أشاء .

وتوغلت فى الجزيرة حتى لقد رجحت اننى لم أعد بعيدا س

نهابها ، وكنت أحمل بندقيتي مخشوة بالرصاص ، ولكنى لم اصطد شيئا لأننى كنت أحملها للدفاع عن نفسى ، رغم اننى كنت اعتزم صيد بعض الطيور قبل عودتى الى المعسكر . وفى تلك اللحظة وقع بصرى على نعبان ضخيم ، لم يلبث ان تسال بين الاعساب والزهور فأسرعت أتعبه محاوله أن أصيبه برصاص بندقيتى . وبينما أنا أطارده الفيتنى فجأة أمام رماد نار كانت موقدة ، وكان الدخان لا يزال يتصاعد منها .

ووب قلبى بين ضلوعى ، ولم اثريث لأطيل النظر ، بل أعددت بندقيتى للعمل وعدت ادراجى من حيث أتيت وأنا اسير فوق أطراف اصابعى بأقصى سرعة مستطاعة ، وكنت اتوقف لحظات بين الحين والحين وأصيح السمع ، ولكن تنفسى كان يحدث صوتا عاليا يتعذر على معه أن اسمع أى صوت آخر . وقطعت شوطا آخر ، وتوقفت لأصيح السمع ثانية ، وهكذا كنت افعل كلما قطعت مرحلة فى طريق عودتى الى معسكرى ، وكنت كلما رايت جذع شجرة مقطوعة ، حسبته رجلا ، وكلما حطمت قدماى فرع شجرة ملقى على الأرض جعلنى ذلك أشعر وكأن قلبى قد كف عن النبض !

وعند ما عدت الى المعسكر ، لم أكن أشعر بجراحة ما ، ولما كنت أدرك أن الموقف لا يحتمل اهمالا أو نهانا ، فقد بادرت بنقل جميع أمتعتى الى القارب حتى تصبح بعيدة عن الأنظار ، واطفات النار ، وبعثرت الرماد فى الهواء حتى يبدو لمن يرى النار انها كانت موقدة منذ عام . ثم تسلقت احدى الأشجار الضخمة .

وقضيت ما يقرب من ساعتين فوق الشجرة ، ولكنى لم اسمع ولم أر شيئا ، غير أنه خيل الى اننى سمعت ورايت آلاف الأشياء ... ولما لم يكن فى استطاعتى أن أبقي فى مكانى ذلك الى الأبد ، فقد هبطت أخيرا من فوق الشجرة ، ولكنى حرصت على التزام

المناطق الكثيفة من الغابة ، وعلى أن أظل مرهف الأذنين مفتوح العينين طوال الوقت ، وكان كل ما استطعت أن أحصل عليه من طعام لا يتعدى بعض ثمار التوت وبقايا وجبة الصباح .

وعند ما جن الليل ، أحسست بجوع شديد ، وما كاد الظلام يتشد حتى تسالت خلسة وبهدوء مبتعدا بقاربي عن الشاطئ قبل أن يطلع القمر ، وأخذت أجذف الى شاطئ « الينوى » ، حوالى ربع ميل . ونزلت الى الغابة وأعددت لنفسى عشاء ، وكدت أحزم أمرى على قضاء الليلة فى ذلك المكان لولا أننى سمعت وقع حوافر جياد . وبعد لحظات سمعت أصوات رجال ، فأسرعت أعيد كل شئ الى القارب بهدوء وحذر ، ثم تسالت عبر الغابة لأرى ماذا هناك ، ولكنى لم أذهب بعيدا ، فقد سمعت رجلا يقول :

— يحسن بنا أن نسكر: هنا ، فان هذا خير مكان يصلح لقضاء الليل ، كما أن الجياد متعبة جدا ، فدعونا نلق نظرة على ماحولنا . ولم أنتظر ، وانما ركبت قاربى وأسرعت مبتعدا ، ثم ربطت القارب فى مكانه القديم ، وقررت النوم فيه . ولم أتم طويلا ، فقد تعذر على النوم لاستغراقى فى التفكير . وكان يخيلى لى كلما استيقظت ، أن شخصا يحيط عنقى بيديه، ولهذا لم أفد من النوم كثيرا ، ولم ألبث أن قلت لنفسى اننى لن أستطيع العيش على هذا المنوال وأن لا مفر لى من أن أعرف أولئك الذين يقيمون معى بالجزيرة ؛ فان لم أعرف ذلك فسأشقى غيظا . . . . . وعندئذ شعرت بالارتياح !!

وتسللت بقاربى مبتعدا عن الشاطئ خطوة أو اثنتين ، ثم سرت به فى ظل الشاطئ ، وكان القمر ساطعا فبدت الدنيا خارج نطاق ظل الشاطئ وكأنها تسبح فى ضوء النهار ، وظللت أتقدم بقاربى زهاء ساعة . وكنت قد أشرفت على بلوغ طرف الجزيرة فى تلك الأثناء ، وأخذ نسيم خفيف يلفح وجهى . وكان ذلك فألا

حسنا في اعتقادي . واستعنت بمجدافى في تحويل مقدم القارب نحو الشاطئ ، ثم حملت بندقيتى وهبطت الى الشاطئ ، وانطلقت الى حافة الغابة . ثم جلست فوق كتلة من الخشب وتطلعت من خلال أوراق الشجر ، فلاحظت أن القمر قد انحدر نحو المغيب ، وبدأ الظلام ينشر سرادقه فوق النهر ، ولكنى لم ألبث أن رأيت شعاعا خافتا ينعكس على ذوائب الأشجار ، فأدركت أن الفجر على الأبواب ، فالتقطت بندقيتى وسرت متلصصا في الاتجاه الذى عثرت فيه على آثار النار . وكنت أتوقف عن السير كل دقيقة أو دقيقتين لأصيح السمع ، ولكن الحظ خاننى ، فلم أستطع العثور على المكان الذى وجدت فيه هذه الآثار . غير أننى لم ألبث أن لمحت نارا بين الأشجار البعيدة ، وبعد فترة كنت قد اقتربت منها . وسرعان ما رأيت رجلا بجوارها ، فكاد قلبى يكف عن النبض ! كان الرجل يلف بطانية حول رأسه ، وكان رأسه فى قلب النار تقريبا ، فجلست خلف كومة كثيفة من الأعشاب على مبعدة ست أقدام تقريبا من مكان الرجل ، وسددت النظر اليه ، وكان ضوء النهار قد بدأ يتسلل . وسرعان ما تمطى الرجل وتشاءب ونزع البطانية عن رأسه . . . لقد كان « جيم » خادم الأنسة واطسون . وأقسم اننى سررت لرؤياه .

وهتفت : هاللو « جيم » . . .

وانتصب الرجل واقفا فى لمح البصر ، وراح يتأملنى مبهورا ، ثم جثا فوق ركبتيه ، وضم يديه الى بعضهما وقال :

— لا تمسنى بمكروه . أرجوك ألا تمسنى بمكروه ، فانى لم أسىء الى الاشباح طيلة حياتى . . . بل اننى أحب الأموات ، وأفعل كل ما فى طاقتى من أجلهم . . . فاذهب الى النهر ثانية ، فالنهر موطنك ولا تسىء الى جيم الكهل ، لأنه صديقك الدائم !! ولم أضع وقتا طويلا فى افهامه اننى لم أمت ، والحق اننى شعرت

بسرور غامر لرؤية جيم... اننى لم أعد وحيدا فى الجزيرة . وقلت له اننى لا أختشى أن يذهب وأن يقول للناس أين أنا . ومضيت أتحدث اليه . أما هو فقد ظل جامدا فى مكانه دون أن ينطق ببنت شفة ، واكتفى بالتحديق فى وجهى ، وعندئذ قلت له :  
— لقد طلع النهار ، فدعنا نتناول طعام الافطار ، هلم زد نارك اشتعالا .

— وما جدوى اشعال النار ؟ هل تطهو عليها التوت وما يماثله من الثمار ؟ ... ما دمت تحمل بندقية ، فاننا نستطيع أن نحصل على شىء أفضل من التوت .

فقلت : وهل كنت تعيش على التوت وما شابهه من قبل ؟

— لم يكن فى استطاعتى أن أحصل على أى شىء آخر .

— وكم من الوقت مضى عليك فى هذه الجزيرة ؟

— جئت الى هنا فى الليلة التى أعقبت مقتلِكَ .

— ماذا تقول ؟ أقضيت كل هذا الوقت هنا ؟

— نعم . بالطبع .

— ولم تكن تأكل الا هذه التوافه ؟

— نعم يا سيدى . لا شىء آخر .

— اذن فلا شك أنك توشك على الموت جوعا ؟

— أعتقد اننى أستطيع التهام لحم جواد كامل . كم مضى عليك

من الوقت فى هذه الجزيرة ؟

— منذ الليلة التى قتلت فيها .

— أحقا ؟ وماذا كنت تأكل ؟ لكن لا ... ان معك بندقية ،

هذا حسن ... هلم اصطد شيئا ، وسأزيد النار اشتعالا .

ومضيت الى حيث كان يوجد قاربى ، وبينما كان « جيم » يوقد نارا فى منطقة مكشوفة بين الأشجار ، أحضرت لحما وخبزا وبنا ووعاء لاعداد القهوة ، وآخر لقلى اللحم ، وسكرا وقدهين



نحاسيين . وجلس الزنجى على الأرض جامد الحراك . . . فقد كان يظن أن ما يجري أمامه أن هو الا عمل من أعمال السحر ! . واصطدت سمكة كبيرة ، واستعان « جيم » بمديتى فى شق بطن السمكة ، تم شواها .

وعندما أعد طعام الإفطار ، جلسنا فوق الحتائش ورحنا نلتهم الطعام . . وكان « جيم » جائعا جدا فالتهم قدرا كبيرا من الطعام ، وعندما حصلنا على حاجتنا من الطعام تمسدنا فوق الأرض متكاسلين .

وبعد قليل قال جيم : لكن اصغ الى يا « هاك » . من الذى قتل فى الكوخ ما دام هذا القليل لم يكن أنت ؟ وسردت عليه القصة كلها .

فقال انها خطة بارعة ، ما كان « توم سوير » ليستطيع تدبير خطة افضل منها .

سألته : وكيف اتفق حضورك الى هنا ؟ وكيف جئت يا جيم ؟ فبدا القلق عليه ، ولكنه لم يقل شيئا . وبعد فترة من الصمت قال :

- يحسن بى ألا أجيب على هذا السؤال .
- لماذا يا جيم ؟
- هناك أسباب كثيرة . . . فلعلك لا تشى بى اذا ما أفضيت اليك بهذه الأسباب يا « هاك » .
- فليلعنى الله ان فعلت ذلك يا « جيم » .
- أعتقد أنك ستكتتم السر . الواقع اننى هربت يا « هاك » .
- جيم !!
- تذكر أنك وعدتنى بكتمان السر . تذكر أنك تعهدت بالا تقول شيئا يا « هاك » .
- نعم لقد وعدتك وما زلت عند وعدى ، نعم يا « جيم » سأبر

بوعدى ، فد يتهمنى الناس بأنى وضبع ويحنقرونى لأننى لم اقل شيئا ، ولكن ذلك لا يهمنى . فأننى لن أقول شيئا ، كما أننى لن أعود الى المدينة . . . . والآن ، خبرنى بالقصة كلها .

— حسنا ، اليك ما حدث . . . لقد دابت الأنسة وأطسون على مضايقتى ومعاملتى بخشونة وقسوة . . . كانت تهددنى دائما بأنها ستبيعنى لأننى رقيق وعبد لها . ولاحظت أن ناجر زنوج يتردد كثيرا على المنطقة فى الفترة الأخيرة فساورنى القلق . وذات ليلة تسللت الى الباب فى وقت متأخر من الليل ، ولم يكن الباب مغلقا جيدا فسمعت الأنسة تقول للأرملة انها ستبيعنى لأورليانز وانها رفضت أن تبيعنى لتاجر عرض عليها ثمانمائة دولار ثمنا لى ! وأدركت أن هذا المبلغ الضخم سوف يغرى الأنسة وأطسون ببيعى ، فلم أترى حتى أسمع بقية الحديث ، وانما بادرت بالهرب ، وأسرت أهبط من فوق الثل وأنا آمل أن تتاح لى فرصة سرقة زورق من تلك الزوارق التى يشدها أصحابها الى الشاطئ أثناء الليل ، ولكنى تبينت أن هناك أشخاصا كثيرين كانوا يتجولون فى منطقة النهر فأثرت الاخباء فى حانوت قريب ، وانتظرت ريثما ينصرف الجميع ، واضطرت الى البقاء فى الحانوت طوال الليل . لأن تجوال الناس فى المنطقة لم ينقطع . وحوالى الساعة السادسة صباحا بدأت القوارب تتجول فى النهر ، وحوالى الساعة الثامنة أو التاسعة كان كل ركاب القوارب يقولون ان أباك جاء الى المدينة وقال انك قتلت ، وكانت القوارب مشحونة بالسيدات والرجال الداهيين الى كوخ أبسك لرؤية الحادث . وكانوا يتوقفون عند الشاطئ ليستريحوا بين حين وآخر قبل أن يعبروا النهر ، وهكذا استطعت أن أعرف من أحاديثهم كل شئ عن جريمة القتل ، ولقد تملكنى حزن شديد لمقتلك يا « هاك » ، ولكن هذا الحزن انقشع الآن . . . وبقيت مختبئا طوال النهار ، ومع أننى كنت جائعا فأننى

لم أكن خائفاً لأننى كنت أعلم أن الأنسة واطسون والأرملة ستذهبان الى الاجتماع بعد تناول طعام الافطار مباشرة وإنهما لن تعودا الى المنزل طوال النهار ، وستظنان اننى ذهبت مع القافلة عند الفجر ، ومن ثم فإنهما لن ترتابا فى غيابى الا فى المساء . أما بقية الخدم فلن يرتابوا فى اختفائى لأنهم يمنحون أنفسهم عطلة عقب انصراف أصحاب المنزل . . . . وعند ما أقبل المساء ، تسللت الى طريق النهر ، وسرت حوالى ميلين أو أكثر حتى بلغت منطقة خالية من المساكن . وكنت قد حزمت رأيى على ما سأفعله ، كنت أعلم اننى لو حاولت الفرار سيرا على قدمى فلن تلبث الكلاب أن تقفئ أثرى ، وإذا سرت قارباً لأعبر النهر به فإن أصحاب القارب سوف يكتشفون الأمر ويدركون اننى اسنعملته لعبور النهر الى الجزيرة ولن يلبثوا أن يقفوا على أثرى . وعندئذ قلت لنفسى ان خير ما ينقذنى هو الاسعانة بكثلة خشبية لعبور النهر لأنها لن تترك أى أثر يدل على . ورأيت احدى الناقلات البحرية مقبلة نحوى ، فخفضت فى الماء حتى صدرى ثم سبحت وأنا أحرص على خفض رأسى حتى لا يرانى أحد ، ومضيت أسبح عكس التيار الى أن بلغت موضع الناقلة النهرية ، وغصت تحت الماء ومضيت فى السباحة حتى حاذيت مقدم الناقلة وتسلفتها وتددت فوق أرضها وكان من فيها من الرجال يجلسون فى منتصفها حول ضوء المصباح ، وكان المد أخذاً فى الارتفاع والتيار قوباً وقتذاك فأدركت اننى سأقطع خمسة عشر ميلاً بعيداً عن المدينة عند ما تبلغ الساعة الرابعة ، وعندئذ يمكننى التسلل من القارب قبل طلوع النهار والسباحة الى الشاطئ والاختفاء فى الغاب المواجه لالينوى . ولكن الحظ لم يحالفنى ، اذ ماكادت الناقلة تقترب من رأس الجزيرة حتى شرع أحد الرجال فى المجئ الى مقدم القارب وهو يحمل

المصباح ، وأيقنت ألا جدوى من الانتظار فانزلت من الناقلة الى الماء بهدوء ومضيت أسبح نحو الجزيرة ، وكنت اعتقد أنني سأتمكن من الخروج الى الشاطئ في أى مكان ، ولكنى لم أستطع ... كان الشاطئ خداعا فاضطرت الى الاسمرار فى السباحة الى أن كدت أصل الى طرف الجزيرة الآخر قبل أن أجد مكانا يصلح للخروج الى الشاطئ ، ومضيت على الفور الى الغاب وأنا أعلم أن من العبث أن أحاول النسل الى الناقلة النهرية مرة أخرى مادامت مضاعة بمصباح .

— ألم يكن لديك لحم ولا خبز نطم بهما طوال هذه الفترة ؟ لماذا لم تحاول صيد الضفادع ؟

— وكيف يمكن الوصول اليها ؟ انك لا تستطيع الانقضاض عليها والامساك بها ، ثم كيف يمكن اصابتها بحجر ؟ وكيف يستطيع الانسان اقتناصها بالليل ؟ هذا الى أنني كنت مضطرا الى عدم الظهور على الشاطئ في ضوء النهار .

— أصبت ... لقد كنت مضطرا الى الاختباء فى الغابة طوال الوقت ، فهل سمعتهم وهم يطلقون المدفع ؟

— أوه ، نعم ، وأدركت أنهم يبحثون عنك ... ولقد رأيت الناقلة وهى تجوب النهر وراقبتها من خلال الأعشاب .

وأقبل عدد من صفار الطيور ، وطارت الطيور على ارتفاع ياردة أو اثنتين فوق رأسينا ، فقال « جيم » انها علامة على أن السماء ستمطر . وكنت أهم بمطاردة بعضها ولكن « جيم » تمنى قائلا اننى اذا فعلت فان ذلك سيكون نذيرا بالموت ! .. ثم قال ان اياه كان مريضا وان بعض الأشخاص اقتنص طيرا صغيرا فما لبث أبوه أن مات !!

وقال « جيم » انه ينبغي عدم عد الأشياء التى تطهى لطعام العشاء لأن ذلك قال سيىء ، وان النحاس يصيب من ينفذ غطاء

المائدة بعد غروب الشمس ! كما قال انه اذا كان شخص ملك خلية نحل ، ومات هذا الشخص فيجب على النحل أن يسعر بموته قبل شروق شمس اليوم التالي والا ضعف النحل جميعه وتوقف عن العمل تم مات !! وأضاف جيم ان النحل لا يلدغ البلهاء ، بيد أنى لم أضدق هذا القول لأننى جربته بنفسى مرات كثيرة فالنحل لم يلدغنى مع اننى لست غبيا ! .

وكننت قد سمعت عن بعض هذه الأشياء من قبل ولكنى لم أكن قد عرفتها جميعا ، أما « جيم » فيعرف كل ذلك . . . لقد قال لى انه يعرف كل شىء تقريبا عن علامات الحظ والنحس . فقلت له انه يخيل لى ان جميع هذه العلامات تقتصر على سوء الحظ ، وسألت ان كانت هناك أية علامة على حسن الحظ .

فقال : انها قليلة جدا ، وهى لا تفيد احدا . . . اذ ماذا تريد ان تعرف عن الحظ الحسن مادام فى طريقه اليك ؟ هل تريد ان تصده عنك ؟

نم قال : اذا كان ذراعاك غزيرى الشعر ، وكذلك صدرك ، فإن ذلك علامة على أنك ستصبح ثريا ! ولا شك فى ان معرفة مثل هذا الفال الحسن أمر مفيد لأنه يكتف عن المستقبل البعيد . . . فقد تظل فقيرا وقتنا طويلا ، وربما تملكك الياس فتقدم على الانتحار ، لو لم تنبئك هذه العلامة بأنك ستصبح ثريا بعد حين !!

— وهل ذراعاك وصدرك غزار الشعر يا جيم ؟  
— ما الفائدة من القاء هذا السؤال على ؟ ألا ترى ان ذراعى وصدري غزار الشعر ؟

— حسنا . . . وهل أنت ثرى ؟

— لا . . . ولكنى كنت ثريا فى أحد الأيام ، وسأصبح كذلك فى المستقبل . . . لقد كنت أملك أربعة عشر دولارا ولكنى خسرتها فى التجارة .

- فيم تاجرت يا « جيم » ؟  
 - حسنا ... لقد تاجرت في الماشية اول الامر .  
 - اى نوع من الماشية ؟  
 - الماشية الحية !! ... القطعان كما نعلم ... فقد ضاربت  
 بعشرة دولارات على بقرة ... ولكنى ان اجازف بنقودى في الماشية ،  
 فقد ماتت البقرة بين يدى .  
 - اذن فقد فقدت عشرة دولارات .  
 - كلا ، لم افقدها كلها ، واما فقدت تسعة منها ، فقد بعث  
 جلد البقرة المسنة بدولار وعشرة سنتات !!  
 - اذن فقد تبقى لديك خمسة دولارات وعشرة سنتات ...  
 وهل تضارب الآن ؟  
 - نعم . انك ولا شك تعرف الزنجى الأعرج الذى يملكه مستر  
 براديسن الكهل ؟ ... لقد انسا مصرفا ، وهو يقول ان كل شخص  
 يودع دولارا في هذا المصرف يحصل على اربعة دولارات في نهاية  
 العام ... ولقد ساهم جميع الزوج في هذا المصرف ولكنهم لا  
 يملكون نقودا كثيرة . وكنت انا الوحيد الذى يملك هذا القدر من  
 النقود ، ومن تم تمسكت بالحصول على اكثر من اربعة دولارات  
 وقلت اننى اذا لم احصل على بفيثى فسافتح مصرفا ! وكان هذا  
 الزنجى يريد ابعادى عن مثل هذا العمل ، فقال ان الامر لا يتسع  
 لمصرفين ، وقال اننى أستطيع ان اودع دولاراتى الخمسة في مصرفه ،  
 وانه سيدفع لى خمسة وثلاثين دولارا في نهاية العام !!  
 فاعطيته المال . وانا اعتقد اننى سوف أستثمر الخمسة  
 والثلاثين دولارا بمجرد حصولى عليها . وادع الامور تجرى في  
 اعنتها .. وكان هناك زنجى اسمه بوب حصل على كوخ خشبى  
 بغير علم من سيده . فاشترى منه على ان يحصل على الدولارات  
 الخمسة والثلاثين في نهاية العام ، ولكن شخصا ما سرق الكوخ الخشبى

اثناء الليل . وفي اليوم التالي قال لى الزنجى الأعرج ان المصرف  
قد أفلس ، وهكذا لم يحصل أحد منا على نقوده !!  
وكان الحزن باديا على « جيم » فقلت له :  
— لا تحزن يا « جيم » . . فسوف تصبح نريا فى أحد الايام .  
فقال « جيم » :  
— صدقت . . والحق أننى ثرى . . فأنا سيد نفسى الآن . .  
بل اننى أساوى ثمانمائة دولار كانت الآنسة واطسون تستطيع أن  
تبيعنى بها! . . وانه لمبلغ كبير لا تهفو نفسى الى اكثر منه !

## الفصل التاسع

### الكهف - المنزل العالم - غنيمة كبيرة .

أعربت لجيم عن رغبتي في رؤية مكان معين في منتصف الجزيرة تقريبا ، كنت قد عثرت عليه أثناء قيامي بعملية الاستكشاف . ومن ثم فقد مضينا اليه وسرعان ما بلغناه ، لأن طول الجزيرة لم يكن يتجاوز ثلاثة أميال، كما أن عرضها لم يكن يتجاوز ربع ميل . وكان ذلك المكان عبارة عن تل عميق شديد الانحدار أو أخذ و يبلغ ارتفاعه حوالي أربعين قدما ، ولقد لاقينا عناء شديدا حتى تمكنا من الوصول الى القمة لشدة انحدار جوانب التل وكثافة الأعشاب النامية فوقه . وأخذنا نرتاد التل مستكشفين . ولم نلبث أن عثرنا على كهف كبير بين الصخور عند قمة التل تقريبا من ناحية « اليسوى » . وكانت مساحة هذا الكهف تعادل مساحة غرفتين أو ثلاث غرف فسيحة ، وكان في استطاعة « جيم » ان يقف فيه منتصباً . أما الطقس بداخله فكان رطبا ، وكان من رأى جيم أنه يحسن بنا أن ننقل أمتعتنا الى الكهف بدون إبطاء ، ولكنى قلت ان الصعود الى التل والهبوط منه يستغرقان وقتا طويلا . وقال « جيم » اننا اذا استطعنا اخفاء القارب في مكان آخر واحتفظلنا بأمتعتنا في الكهف ، فاننا نستطيع الرحيل بسرعة اذا جاء أحد الى الجزيرة ، وان أحدا لن يستطيع العثور علينا الا اذا



استعان بالكلاب . ثم قال أن الطيور حين حلقت فوق رأسنا كانت تنذرنا بأن السماء ستمطر .. وعلى ذلك يحسن بنا أن نختفى فى الكهف حتى لا تبزل أمنعتنا .

وهكذا عدنا أدراجنا الى القارب ورحنا نجذف حتى بلغنا نقطة محاذية للكهف ثم نقلنا جميع أمتعتنا اليه ، وبحسنا عن مكان قريب لنخفى القارب فيه بين أشجار الصفصاف المتشابهة . وبعد أن اصطدنا بعض السمك أعدنا وضع « السنانير » فى الماء وبدأنا نتأهب لاعداد الطعام .

وكان باب الكهف واسعا الى درجة تكفى لدحرجة برميل كبير من خلاله ، وعلى احد جانبي الباب ، كانت أرض الكهف بارزة قليلا ومسطحة بحيث تصلح لإنشاء موقد عليها ، وقد أنشأناه فعلا وطهونا الطعام .

وبسطنا البطاطين على الأرض — كما لو كانت سجادة — وتناولنا طعامنا فوقها ، ثم وضعنا جميع أمتعتنا فى مؤخرة الكهف حتى تكون فى مناول أيدينا . وبعد قليل اظلمت الدنيا ، وبدأ الرعد يهزم والبرق يومض ، فبادرت الطيور بالفرار ، ثم اخذ المطر ينهمر بغرارة شديدة ، وراحت الريح تقصف بعنف لم يسبق لى أن شأهدت مثله .. كانت عاصفة من عواصف الصيف الدورية ، وكان الفضاء خارج الكهف شديد الظلام ، أما الأشجار فكانت تبدو — والامطار تكتسحها اكتساحا — مثل نسيج العنكبوت ، وكانت الريح لا تلبث أن تشتد ، فتمايلت الأشجار وتساقطت أوراقها وتشابكت أغصانها . وكلما اشتد الظلام حلكت ، أومض البرق وتألقت الدنيا نورا . ثم لا يلبث الدنيا أن تفرق فى الظلام الحالك ، ثم يفرق البرق محدنا انفجارا يصم الآذان ويدوى بطول السماء وعرضها .

\*\*\*

واستمر الفيضان فترة تتراوح بين عشرة ايام واننى عشر يوما حتى فاض ماء النهر على النساطين ، فبلغ عمق الماء ثلاث اقدام أو اربعا فى الأماكن المنخفضة من الجزيرة وفى قاع «الينوى» . وكان الشاطئ متسعا عدة اميال على هذا الجانب ، ولكنه كان بعرض الجزيرة من ناحية نهر الميسورى - نصف ميل فقط - وكان شاطئ الميسورى عبارة عن جدار من الصخور المرتفعة .

وكنا نركب القارب فى النهار وندور حول الجزيرة ، وكنا نرتاد الغاب فنسير بين الاشجار . وكانت السكروم تتشابك فى بعض الأماكن فتسد الطريق ، فنضطر الى العودة من حيث جئنا لنبحث عن طريق آخر . ولكننا كنا نرى فى كل شجرة قديمة محطمة كثيرا من الأرناب والثعابين وما شابهها ، فاذا ما اغرق فيضان النهر الجزيرة يوما أو يومين اسناست هذه الحيوانات بسبب الجوع ، وهكذا يمكنك ان تركب القارب وتجذف نحوها وتمسك بها جميعا الا الثعابين والسلاحف البحرية - لأنها تبادر بالانزلاق تحت الماء ! وكانت حافة التل التى يوجد فيها كهفنا مملوءة بهذه الحيوانات ، ومن ثم كان فى استطاعتنا أن نحصل على عدد كبير من الحيوانات الاليفة متى شئنا .

وذات ليلة ، استطعنا أن نعتز على افريز خشبى مصنوع من الواح خشب الصنوبر الجميلة . وكان عرضه اثنتى عشرة قدما وطوله حوالى خمس عشرة أو ست عشرة قدما ، وكان سطحه يعلو عن سطح الماء حوالى ست أو سبع بوصات وكانه قطعة من الأرض الصلبة . وكنا نرى كثيرا من كتل الأخشاب الطافية فوق سطح الماء فى بعض الأحيان ، ولكننا كنا نتركها نمضى فى طريقها . لأننا كنا نحرص على عدم الظهور فى النهار .

وفى ليلة اخرى ، بينما كنا واقفين عند رأس الجزيرة قبل طلوع النهار مباشرة ، رأينا منزلا سائرا ( متحركا ) مع التيار على

الجانـب الغربى من النهر ، وكان المنزل خشبـيا مكونا من طابقين ، وكان مائلا بدرجة كبيرة ، فركبنا القارب ولحقنا به ثم تسلقناه ودخلنا فى نافذة علوية ، ولكن الظلام كان لا يزال حالكا بحيث تستحيل معه الرؤية ، فربطنا القارب الى المنزل العائم وانتظرنا طلوع النهار .

وبدا النهار فى الطلوع قبل أن نصل الى طرف الجزيرة . وعندئذ تطلعنا من النافذة واستطعنا أن نرى سريرا ومنضدة ومقعدين قديمين وأشياء أخرى كثيرة مبعثرة على الأرض . وكانت هناك ملابس معلقة فوق الجدار ، كما كان هناك شيء ممدد فوق الأرض فى الركن البعيد . وكان هذا الشيء على هيئة رجل ! فصاح به جيم :

— يا هذا ...

ولكن الرجل لم يتحرك ، فصاحت أناديه ، وعندئذ قال جيم :  
— ان الرجل ليس نائما ، انه ميت .. الزم الهدوء وسأذهب لأتـبين جلية الأمر .

وتقدم من الرجل ، وانحنى فوقه ، وتطلع اليه ثم قال :  
— انه رجل ميت ، نعم ميت ، وهو عار أيضا ، لقد أطلق الرصاص عليه من الخلف ، وأكبر ظنى أنه مات منذ يومين أو ثلاثة أيام ، تعال يا « هالك » ، ولكن لا تنظر الى وجهه لأن منظره مخيف .

ولم أنظر الى وجهه .. وألقى جيم فوقه بعض الخرق القديمة . ولم أر سببا يدعو الى اخفاء وجه الرجل الميت لأننى لم أكن راغبا فى النظر الى وجهه .. وكانت هناك أكـداس من أوراق اللعب القـدرة مبعثرة فوق الأرض ، وزجاجات خمر قديمة ، وقنـاعان مصنوعان من قماش أسود اللون ؛ وفوق الجدران نقشت كلمات غير مفهومة وصور سيئة الرسم مرسومة بالفحم ، وكان هناك

ثوبان فديمان من « الدبلان » ، وقبة شمس صغيرة ، وبعض ثياب نسائية داخلية معلقة فوق أحد الجدران ، وبعض ثياب الرجال أيضا . ولقد نقلنا جميع هذه الأشياء الى القارب لعلها تنفعنا في المستقبل . وعترت على قبة غلام قديمة من القش المنقوش ملقاة على الأرض فأخذتها ، وكانت هناك أيضا زجاجة بها آثار لبن ، ولها سداة من القماش ليرضع منها طفل ، وكذا نهم بأخذ هذه الزجاجة لولا أننا وجدناها « مكسورة » . وكان هناك كذلك صندوق عتيق وحقيبة قديمة محطمة « المفصلات » . وكان الصندوق والحقيبة مفتوحتين ، ولم يكن بهما شيء يستحق الذكر . وعلى أية حال فقد استخلصنا من منظر تلك الأشياء المبعثرة أن سكان المنزل هجروه على عجل ولم يكونوا مستعدين لنقل معظم أمتعتهم !

وحصلنا على مصباح عتيق من الصفيح ، وسكين جزار بدون مقبض ، وسكين جديدة تساوى دولارين في أى حانوت ، وعدد من الشمعدانات المطلخة بالشمع ، وفنجان من الصفيح ، ولحاف قديم كان ملقى على الأرض ، وكيس صغير ، وأبر ، وشمع غسل ، وأزرار ، ودبابيس ، وخيط ، وقادوم صغير ، وبعض المسامير ، وسنارة قطرها كقطر اصبعي الخنصر بها شص عجيب المنظر ، وياقة منتشة ، وحدوة حصان ، وبعض زجاجات من الدواء لا تحمل بطاقات تدل عليها . وبينما كنا نتأهب للانصراف عثرت على فرشاة ، كما عثر « جيم » على ساق خشبية ، كانت سيورها مقطوعة ولكنها كانت ساقا صالحة للاستعمال وأن كانت طويلة بالنسبة الى وقصيرة بالنسبة لجيم . غير أننا لم نعثر على الساق الأخرى رغم أننا بحثنا عنها في كل مكان .

وهكذا نقلنا كل هذه الأشياء الى القارب ، وبذلك ربحتنا غنيمة كبيرة . وعند ما كنا على استعداد للرحيل ، تبين لنا أننا ابتعدنا

ميلا عن جنوب الجزيرة وأن ضوء النهار ساطع جدا ، ومن ثم ،  
فقد جعلت جيم يقبع في جوف القارب وغطينه باللحاف لأننى  
كنت أدرك أنه لو جلس في القارب لاستطاع الناس أن يميزوا أنه  
زنجى من بعد كبير . . ووجهت القارب نحو شاطئ « الينوى » .  
ومضينا حتى بلغنا منطقة الماء الهادىء فى امان وبغير ان نرى  
أحدا . وهكذا عدنا الى كهفنا سالمين !!

## الفصل العشائر

الثمانية دولارات الذهبية - « هانك  
يانكر » العجوز - التنكر في زى فتاة .

ما كدنا نفرغ من تناول طعام الافطار حتى أبديت رغبتى فى  
التحدث عن الرجل الميت والتكهن بكيفية قتله ، ولكن جيم رفض  
قائلا ان ذلك يجلب لنا النحس ، وان حديثنا عن القتل خليق  
بأن يجعله يحوم حولنا لأن روح الرجل الذى يموت ولا يدفن تكون  
أكثر قلقا من روح الرجل الذى يدفن ويستقر فى قبر . وبدأ لى  
قوله معقولا ، فامتنعت عن الكلام فى هذا الموضوع ، ولكنى  
لم أستطع أن أكف عن التفكير فيه ، وأنا أتمنى أن أعرف من الذى  
أطلق الرصاص عليه والسبب الذى حدا بالقاتل الى قتله !

وأخذنا نتفحص الملابس التى حصلنا عليها ونفتشها ، فعثرنا  
على ثمانية دولارات ذهبية مخبأة فى بطانة معطف مصنوع من بطانية  
قديمة ، وقال جيم انه يظن أن سكان المنزل « العائم » الذى عثرنا  
فيه على هذه الأشياء سرقوا هذا المعطف لأنهم لو كانوا يعرفون  
أن بداخله نقودا لما تركوها ، فقلت : اننى أعتقد أن جريمة القتل  
ارتكبت لذلك الفرض ، ولكن جيم رفض الحديث فى هذا  
الموضوع ، فقلت :

— انك تظن أن مثل هذا الحديث يجلب النحس ، ولكن هل تذكر ما قلته لى عندما احضرت جلد الثعبان الذى عثرت عليه عند حافة النهر أول أمس ؟ لقد قلت ان من أسوأ الأمور التى تجلب سوء الحظ أن ألمس جلد ثعبان بيدي . حسنا . . . ها هو النحس الذى تحدثت عنه . . . لقد حصلنا على كل هذه الغنيمة فضلا عن ثمانية دولارات . . . لكم أتمنى لو حاق بنا سوء حظ مماثل كل يوم يا جيم .

— لا تشغل بالك يا عزيزى . . . لا تكن متسرعا ، فان النحس مقبل لا شك فى ذلك . . . وسوف تتذكر كلمائى هذه عند ذاك . ولقد أقبل النحس فعلا . . . دار حديننا هذا فى يوم الثلاثاء ؛ وفى مساء يوم الجمعة تناولنا طعام العشاء ، ثم تمددنا فوق الحشائش وخطر لى أن أذهب الى الكهف لأحضر شيئا . وهناك وجدت ثعبانا ذا أجراس . فقتلته بسهولة ولففته ووضعته عند حافة البطانية التى ينام « جيم » عليها وأنا أتوقع أن يكون ذلك دعابة لطيفة لجيم عند ما يتهيا للنوم ، وعند ما حان موعد النوم كنت قد نسيت كل شيء عن الثعبان الميت . وعند ما القى « جيم » بنفسه فوق البطانية كانت « أليفة » الثعبان هناك ، وبينما كنت أضىء الشمعدان عضت الحية « جيم » .

ووثب « جيم » فى الهواء وهو يصرخ ، وما كاد الضوء يلا المكان حتى ألفتى الأفعى السامة تنهيا لوثبة جديدة ، فقتلتها بعصا غليظة ، بينما جذب جيم ابريق أبى المملوء بالشراب وبدأ يجرع ما فيه .

كان « جيم » حافى القدمين ، ولهذا عضسته الأفعى فى كعبه ، ولقد حدث ذلك نتيجة لحماقتى وعدم تذكرى أنه أينما يكون الثعبان الميت فإن « أليفته » تسمى إليه وتلف نفسها حوله . وطلب « جيم » منى أن أقصّل رأس الحية وأن أقيها بعيدا ، ثم

أنزع قطعة من جلد الأفعى وجسمها وأشويها ، ففعلت ذلك .  
وعندئذ أخذ القطعة وأكلها وهو يقول ان ذلك يساعد على شفائه .  
ثم جعلنى أقطع الأجراس وأربطها حول معصمه قائلا ان ذلك  
يساعد أيضا على شفائه ، وبعدئذ تسللت من الكهف بهدوء وألقيت  
بقايا الثعبان والأفعى بعيدا بين الحشائش ، اذ كنت أبغى ألا يعرف  
جيم اننى المخطيء ، ما دمت أستطيع أن أحول بينه وبين معرفة  
ذلك بالتخلص من الثعبان !

وراح جيم يجرع ما فى ابريق الشراب رويدا رويدا ، وكاد يفقد  
اتزانه بين الحين والحين فيتدحرج على الأرض وهو يصرخ صراخا  
مخيفا ، ولكنه كان لأ يلبث أن يتغلب على آلامه ويستأنف احتساء  
الشراب . ولقد تورمت قدمه ورجله تورما شديدا ، ولكن الشراب  
أحدث تأثيره ، فأيقنت أن جيم لن يلبث أن تتحسن حاله ، مع  
اننى كنت أفضل أن يلدغنى ثعبان على أن يستهلك شراب أبى !!  
وظل « جيم » طريح الفراش أربعة أيام ، ثم لم يلبث الورم ان  
اختفى ، واستعاد الزنجى قواه ، وعندئذ قررت ألا المس جلد ثعبان  
مرة أخرى بعد أن رأيت ما ترتب على ذلك من نتيجة . أما  
جيم فقد قال انه يجدر بى أن أصدق ما يقوله لى فى المرة التالية .  
وأضاف ان للمس جلد الثعبان نتائج وخيمة العاقبة ، وانه يفضل  
أن يرى القمر مرة من فوق كتفه الأيسر على أن يلمس جلد  
ثعبان بيده ! ولقد بدأت أومن بهذا الرأى أيضا رغم اننى كنت  
أعتقد دائما ان التطلع الى القمر من فوق الكتف الأيسر من أكثر  
الأعمال التى يأتئها الانسان دلالة على الاهمال والحماقة . ولقد  
فعل « هانك بانكر » العجوز ذلك ذات مرة ، وكان يتفاخر به .  
وفى أقل من عامين مات على أثر افراطه فى الشراب فدفنوه بين  
بابى « شونة » جعلوا منهما تابوتا . . . هكذا قالوا ، لأننى لم أر  
الحادث بنفسى ، وإنما سمعت هذه التفاصيل من أبى ، ومهما يكن



من أمر ، فان هذا الحادث كان نتيجة تطلع الرجل الى القمر بهذه الطريقة الحمقاء !

ومرت الأيام ، وانخفض منسوب ماء النهر بين ضفتيه مرة أخرى ، وكان أول شيء فعلناه ، أننا نصبنا فخا اصطدنا به سمكة فى حجم رجل ، طولها ست أقدام وبوصتان وزنتها أكثر من مائتى رطل ، ولم نستطع أن نقرب منها فى بادئ الأمر ، فتركناها تحاول التخلص من الشص الى أن استنزفت قواها واستسلمت . وعثرنا فى جوفها على زرار نحاسى وكرة وكثير من القمامة . وفتحنا الكرة بالقادوم فوجدنا بداخلها « بكرة » ، وقال جيم انه كان يملك هذه « البكرة » منذ أمد طويل وكان يريد تفلّيفها ليصنع منها كرة ، أما السمكة فكانت أضخم من أية سمكة اصطدناها من قبل فى نهر المسيسيبي . وقال جيم انه لم ير سمكة على هذه الضخامة وانها تساوى مبلغا كبيرا لو عرضت للبيع فى القرية ، فان الصيادين يذهبون بمثل هذه السمكة الى « حلقة » السمك حيث يبيعونها هناك بالرطل ، فيتنازع كل شخص جزءا منها لأن لحمها أبيض كالثلج وطعمها لذيد عند القلى !

وفى صباح اليوم التالى قلت ان الحياة قد أصبحت بطيئة مملة واننى أريد أن أفعل شيئا مثيرا ، وقلت اننى سأعبر النهر لأعرف ماذا يحدث فى المدينة ، وأعجب جيم بهذه الفكرة ولكنه قال انه يجب على أن أذهب فى الظلام وأن أكون على حذر ، ثم فكر فى الأمر مليا وسألنى اذا كنت أستطيع أن أرتدى بعض الثياب النسائية العتيقة التى عثرنا عليها لأبدو فى شكل فتاة . وأعجبتنى الفكرة بدورى ، فبادرنا بتقصير أحد الثوبين المصنوعين من « الدبلان » ثم ثنيت طرفى بنطلونى الى ما فوق ركبتى وارتديت الثوب ، وأغلقة جيم من الخلف بالمشابك ، فاذا به يلائمنى تماما . ووضعت قبعة الشمس فوق رأسى ، وربطتها أسفل ذقنى فأخفيت معالمه .

وقال جيم ان احدا لن يعرفنى حتى فى ضوء النهار . وظللت اتمرن على أداء دورى الجديد طوال النهار ، ولكن جيم قال اننى لا أمشى مشية فتاة وان على ألا أرفع ثوبى كلما أردت وضع يدى فى جيب بنطلونى ، وحرصت على تذكر هذه النصيحة ، وبذلك أجدت الدور .

وعند ما أرى الليل سدوله ركبت القارب ومضيت الى شاطئ « أليوى » .

وعبرت النهر فى طريقى الى المدينة من منطقة الى الجنوب قليلا من مرسى الزوارق ، وساعدنى اتجاه التيار على الوصول الى طرف المدينة ، وشددت قاربى الى الشاطئ ، وبدأت رحلتى فرأيت ضوءا ينبعث من كوخ صغير ظل مهجورا أمدا طويلا ، فتساءلت عمن يكون قد اتخذ له من هذا الكوخ مسكنا ، وتسلمت الى الكوخ واختلست النظر من النافذة فرأيت امرأة فى حوالى الأربعين من عمرها منهمكة فى شغل الابرة على ضوء شمعة مثبتة فوق منضدة من خشب الصنوبر . ولم أعرف وجهها ، اذ كانت غريبة على ، فقد كنت أعرف وجوه جميع من فى المدينة . وكان ذلك من حسن حظى ، اذ اننى كنت قد بدأت أضعف ، فقد تملكنى الخوف من اقدامى على المجيء خشية أن يعرف الناس صوتى ويكشفوا أمرى ، أما اذا كانت هذه المرأة قد جاءت الى المدينة الصغيرة منذ يومين ، فان فى استطاعتها أن تقول لى كل ما أريد معرفته دون أن تعرفنى . . . وطرقت الباب ، وحزمت أمرى على ألا أنسى اننى فتاة !!

## الفصل الحادى عشر

(( هالك )) والسبيدة - البحث - المراوغة -  
الذهاب الى (( جوشسن )) - أنهم فى أثرنا

- قالت المرأة : ادخل ... فدخلت  
ثم قالت : اجلسى ... ففعلت  
وتطلعت الى بعينيهما الصغيرتين المتألفتين ، ثم قالت :  
ما اسمك ؟  
- سارة ويليامز  
- وأين تقيمين ؟ فى هذه المنطقة ؟  
- كلا يا سيدتى . اننى أقيم فى « هوكر فيل » التى تبعد سبعة  
أميال عن هنا ، ولقد قطعت هذه المسافة سيرا على قدمى ، ولذلك  
فاننى متعبة أشد التعب .  
- وجائعة أيضا فيما أظن ؟ سأبحث لك عن شىء تأكليشه  
- كلا يا سيدتى . لست جوعانة ، فقد عرجت على مزرعة  
تبعد ميلين من هنا وأكلت هناك . ولذلك فاننى لم أجمع بعد ،  
وهذا هو السبب فى أنى تأخرت الى هذه الساعة . ان أمى مريضة ،  
ومفلسة . ولقد جئت لأقول ذلك لعمى « أبنى مور » الذى يقيم  
فى الجانب الآخر من المدينة كما قالت لى أمى ، وار اننى لم آت الى  
هذه المنطقة من قبل ، فهل تعرفينه ؟

— لا . . . اننى لا أعرف كل انسان هنا لأننى لم آت للإقامة فى هذا المكان الا من حوالى أسبوعين . . . نم ان المسافة الى الجانب الآخر من المدينة طويلة ، وخير لك أن تغضى الليلة هنا . . . اخلعى قبعتك .

فقلت : كلا . . . سأستريح قليلا ثم أستأنف رحلتى ، فاننى لا أخشى الظلام .

فقالت لى : انها لن تدعى أذهب بمفردى ، وأن زوجها لن يلبث أن يعود بعد ساعة أو ساعة ونصف فترسله معى . ثم بدأت تتحدث عن زوجها وعن أقاربها المقيمين على شاطئ النهر عند طرف المدينة الشمالى ، والآخرين المقيمين عند الطرف الآخر ، وعن مدى الثراء الذى كانوا ينعمون به ، وكيف انهم اكتشفوا فيما بعد أنهم أخطأوا حينما قدموا الى هذه المدينة ، وأنه كان يجدر بهم أن يتخلوا عن فكرة الهجرة الى المدينة ، وهلم جرا ، حتى بدأت أخشى أن أكون قد أخطأت بحيتى إليها طمعا فى معرفة ما يدور فى المدينة . ولكنها لم تلبث أن تحدثت بعد قليل عن أبى وجريمة القتل . وعندئذ قررت أن أجعلها تثرثر كما تشاء . حدثتني عن عشورى و « توم سوير » على الستة آلاف دولار ( ولكنها قالت انها عشرة آلاف ! ) ، وعن كل ما يتعلق بأبى وكيف أنه رجل صعب المراس وعن صعوبة مراسى أيضا ، ثم تطرقت الى الحديث عن جريمة قتلى . فقلت : من الذى ارتكب الجريمة ؟ . . . لقد سمعنا أقوالا كثيرة عن هذه الأحداث فى « هوكرفيل » . . . ولكننا لا نعرف من الذى قتل « هالك فن » .

— حسنا ، أعتقد أن أشخاصا كثيرين فى هذه المدينة يتوقون الى معرفة من قتله . ويظن البعض أن أباه « فن » العجوز هو الذى ارتكب الجريمة .  
— أحقا ؟ . . .

— لقد ظن كل شخص تقريبا ذلك في بادئ الأمر ، وكاد الرجل يروح ضحية هذه الريبة ، ولكن الناس ما لبثوا ان عدلوا عن هذا الاتهام قبل حلول الظلام ، ورجحوا أن القاتل زنجدى هارب اسمه جيم .

— انه ...

وأمسكت عن الكلام ، فقد أيقنت أن من الأفضل أن الود بالصمت واستأنفت السيدة الحديث بغير أن تلاحظ أنني قاطعتها .  
قالت : لقد هرب الزنجدى في الليلة ذاتها التي قتل فيها « هاكلبرى فن » . ولهذا أعلن عن دفع مكافأة قدرها ثلاثمائة دولار ، لمن يقبض عليه . وهناك مكافأة أيضا لمن يقبض على الأب « فن » قدرها مائتا دولار . فقد جاء الى المدينة في صباح اليوم التالي لارتكاب الجريمة ، وأفضى بنبأها ، كما رافق الباحثين عن جثة ابنه في الناقلة النهرية ، ولكنه لم يلبث أن اختفى بعد ذلك . وكان البوليس يريد استجوابه قبل حلول المساء ولكنه كان قد هرب . وفي صباح اليوم التالي اتضح أن الزنجدى قد هرب ، وتبين أن أحدا لم يره منذ الساعة الثامنة من الليلة التي ارتكبت الجريمة فيها ، فاتهموه بارتكابها ، وبينما كان الجميع يؤمنون بصدق هذا الظن ، عاد في اليوم التالي وأثار زوبعة عاتية مع القاضي « تاتشر » مطالبا إياه باعطائه نقودا ليستعين بها على مطاردة الزنجدى في جميع أنحاء « ألينوى » . وأعطاه القاضي بعض المال ، وفي تلك الليلة أسرف العجوز في شرب الخمر وأخذ يتجول في المدينة الى ما بعد منتصف الليل مصطحبا رجلين غريبين تثر هيئتهما الريبة ثم اختفى معهما ، ولم يعد منذ ذلك الحين . ولكنهم لن يبحثوا عنه الا بعد أن تهدأ الزوبعة قليلا ، اذ أن الناس يظنون الآن أنه قتل ابنه بطريقة تجعل الجميع يظنون أن لصوصا هم الذين ارتكبوا الجريمة ، وبعدئذ يمكنه المطالبة بثروة هائلة بغير حاجة الى الالتجاء للقضاء واجراءاته

الطويلة ... ويقول الناس انه غير صالح لاداء هذا العمل . واني  
أعتقد انه شديد المكر ، فاذا لم يعد قبل عام ، فان ذلك سيجعله  
بمنجاة من الخطر لأن أحدا لن يستطيع اثبات الاتهام عليه بعد أن  
تكون جميع الأدلة قد تلاشت ، ومن ثم يستطيع الحصول على  
ثروة « هاك » بكل سهولة .

— أعتقد أن الأمر كذلك . فلست أرى مأخذا في هذا الرأي  
... لكن هل صرف الجميع النظر عن اتهام الزنجى ؟

— أوه . كلا . ليس كل شخص يعتقد ذلك ، فان كثيرين ما  
زالوا يظنون أنه القاتل ، ولكنهم سوف يظفرون به عاجلا ؛ بل  
لعلهم يستطيعون ادخال الفرع في قلبه فيضطرونه الى الظهور .  
— ولكن لماذا يبحثون عنه حتى الآن ؟

— حسنا ... انك فتاة بريئة ... أليس كذلك ؟ هل تظنين  
أن الناس تتاح لهم كل يوم فرصة ربح ثلاثمائة دولار ؟ ان بعض  
الناس يظنون أن الزنجى ليس بعيدا من هنا ، وأنا واحدة منهم  
ولكني لم أذع هذا الرأي . ومنذ أيام قليلة كنت أتحدث مع  
زوجين طاعنين في السن يقيمان في كوخ خشبي مجاور ، وقد اتفق  
أن قالا ان أحدا لا يذهب الى تلك الجزيرة التي يطلقون عليها اسم  
جزيرة جاكسون ، فسألتهما : « ألا يقيم بها أحد ؟ » ... فأجابا :  
« كلا ... لا أحد » ... فلم أقل لهما شيئا آخر ولكنني فكرت  
في الأمر مليا ، وكنت شبه واثقة من أنني رأيت دخانا يتصاعد من  
عند رأس الجزيرة قبل ذلك الحديث بيوم أو اثنين ، فسألت ألا  
يجوز أن يكون الزنجى مختبئا في هذه الجزيرة وأن من الحكمة  
تفتيشها ؟ ولكني لم أر دخانا بعد ذلك ، فلعله رحل عن الجزيرة  
إذا كان هو الذي أشعل النار في تلك الليلة ، ولكن زوجي سيذهب  
لاستجلاء حقيقة الأمر ومعه رجل آخر . لقد ذهب الى النهر

ولكنه عاد اليوم فحدثته بما يساورنى من شكوك بمجرد عودته الى هنا منذ ساعتين .

وانتابنى القلق ، ولم أستطع أن ألزم الهدوء . وكان لابد لى من أن أفعل شيئاً بيدى ، فالتقطت إبرة من فوق المائدة ، وحاولت أن أدخل الخيط فى ثقبها . ولكن يدى كانتا ترتعشان فلم أوفق فيما حاولته . وعند ما كفت المرأة عن الكلام رفعت عينى اليها فألفيتها تتأملنى باهتمام وقد انفرجت شفاتها عن ابتسامة خفيفة ، فوضعت الإبرة والخيط فوق المنضدة وتظاهرت بالاصغاء الى حديثها ، وقلت :

— ان ثلاثمائة دولار مبلغ كبير . لكم أود لو تستطيع أسمى الحصول عليه ، هل سيذهب زوجك الى الجزيرة الليلة ؟

— أوه ... نعم لقد ذهب الى المدينة ومعه الرجل الذى حدثتك عنه للحصول على قارب ، ولمحاولة اقتراض بندقية أخرى ... وسيذهبان الى الجزيرة عند منتصف الليل .

— ألا تكون الرؤية أوضح اذا انتظرا حتى مطلع النهار ؟

— نعم ، ولكن ألا يستطيع الزنجى أيضا أن يرى فى ضوء النهار أفضل مما يرى فى الليل ؟ ومن الأرجح أنه سيكون مستغرقا فى النوم بعد منتصف الليل ، ومن ثم ستتاح للرجلين فرصة أفضل لرؤية النار التى يشعلها الزنجى فى الظلام ان كان سيشتعل نارا .

— ان ذلك لم يخطر ببالى .

واستمرت المرأة تتأملنى باهتمام ، فازداد قلقى .. وسرعان ما قالت :

— نسيت اسمك .. ما اسمك يا حبيبتى ؟

— م ... مارى ويليامز .

وخيل الى أننى لم أقل أن اسمى مارى فى المرة السابقة . ولذلك لم أنظر الى محدثتى ، وبدا لى اننى قلت ان اسمى ساره ،

ولهذا أدركت اننى أوقعيت نفسى فى مازق حرج ، وختسيت أن  
يفضحنى ارتباكى . وتمنيت لو استأنفت المرأة الحديث لأنها كلما  
استغرقت فى الصمت زاد ذلك من قلقى وارتباكى . . وبعد قليل  
قالت :

— لقد ذكرت لى يا حبيبتى أن اسمك سارة عند ما سألتك  
عنه فى المرة السابقة .

— أوه ، نعم يا سيدتى . . ان اسمى ساره مارى ويليامز .  
ان ساره هو اسمى الأول ، والبعض يطلقون على اسم سارة بينما  
يطلق على البعض الآخر اسم مارى .

— أوه . . . هذا معقول .

— نعم يا سيدتى .

وبدأت أشعر بشيء من الارتياح ، ولكنى تمنيت أن أتمكن من  
الانصراف ، ولم أستطع أن أطلع الى السيدة خشية افتضاح  
أمرى .

واستأنفت السيدة الحديث ، فأخذت تردد أن الوقت عصيب  
وأن الناس يعيشون فى فقر مدقع ، وأن الفئران تتجول فى الكوخ  
كما لو كانت هى مالكته ، وهلم جرا . . وعندئذ عاودنى الارتياح ،  
فقد كان ما قالته السيدة عن الجرذان صحيحا لأننى رأيت جرذا  
يبرز أنفه من جحر فى ركن الكوخ بين آونة وأخرى . وقالت انها  
تضطر الى الاحتفاظ ببعض الأشياء لتقذفهم بها عند ما تكون  
وحدها والا فانهم لن يجعلوها تشعر بسلام . وأمسكت بقضيب  
من القصدير ملفوف على شكل أنشودة وقالت انها تجيد الرماية  
به ولكن ذراعها التوى منذ يومين وانها لم تعد تعرف ان كانت  
تجيد الرماية الآن أم لا ، وتترقب فرصة للتحقق من ذلك . . .  
وفى اللحظة التالية رفعت المرأة القضيب وقذفت الجرذ به ولكنها  
أخطأته . وتأوهت لأن المجهود آلم ذراعها كثيرا . . وطلبت منى



أن أجرب إصابة الجرذ في المرة التالية ، ولكنى كنت أتلف على الانصراف قبل أن يعود زوجها وان كنت لم أصارحها بذلك ، وأمسكت بالقضيب وما كاد أول جرذ يبرز أنفه حتى قذفته بالقضيب .. ولو أن الفأر لزم مكانه لأصيب ولكنه لم يفعل . وقالت المرأة اننى رامية ماهرة وانها تقترح على أن أحاول ذلك مرة أخرى ، ونهضت وأحضرت قضيب القصدير كما أحضرت « كرة » من الخيط وطلبت منى أن أساعدها في اعدادها لشغل الابرّة ، فبسطت لها يدي فأخذت تلف الخيط حولهما ، ومضت تتحدث عن شئونها وشئون زوجها ، ثم قالت فجأة :

— راقبى الجرذان ! يحسن بك أن تضعى قطعة القصدير فى حجرك !

ووضعت قطعة القصدير فى حجرى ، وضممت فخذى حولها . واستمرت السيدة فى الحديث ، ولكنها كفت عنه بعد لحظات . ثم حدثت فى وجهى بعد أن انتزعت كرة الخيط ، وقالت بلطف :

— والآن أخبرينى ما اسمك الحقيقى ؟

— ماذا تقولين يا سيدتى ؟

— ما اسمك الحقيقى ؟ هل هو « بيل » أو « توم » أو « بوب » .. أو ماذا ؟

أكبر ظنى اننى انتفضت كريشة فى مهب الريح ، ولم أدر ماذا أفعل ، ولكنى قلت :

— أرجوك الا تسخرى من فتاة فقيرة يا سيدتى .. اذا كان وجودى يضايقك فانى ..

— كلا .. كلا .. اجلس والتزم مكانك ، فاننى لن أسئء اليك ، كما اننى لن أفصح أمرك .. فقط اذكر لى شرك وثق بى فاننى سأكتمه ، بل وسأمد لك يد المساعدة ، كما سيساعدك زوجى أيضا اذا أردت مساعدته . انك غلام ضائع هارب .. وليس فى

ذلك موضع للمؤاخظة ؛ فقد اسيئت معاملتك فقررت الفرار . .  
فليباركك الله أيها الصبي . . اننى لن اشئ بك ، فهيأ حدثنى  
بأمرك أيها الغلام الطيب .

وأدركت أن من العبث أن اتحدى فى تمثيل دور الفتاة ، وأن من  
الخير لى أن أفضى الى محدثى بالحقيقة كلها على شريطة ألا تتراجع  
فى وعودها ، فقلت لها اننى يتيم مات أبى وأمى ، وأن القانون  
الزمنى بالاقامة مع فلاح كهل وضع فى الريف على مبعدة ثلاثين  
ميلا من الناحية الجنوبية للنهر ، وأن الفلاح أساء معاملتى فلم أعد  
أطبق البقاء فى منزله فانتهزت فرصة غيابه عن المنزل لمدة يومين  
وسرقت بعض ملابس ابنته القديمة وهربت . وقلت لها اننى  
قطعت مسافة الثلاثين ميلا فى ثلاث ليال لأننى كنت أسير بالليل  
وأختبئ وأنام بالنهار، أما الحقيبة المملوءة بالخبز واللحم التى أخذتها  
معى من المنزل فقد كفتنى طوال الطريق ، وما زال معى طعام  
كثير . وأضفت أننى اعتقد أن « آبنر مور » سوف يعنى بى . .  
وهذا هو السبب فى اننى جئت الى مدينة « جوشن » هذه .

— « جوشن » ! . . هذه ليست « جوشن » يا غلام . . أنك  
فى « سانت بيتر سبورج » . . أن « جوشن » على مسافة عشرة  
أميال شمال النهر . من قال لك أن هذه هى مدينة « جوشن » ؟  
— رجل قابلته فجر اليوم عند ما كنت أتهبأ لدخول الغابة  
لأفوز بقسط من النوم . . لقد قال لى أن أسلك الطريق الأيمن  
عندما أصل الى المكان الذى يتفرع عنده الطريق الذى كنت أتبعه ،  
فلن أثبت أن أصل الى مدينة « جوشن » بعد خمسة أميال .  
— أكبر ظنى أنه كان مخمورا ، فقد كان قوله خاطئا .

— حسنا ، لقد كان يتصرف كالمخمور ، ولكن لا بأس . ينبغي  
أن أنصرف الآن حتى أستطيع أن أصل الى « جوشن » قبل  
طلوع النهار .

— مهلا لحظة ، سأعد لك طعاما خفيفا ، فقد تحتاج اليه .  
وأعدت لى الطعام ثم قالت :  
— أخبرنى .. عند ما ترقد البقرة فأى طرف من طرفيها  
يرتفع أولا ؟ أجب سريعا .. لا تتوقف رينما تفكر فى الأمر ..  
أى الطرفين يرتفع أولا ؟  
— الطرف الخلفى يا سيدتى .  
— والجواد ؟  
— الطرف الأمامى يا سيدتى .  
— أى الجانبين من الشجرة يكون أكثر عرضة لنمو الطحالب  
عليه ؟  
— الجانب الأيسر .  
— اذا كانت خمس عترة بقرة ترعى الكلا فوق التل فكم عدد  
الأبقار التى تأكل ورؤسها فى اتجاه واحد ؟  
— جميعها يا سيدتى .  
— حسنا ، أظن أنك عشت فى الريف .. لقد خطر لى أنك  
تحاول تضليلى ثانية ، والآن ما اسمك الحقيقى ؟  
— جورج بيترز يا سيدتى .  
— حسنا ، حاول أن تتذكره يا جورج .. اياك أن تنساه ..  
لا تقل لى انه الكسندر قبل أن تنصرف ، ثم تحاول تفضية خطأك  
فتقول انه جورج الكسندر عند ما أوقع بك ! و ثم لاتحاول خداع  
السيدات بارتداء هذا الثوب النسائى العتيق ، انك تسيء تمثيل  
دور الفتيات ولكنك قد تخدع الرجال .. فليباركك الله أيها  
الفلان .. عند ما تحاول أن « تلضم » الابرة لا تنبت الخيط  
وتحرك الابرة لتدخله فى الثقب ، وانما ثبت الابرة وحاول ادخال  
الخيط فى الثقب ، فتلك هى الطريقة التى تتبعها المرأة فى أغلب  
الأحوال . أما الرجل ، فيعمل العكس . وعند ما تحاول اصابة

جرذ أو أى شئ آخر ، قف على أطراف أصابعك وارفع يديك فوق رأسك بارتباك بقدر ما تستطيع ثم اخطئ الهدف بحوالى ست أو سبع أقدام ، واجعل الرمية عنيفة من الكتف كما لو كان هناك محور يجب أن تدور حوله - فهذا ما تفعله الفتاة ، وليس من المعصم والمرفق وذراعيك الى أحد الجانبين كما يفعل الغلام . . وتذكر أن الفتاة تفتح حجرها حينما تحاول أن تحتفظ بشئ فيه وأنها لا تضم فخذيهما كما فعلت عند ما التقطت قطعة القصدير . لقد اكتشفت أمرك ، وعرفت أنك صبي عند ما كنت ( تلضم ) الابرة . ولقد استنتجت الأشياء الأخرى للتأكد . . والآن اذهب الى عمك يا « سارة ماري ويليامز جورج الكسندر بيترز » ! وإذا صادفتك أية متاعب ، ابعث بكلمة الى السيدة « جوديت لوفتاس » التى هى أنا ، وسأبذل ما فى طاقتي لانقاذك من المتاعب . اسلك طريق النهر باستمرار ، وعند ما تتجول فى المرة القادمة ارتد جوربا وحذاء لأن طريق النهر صخرى فسوف تدمى قدمك قبل أن تصل الى « جوشن » .

وسرت فى طريق النهر حوالى خمسين ياردة ، ثم نكست على عقبى وتسلت الى المكان الذى تركت قاربى فيه بالقرب من كوخ السيدة ووثبت بداخله وأطلقته على عجل ، وسرت مع التيار مسافة كافية فى اتجاه رأس الجزيرة ، ثم عبرت النهر ، وخلعت القبعة لأننى لم أكن بحاجة الى شئ يعوق قدرتى على الابصار . وعند ما توسطت النهر تقريبا سمعت ساعة تدق ، فتوقفت عن التجديف وأصخت السمع . ومع أن صوت دقات الساعة كان ضعيفا فانه بدا لى واضحا ، فعرفت أن الساعة الحادية عشرة ، وعند ما بلغت رأس الجزيرة ، دفعت القارب الى منطقة معسكرى القديم ، وأشعلت نارا كبيرة فوق مكان مرتفع جاف . ثم وثبت فى القارب ومضيت الى المنطقة التى نعسكر فيها

والتي تبعد ميلا ونصف ميل الى الجنوب بأسرع ما استطعت ،  
ووثبت الى البر ، وركضت متسلقا التل حتى بلغت الكهف .  
فألفيت « جيم » مستغرقا في النوم على الأرض ، فأيقظته وقلت :  
— انهض سريعا يا جيم ، فليست هناك دقيقة يحسن بنا أن  
نضيعها ، لأنهم يطاردوننا .

ولم يستفسر « جيم » عن معنى قولي ، بل انه لم ينبس  
ببنت شفة ، الا أن تصرفاته خلال النصف الساعة التالي أفضحت  
لي عن مدى ذعره ، وفي تلك الاناء كان كل شيء مملكه قد نقل الى  
العائمة التي عثرنا عليها ، وكانت العائمة ذاتها معدة للابحار من  
الفجوة التي أخفيناها فيها . وبادرنا فاطفانا النار التي كانت  
مشتعلة في معسكرنا كما اطفأنا جميع الشموع .

وأخرجت القارب بعيدا عن الشاطئ قليلا ، ثم أقيت نظرة  
حولى لأستوثق مما اذا كان هناك قارب آخر ، ولكنى لم أستطع  
الرؤية لأن ضوء النجوم كان باهتا . ثم ركبنا العائمة على عجل  
ومضينا بها متجهين نحو طرف الجزيرة بغير أن نتبادل كلمة  
واحدة !

## الفصل الثاني عشر

الملاحه البطيئة - اقتراض أشياء - الصعود  
فوق الحطام - المتآمرون - أقوال ليست  
من الأخلاق في شيء - البحث عن العائمة .

لا ريب أن الساعة كانت قد بلغت الواحدة عند ما وصلنا في  
النهاية الى طرف الجزيرة ، وقد خيل الى أن العائمة تقطع النهر  
ببطء . وكنا قد قررنا اذا ما رأينا قارباً مقبلاً نحو الجزيرة أن  
نبادر بركوب قاربنا ونذهب به الى شاطئ « الينوى » . وكان  
من حسن الحظ أن قارباً ما لم يأت . . وكنا قد نسينا أن نضع  
البندقية أو السنانير أو أى شيء نطعم به في القارب، لأننا كنا في عجلة  
من أمرنا حتى أننا لم نجد متسعاً من الوقت للتفكير في أشياء كثيرة . .  
حقاً ، لقد كان من خطر الرأي أن نضع كل شيء على العائمة !!  
وبدأنا نفكر . . .

لو أن رجلين ذهبا الى الجزيرة ، فمما لا جدال فيه انهما عثرا  
على النار التي أوقدتها . . ومن المؤكد أنهما سيراقبانها طوال  
الليل في انتظار عودة جيم ، وعلى كل حال ، فانهما سيبقيان  
بعيدا عنا . أما اذا لم تخدعهما النار التي أشعلتها ، فلن يكون  
الخطأ خطأى فقد بذلت قصارى جهدى لتضليلهما .  
وعند ما بدأت خيوط النهار الأولى تظهر في السماء ، شددنا

العائمة الى انحاء كبير في شاطئ « الينوى » وكسرنا بعض فروع  
حطب القطن بالقادوم وغطينا العائمة بها حتى تبدو ككهف داخلي  
في الشاطئ .

وكانت على شاطئ الميسورى جبال ، كما كانت هناك اشجار  
ضخمة كثيفة من ناحية « الينوى » . وكان مجرى الماء يتصل  
بنهر الميسورى في هذه المنطقة ، ومن ثم لم نشعر بأى خوف من  
مقابلة أحد . وبقينا في هذا المكان طوال النهار ، ورحنا نراقب  
العائمات والقوارب البخارية وهى تمخر عباب اليم بجوار شاطئ  
الميسورى بينما كانت البواخر الكبيرة تصارع اللجج في قلب  
النهر ، وحدثت جيم بكل ما دار بينى وبين السيدة ، فقال جيم  
انها امرأة ذكية لبقة ؛ واذا كانت هى التى ستخرج لتعقبنا فانها  
لن تجلس لتراقب نار المعسكر . . كلا يا سيدى ، انها ستستعين  
بكلب . . فقلت : ولماذا لا تطلب من زوجها أن يبحث عن كلب ؟  
فقال جيم انه يراهن أنها سوف تفكر في ذلك عند ما يتأهب  
الرجلان لرحلتها ، وانه يعتقد انهما لا ريب قد ذهبا الى المدينة  
للبحث عن كلب ، ولهذا أنفقا كثيرا من الوقت ، والا لما كنا في هذا  
المكان الذى يبعد ستة عشر أو سبعة عشر ميلا عن القرية ، ولكننا  
الآن في المدينة القديمة ذاتها !! فقلت ، اننى لا أعبأ بالسبب الذى  
من أجله لم يستطيعا القبض علينا ما داما لم يقبضا علينا !!

وعند ما بدأ الليل يرخى سدوله ، أخرجنا رأسينا من بين  
أعواد القطن الكثيفة وتطلعنا أمانا فلم نر شيئا على مرمى البصر .  
والتقط جيم بعض الألواح الخشبية من فوق العائمة ، وأنشأ كوخا  
هنديا مريحا لكى نلوذ به من القیظ والمطر ، ونحتفظ فيه بأمعتنا  
جافة ، ولقد صنع جيم « أرضية » للكوخ رفعها قدما أو أكثر  
فوق سطح العائمة ؛ وهكذا أصبحت البطاطين وجميع الأمتعة  
بعيدة عن متناول الرشاش المتطاير بسبب مرور البواخر .

ووضعنا طبقة من الطين يتراوح سمكها بين خمس بوصات وست بوصات وجعلنا حولها اطارا يشبتها في مكانها ، لنشعل فوقها نارا عند ما يكون الطقس باردا . وكان الكوخ كفيلا بحجب هذه النار عن العيون ، وصنعنا مجدافا اضافيا خشية أن يتحطم مجداف من مجدافينا . وأعدنا عصا قصيرة ثبتناها في الكوخ لنعلق المصباح فوقها ، اذ كان يتعين علينا أن نوقد المصباح كلما رأينا باخرة مقبلة نحونا خشية أن ترتطم بنا ، ولكننا قررنا ألا نضيئه اذا اقتربت منا القوارب العادية اللهم الا اذا كان هناك خطر من اصطدامها بنا .

وفي الليلة الثانية ظللنا نسير زهاء سبع ساعات أو ثمان ساعات في تيار سرعته أكثر من أربعة أميال في الساعة وقطعنا الوقت في صيد السمك والحديث ، كما كنا نستجم بين الحين والحين لنبعد النوم عن جفوننا ، وكانت رحلتنا هذه نوعا من الانسياق السهل مع التيار فوق صفحة ماء النهر الهادئ . ولقد تمددنا فوق ظهورنا وأخذنا نتطلع الى النجوم ولم نشعر بأى رغبة في الكلام بصوت مرتفع ، كما أننا لم نكثر من الضحك ، وإنما كنا نققه بصوت منخفض ، وكان الطقس لطيفا بصفة عامة ولم يقع لنا أى حادث في تلك الليلة أو الليلة التي تلتها أو التي جاءت بعدها .

وكنا نمر بالمدن في كل ليلة ، وكان بعضها بعيدا فوق جوانب التلال السوداء حيث كانت تبدو كفراش لامع من الأضواء ، ولكننا لم نستطع أن نرى أى منزل من منازل هذه المدن . وفي الليلة الخامسة مررنا بمدينة سانت لويس وكانت أشبه بعالم كامل مضى . ولقد سمعناهم في « سانت بيترسبرج » يقولون أن سكان « سانت لويس » يبلغون عددا يتراوح بين عشرين ألف وثلاثين ألف نسمة ، ولكنى لم أصدق ذلك حتى رأيت ذلك الانتشار المدهش للأضواء



فى الساعة الثانية صباحا من تلك الليلة الهادئة . ولم يكن يرتفع من المدينة أى صوت ، لأن جميع من فيها كانوا نياما .

وكننت اتسلل الى الشاطيء حوالى الساعة العاشرة كل ليلة ، فأمضى الى اقرب قرية لأبتاع منها طعاما ولحما أو أية مأكولات أخرى فى حدود عشرة سنتات أو خمسة عشر سنتا ، وكننت أسرق أحيانا دجاجة أصادفها فى طريقى ، فطالما قال لى أبى انه لا بأس من أن أسرق دجاجة كلما أتحت لى فرصة ، لأننى ان لم أكن بحاجة اليها فان هناك من هو بحاجة اليها ، والصنيع لا يمكن أن ينسى ، ولكننى لم أر أبى فى غير حاجة الى دجاجة مطلقا . . غير أن هذا هو ما كان يقوله على أية حال !! . . . ولكننى بعد أن كبرت استنكرت أمر السرقة أيا كان سببها ، ووددت لو كان هناك طريقة أستطيع بها رد ما سرقت الى أصحابه تكفيرا عن ذنبى . . ولكن كيف ؟ . . . واأسفاه . . !!

وفى صباح بعض الأيام ، كنت اتسلل الى حقول القمح و « أقترض » بطيخة أو شماعة أو بعض حبوب القمح أو أشياء من هذا القبيل ! فقد كان أبى يقول الا ضير على الانسان اذا « اقترض » بعض الأشياء ما دام فى نيته دفع ثمنها فى أحد الأيام ! ولكن الأرملة كانت تقول ان ذلك ليس الا ( مظهرا ) مخففا لجريمة السرقة ، وهو ما لا يقبل الانسان الشريف الاقدام عليه . ولقد قال جيم انه يعتقد أن الأرملة صادقة الى حد ما وأن أبى صادق الى حد ما أيضا ! . . . ولذلك فان أحسن طريقة يمكننا أن نتبعها هى أن نختار شيئين أو ثلاثة أشياء من القائمة ونقول اننا لن نقترضها ! ثم قال انه لا ضير علينا بعد ذلك اذا اقترضنا بقية الأشياء ! وهكذا ، قضينا ليلة كاملة فى مناقشة هذا الموضوع ، والعائلة تنساب بنا فوق صفحة الماء ، ونحن نحاول أن نستقر على رأى فيما اذا كان علينا أن نلقى بالبطيخة أو بالشماعة أو بغيرهما فى

«اليم . وعند ما بدأ انبثاق الفجر كنا قد حزمنا أمرنا بشكل يدعو للارتياح ، فقررنا القاء التفاح ولون آخر من الفاكهة في اليم ، وكنا نشعر بعدم الارتياح قبل أن نتخذ هذا القرار ، ولكن ما أن اتخذناه ونفذناه حتى أحسسنا بالراحة . ولقد سرنى أن الأمر انتهى على هذا النحو لأن التفاح والنوع الآخر من الفاكهة كانا فجين غير مستساغى الطعم ؛ ولأن « السرقة » أمر تعافه النفس النريفة مهما كان سببها !

وكنا نصطاد دجاجة مائية بين الحين والحين ، كلما وجدنا واحدة استيقظت مبكرة أو تأخرت عن النوم في الليل . وصفوة القول ، أن حياتنا في تلك الفترة كانت تهبث على الارتياح .

وفي الليلة الخامسة بعد مرورنا بمدينة « سانت لويس » هبت علينا عاصفة عاتية بعد منتصف الليل صحبها رعد وبرق شديدان، وانهمر المطر بغزارة ، فلزمنا الكوخ الهندى وتركنا العائمة وشأنها ! ولكن عند ما ومض البرق استطعنا أن نرى نهرا كبيرا مستقيما أمامنا وكتلا صخرية على الجانبين . وبعد قليل قلت « هالو جيم . . . انظر هناك ! » كانت هناك باخرة قد تحطمت على الصخور ، وكنا نتقدم حثيثا نحوها ، وقد أظهرها البرق بوضوح شديد . كانت مائلة على جانبها وما زال جزء من سطحها العلوى بارزا فوق الماء بحيث كان يمكن رؤية كل ما فوقه بوضوح .

وكان الظلام دامسا ، كما كانت العاصفة عاتية ، وكل ما يحيط بالباخرة محوطا بالغموض ، فانتابنى ذلك الاحساس الذى يسيطر على غلام مثلى يرى حطام سفينة مائلة على جانبها وحيدة حزينة في وسط النهر . . . وكنت أريد الصعود على ظهرها وارتياده قليلا لأرى ماذا هناك . ولذلك قلت :

— دعنا نصعد الى ظهرها. يا جيم .

ولكن جيم عارض قولى هذا بشدة في بادئ الأمر ثم قال :

— اننى لا أريد العبث فى سفينة غارقة . دعنا نبيع تعاليم الكتاب المقدس فلا نفعل ما يستوجب المؤاخذة . نعم انه من المحتمل جدا أن يكون هناك حارس فى هذه السفينة الغارقة .

فقلت : لعنة الله على الحارس . ليس هناك ما يستحق الحراسة ، فهل تظن أن هناك شخصا غيبيا يقبل البقاء على ظهر سفينة غارقة فى ليلة كهذه يحتمل أن تهوى الباخرة فيها الى الأعماق فى أية لحظة؟ ولم يستطع جيم الرد على هذا القول ، فاستطردت :

— وعلاوة على ذلك ، فاننا قد « نستعير » شيئا ذا قيمة من حجرة الربان . . . أراهنك أننا سنجد به مجموعة من السيجار . . . ان كل واحد منها يساوى خمسة سنتات . كما أن ربانة البواخر يكونون أثرياء دائما ويحصل الواحد منهم على مرتب يقدر بستين دولارا شهريا ، ولهذا فانهم لا يهتمون بسعر أى شىء يريدونه . ضع شمعة فى جيبك يا جيم ، فلن يهدأ لى بال حتى استكشف هذه الباخرة الغارقة . هل تظن أن « توم سوير » كان يدع مثل هذه الفرصة تفلت منه ؟ لست أظن انه يفعل ذلك حتى لو عرضت عليه فطيرة لذيدة ! انه يطلق على هذا العمل اسم مغامرة ، وليس من شك فى انه ماكان ليتردد فى الصعود على ظهر الباخرة الغارقة ولو كان ذلك آخر عمل يؤديه فى حياته . . . بل انه يبتكر فى مغامراته هذه . لكم أود لو قدم توم سوير الى هنا .

وتذمر جيم قليلا ، ولكنه استسلم فى النهاية قائلا أنه يجدر بنا ألا نتكلم أكثر من القدر اللازم ، وأن يكون كلامنا بصوت منخفض جدا ، ولمع البرق فى تلك اللحظة فكشف لنا عن الباخرة الغارقة مرة أخرى ، وكان ذلك فى الوقت المناسب فقد أثار لنا السبيل الذى يجدر بنا أن نسلكه ، فقصدناه على عجل .

كان سطح الباخرة عاليا ، فأخذنا نزحف هابطين المنحدر نحو يسارها متحسسين طريقنا فى الظلام بأيدينا وأقدامنا لكى لا نتعثر

في السلاسل والخيال في الظلام . وسرعان ما بلغنا الجانب الأمامى، وعثرنا على فجوة في سطح السفينة ، فهبطنا منها . وبعد لحظات كنا نقف أمام غرفة الربان . وكان الباب مفتوحا . وشد ما كانت دهشتنا حينما رأينا من خلال باب آخر في غرفة الربان ، نورا مضيئا في بهو الباخرة كما سمعنا أصواتا تتصاعد منها .

وهمس جيم قائلا انه يشعر برعب قاتل ، وطلب منى أن نعود ادراجنا من حيث اتينا ، فوافقته على ذلك في بادئ الأمر ، ولكنى ما لبثت أن سمعت صوتا يولول قائلا :

— أولا ، أرجوكم ايها الفتيان ! اقسم لكم أننى لن أبوح بالسر ما حييت .

وعندئذ قال رجل بصوت أكثر ارتفاعا :

— هذا كذب يا جيم تيرنر . . لقد مثلت هذا الدور من قبل ، وانك تطالب دائما بأكثر من حصتك من الغنيمة ، وكنت تحصل دائما على ما تريد بمجرد التهديد بأنك ستبوح بالسر . ولكنك تماديت في ذلك هذه المرة ، انك أدنا وأسفل كلب في البلاد .

في هذا الوقت كان جيم ( الزنجى ) قد عاد الى العائمة ، أما أنا فكنت أشعر بأشد الלהفة ، وقلت لنفسي ان « توم سوير » ما كان لي تراجع في موقف كهذا ، ومن ثم فلن أراجع أنا أيضا ، وسأبقى في مغامرتى لأرى ماذا يحدث هنا ، وأسرعت أجتو على ركبتى ويدي في الممر الضيق ، وزحفت الى الأمام في الظلام حتى لم يبق بينى وبين الردهة غير غرفة الجلوس . وعندئذ رأيت رجلا ممددا على الأرض وهو متسدود اليدين والقدمين ، بينما وقف أمامه رجلان كان يحمل أحدهما مصباحا ضعيف الضوء بينما كان الثانى يشهر مسدسا . وكان الأخير يسدد فوهة مسدسه نحو رأس الرجل الممدد على الأرض ، ويقول :

— بودى ان الھب رأسك بالرماس « بل ان ذلك فرض على  
أيھا الخائن الحقير .

فانكمش الأسير على نفسه وقال : اوه . ارجوك ألا تفعل  
یا « بیل » ، اننى لن أشی بكم إطلاقا .

وكان كلما نطق الأسير بهذه العبارة انفجر حامل المصباح ضاحكا  
وهو يقول :

— ألم تفعل ؟ لم يسبق ان قلت شيئا أصدق من ذلك ...  
واستطرد حامل المصباح : أسمعہ سينجدى ؟ لو اننا لم نسمع  
وثاقه لقتلنا ... فلماذا ؟ لاننا طالبناه بحقوقنا ... هذا هو  
السبب ، ولكنى أؤكد لك يا جيم تيرنر انك لن تهدد انسانا بعد  
الآن ... ارفع هذا المسدس یا « بیل » .

فقال بیل : كلا يا جاك باكارد ... انى افضل قتله . ألم يقتل  
هاتفيلد العجوز بنفس الطريقة ... فهلا يستحق الموت ؟ ...  
فقال « جاك باكارد » هذا : ولكنى لا اريد قتله لان لدى من  
الأسباب ما يحملنى على ذلك . .

فقال الرجل الممدد على الأرض بصوت بغص بالدموع :  
— فليباركك الله على هذه الكلمات يا جاك باكارد ، اننى لن  
أنساها ما حييت .

ولم يلق « باكارد » بالا لهذه الكلمات ، وانما تقدم فى انجاهى  
نحو الظلام ثم أشار لبیل ان يلحق به ، فبادرت بالتراجع بأسرع  
ما فى طاقتى ، وأمکننى الابتعاد نحو ياردتين ، ولكن السفينة تمايلت  
فى تلك اللحظة فلم أستطع المضى فى التقهقر ، ولكى أتجنب اصطدام  
الرجل القادم بى وافتضح أمرى ، اضطررت الى الزحف نحو  
غرفة الجلوس على الجانب العلوى . وأقبل باكارد سائرا فى الظلام .  
وعند ما دخل الغرفة التى كنت فيها قال :  
— هنا ... تعال هنا !

ودخل . ثم دخل « بيل » فى أعقبه ، ولكنى بادرت ، قبل دخولهما ، بالصعود الى سرير بأعلى الغرفة ، وأنا جد آسف على اننى جئت . ووقف الرجلان بداخل الغرفة وأبديهما على حافة السرير ، وراحا يتكلمان . . ومع اننى لم أستطع رؤيتهما ، فقد كان فى استطاعتى أن أعرف أين كانا يقفان بفضل رائحة الخمر التى كانت تنبعث من فمهما . ولكم سرنى اننى لا أشرب الخمر ، والا لكان فى استطاعتهما أن يكتشفا امرى .

قال « بيل » :

— لقد هددنا بالوشاية ، ولا شك فى انه سيفعل ذلك . وحتى اذا تنازلنا له عن حقنا ، فان ذلك لن يغير من الأمر شئيا بعد المشاجرة التى نتبت بيننا وبينه والمعاملة التى لقيها على يدينا . وانى أؤكد لك انه سوف ينقلب شاهد ملك ضدنا . . فهل تدرك ما اقول ؟ اننى أفضل اراحته من متاعبه !!  
فقال « باكارد » بهدوء : وكذلك أنا .

عندئذ قال « بيل » :

— يا للجنة ، لقد ساورتنى الريبة فى الأمر ، وظننت انك لاتريد التخلص منه . . هذا حسن اذن . . هلم بنا لنضع حدا للموقف .  
— مهلا لحظة . فاننى لم أفرغ من كلامى بعد . . واضع الى : ان قتله رميا بالرصاص لا غبار عليه ، الا أن هناك وسائل أكثر هدوءا اذا لم يكن مفر من التخلص منه . أما ما اريد قوله فهو انه ليس من الحكمة أن تقدم على عمل طائش لتحقيق أحد مآربك ما دامت هناك وسيلة أخرى تحقق لك هذا المآرب ولا تعرضك للمجازفة . . الا توافقنى على هذا الراى ؟

— نعم . . لكن كيف ستحقق غايتك هذه المرة ؟ .

— حسبنا . . اليك رأى . . أرى أن نبادر الآن بجمع كل ما نستطيع جمعه من غرف الباخرة ووضعه فى الصندوق الكبير ،

ثم نقله الى الشاطئ ونخبئه هناك . ثم ننتظر .. فانى اعتقد  
أن هذه الباخرة سوف تتحطم وتهوى الى قاع النهر فى خلال  
ساعتين على الأكثر . فهل فهمت ؟ سوف يفرق الرجل ، ولن  
يلام أحد على ذلك الا هو . وأكبر ظنى أن ذلك أفضل جدا من  
اقدامنا على قتله .. اننى لا أوافق على قتل أى رجل ما دام  
فى الامكان التخلص منه بطريقة أخرى ، لأن ذلك ليس من الحكمة  
أو الأخلاق فى شيء .. أليس ذلك صحيحا ؟

— نعم ، أظن انك على حق .. لكن لنفرض أن الباخرة لم  
تتحطم وتغرق ؟

— حسنا .. علينا أن ننتظر ساعتين على كل حال وسترى  
النتيجة بنفسك !

— لا بأس .. هلم بنا .

ثم غادر الرجلان الغرفة ، فهبطت من فوق الفراش وأنا غارق  
فى العرق البارد وزحفت فى الظلام الدامس . ثم همست بصوت  
مبحوح : جيم .

وعند ما رد على بما يشبه آهة صادرة من جانبه ، قلت له :  
— اسرع يا جيم ، فليس هناك وقت نضيعه فى التلكؤ والتأوه .  
فان هنا عصابة من القتلة فاذا لم نستول على قاربها ونبعده عن  
الباخرة بحيث لا يستطيع القتلة الابتعاد عن حطام الباخرة ، فان  
شخصا سيموت ، أما اذا عثرنا على قارب القتلة فاننا نستطيع  
أن نوقعهم جميعا فى مأزق ، لأن العمدة سوف يقبض عليهم ..  
أسرع .. أسرع .

— سأمضى الى مقدم السفينة وامض أنت الى مؤخرها ثم  
اهبط الى العائمة و ...

— أواه ياربى .. أواه .. العائمة .. أين العائمة ؟ .. لقد قطع الحبل  
الذى يشدها الى الباخرة ، فانطلقت على رسلها ، وهانحن فى موقف خطير .

## الفصل الثالث عشر

الهرب من حطام الباخرة -  
الحارس - الفرق - نوم عميق .

---

شهقت وكدت أفقد وعيى .. فهنا نحن سجينان فى حطام  
باخرة غارقة مع عصابة مخيفة . واصبح لزاما علينا أن نعر على  
قارب العصاة وان نستولى عليه لأنفسنا . ومن تم بدأنا نتقدم  
نحو حاجز الباخرة ونحن نتفص من الخوف . وكان تقدا  
بطيئا جدا ، حتى لقد خيل لنا أن أسبوعا قد انقضى قبل أن  
نصل الى الحاجز . ولكننا لم نجد أثرا للقارب ، وقال جيم انه  
لا يستطيع أن يتقدم أكثر من ذلك وأن الفرع قد شل قواه  
وحركته . ولكنى رحت أحته على التقدم لأننا اذا تركنا فى الباخرة  
فسنصبح فى مأزق خطير . فاضطر جيم الى الزحف ثانية ،  
وبلغنا جانب السطح العلوى ، فأخذنا نهبط منه الى الجانب  
الأسفل ، ورحنا نزحف ببطء حتى بلغنا مستوى الماء ، وشد  
ما كان سرورى عند ما رأيت القارب أمامى ، وادركت أننى لن  
ألبث أن اثب اليه بعد لحظة ، ولكن فجأة فتح باب فى تلك اللحظة ،  
وأبرز أحد الرجلين رأسه منه . ولم تكن المسافة التى تفصله  
عننى تزيد على قدمين ، فخيل الى اننى من الهالكين ، ولكنه  
استدار على عقبه وقال :



— اخف هذا المصباح اللعين عن العيون يا « بيل » .  
ثم ألقى بحقيبة مملوءة في القارب وهبط إليه ثم جلس . .  
كان هذا الرجل هو باكارد . ثم هبط « بيل » الى القارب بدوره ،  
فقال باكارد بصوت منخفض :

— ان كل شىء على ما يرام . . اطلق القارب .  
ولم أستطع التعلق بالنافذة لأننى أحسست بضعف شديد . .  
ثم قال « بيل » لرفيقه :  
— انتظر . . هل فتشته ؟  
— لا ، هل فتشته انت ؟  
— لا . . اذن ، فهو لا يزال يحتفظ بحصته من النقود .  
— حسنا . . تعال بنا ، لا جدوى من أن نذهب بالصندوق.  
ونترك النقود معه .

— اخبرنى . الا يتير ذلك ربيته فيما نفتزمه ؟  
— ربما لا يرتاب . . لكن مهما يكن من أمر ، يجب أن نحصل  
على النقود فهلم بنا .

وغادر الرجلان القارب وعادا أدراجهما الى الباخرة .  
وأغلقا باب الغرفة خلفهما . وفي اللحظة التالية ، كنت فى  
القارب ، ولحق جيم بى وهو يتعثر ، وأسرعت أخرج مديتى  
وقطعت الحبل ، فانطلق القارب مبتعدا بنا عن الباخرة .  
ولم نلمس المجاديف . . كذلك لم نتكلم أو حتى نتهامس ، بل  
اننا لم نتنفس . . وانساب القارب فوق صفحة الماء بسرعة  
وسكون . وبعد لحظة أو اثنتين كان القارب قد ابتعد أكثر من  
مائة ياردة عن مقدم الباخرة ، وابتلعه الظلام . وهكذا أصبحنا  
آمنين . .

وعندما أصبحت المسافة التى تفصلنا عن الباخرة حوالى  
ثلثمائة أو أربعمائة ياردة ، رأينا نور المصباح وكأنه نقطة من

الضوء تبرز من باب غرفة ربان الباخرة ، ولكن هذا الضوء اختفى فجأة ، فادركنا أن النسيقين اكتشفا أن القارب قد اختفى ، وأنهما بدأ يدركان أنهما وقعا في نفس المأزق الذي وقع فيه «جين تيرنر» ! وعندئذ بدأ جيم يستخدم المجذافين ، وبدأنا نبحث عن عائمتنا . وكانت تلك أول مرة أشعر فيها بالقلق على هؤلاء الرجال . . وأكبر ظني أن الوقت لم يتسع لى من قبل للأسف عليهم . . بدأت أفكر في أنه من المؤلم أن يقف انسان مثل هذا الموقف الرهيب حتى لو كان قاتلا . وقلت لنفسي اننى سأصبح قاتلا بدورى اذا تركتهم يفرقون ، فهل تزانى ارتضى لنفسى ذلك ؟ وقلت لجيم انه يحسن بنا أن نهبط الى البر على مبعدة مائة ياردة من أول نور تقع أعيننا عليه ، بشرط أن نعثر على مكان يصلح لاختبائنا واخفاء القارب ، نم أذهب وأحاول حث أحد الأشخاص على انقاذ العصابة من « ورطتها » حتى يمكن شنق أفرادها في الوقت المناسب !

ولكن هذه الفكرة لم يقدر لها أن تنفذ . . فقد بدأت العاصفة تهب من جديد ، وكانت هذه المرة أعنف من ذى قبل ، بينما انهزم المطر بغزارة شديدة ، ولم أر نورا في النوافذ ، فأيقنت أن جميع من في المدن قد آووا الى فراشهم !! وانساب القارب بنا فوق صفحة الماء ونحن نبحث عن الضوء ، وعن عائمتنا أيضا . وبعد فترة طويلة توقف المطر ولكن السحب بقيت تظلل صفحة الماء ، وأخذ البرق يلعب ؛ وفي احدى ومضات البرق رأينا شيئا مظلما يصبح أمامنا ، فاتجهنا نحوه .

كان هذا الشيء السابح هو عائمتنا ، فغمرنا الفرح عند ما صعدنا اليها مرة أخرى ، ورأينا نورا في تلك اللحظة . وكان هذا النور منبعثا من بعيد على الشاطئ فقررت أن أكتشف مصدره . وكان القارب مملوءا الى منتصفه بالمسروقات التى استولت

العصابة عليها ، فطلبت الى جيم أن يوجه العائمة في اتجاه الضوء ، وأن يوقد مصباح العائمة عند ما يعتقد أننا قطعنا ميلين ، وأن يترك المصباح مضاء حتى أعود . ثم هبطت الى القارب ، والتقطت المجذافين وبدأت أضرب بهما صفحة الماء في طريقي نحو الضوء . وعند ما اقتربت منه ، ظهرت لى ثلاثة أو أربعة أضواء أخرى على جانب التل . فادركت أن أمامى قرية . ووجهت القارب الى الشاطئ ، وكففت عن التجديف ، وتركت القارب ينساب مع التيار . وبينما أنا اقترب من الضوء لاحظت انه ينبعث من مصباح معلق فى حامل ( معدية ) ذات سطحين . واقتربت من القارب لى يرانى الحارس ، وأنا أفسأل أين ينام . ولم البث أن رأته جاثما عند مقدم المعدية وقد وضع رأسه بين ركبتيه فهزنته من كتفه مرتين أو ثلاث مرات وبدأت أصرخ فى وجهه !

وتحرك الرجل بطريقة تنم عن الفرع . وعند ما رآنى تمطى وتناوب ، ثم قال :

— هالو .. ماذا هناك ؟ لا تصرخ يا طفل ؟ ما هى منسكلتك ؟

فأجبت : والدى ، والدتى وأختى ، و ...

وتوقفت عن الكلام ، فقال :

— أوه . كفى حزنا يا فتى ، فان لنا جميعا متاعبنا ، ولسوف

ينتهى كل شىء على ما يرام .. ماذا حدث لهم ؟

— انهم .. انهم .. هل أنت حارسى المعدية ؟

فقال بلهجة تشف عن الارتياح : نعم .. أننى ربانها وصاحبها

وضابطها ومرشدها وحارسها وكبير بحارتها ، وأحيانا أكون

الحمولة والركاب ! .. اننى لست ثريا مثل جيم هوربنالك ، كما

اننى لا أستطيع أن أكون كريما وطيبا مثله مع توم وديك وهارى

وأن أبعر النقود حيثما اتفق كما يفعل ، ومع ذلك قلت له مرات

كثيرة اننى لا أقبل أن أبادله مركزه لأننى أعتقد أن حياة البحار

هى الحياة التى تصلح لى أنا ، لأننى لا أطيق حياة المدينة و . . .  
فقاطعته قائلا : انهم فى موقف خطير و . . .

— من هم ؟

— أبى وأمى وأختى والآنسة هوكر ، فاذا ذهبت بالمعدية الى  
هناك . . .

— الى أين ؟ أين هم ؟

— فى الباخرة الغارقة .

— أية باخرة غارقة ؟

— ماذا تعنى ؟ هناك باخرة واحدة . . . الا تعرفها ؟

— ماذا تقول ؟ لا أظنك تعنى باخرة والتر سكوت ؟

— نعم . . . انها هى .

— يا الهى ، وماذا يفعلون هناك بحق السماء ؟

— حسنا ، انهم لا يفعلون شيئا !

— يا الهى . . . اعتقد انه ، لن تكون أمامهم فرصة للحياة الا اذا

أنقذهم أحد . . . لكن كيف اتفق أن ذهبوا الى هذا الحطام ؟ .

— هذا أمر سهل . . . كانت الآنسة هوكر تزورهم فى المدينة . . .

— نعم . . . وذهبت الى مرسى بوث . . . ثم ماذا ؟ استمر !

— كانت فى زيارة بالقرب من مرسى بوث . . . وعند ما بدأ الظلام

يرخى سدوله ركبت ومعها خادمتها الزنجية معدية لتقضى ليلتها

فى منزل صديقتها الآنسة التى لا أتذكر اسمها الآن ، ولكنهم

فقدوا المجداف الذى كانوا يستعينون به فى تحديد اتجاه المعدية ،

فدارت المعدية حول نفسها واندفعت مع التيار بمؤخرها الى أن

قطعت حوالى ميلين وارتطمت بحطام السفينة ، فغرق بحار

المعدية والخادمة الزنجية ، أما الآنسة هوكر فقد جاهدت باصرار

حتى استطاعت الصعود الى حطام الباخرة ، وبعد ساعة من حلول

الظلام جئنا بنقالتنا البخارية . . . وكان الظلام حالكا ، فلم نر حطام

السفينة الفارقة الا عند ما أصبحنا أمامه مباشرة ، ثم ارتطمنا به ولكننا نجونا جميعا عدا بيل هويل... أوه . لقد كان أحسن ملاح .. لكم كنت أود أن أغرق أنا وأن ينجو هو !

— ياإلهي ، ان هذا أسوأ نأ سمعته .. لكن ماذا فعلتم جميعا ؟  
— حسنا ، لقد علا صياحنا ، وتشبثنا بالحطام ، ولكن لما كانت الباخرة كبيرة ، فان أحدا لم يسمعنا . فقال أبى انه لا بد من أن يذهب أحدنا الى الشاطئ في طلب المساعدة ، وكنت أنا الوحيد الذى يستطيع السباحة ، فألقيت بنفسى فى اليم . أما الآنسة هوكر فقالت لى اننى اذا لم أستطع الحصول على النجدة سريعا فان على أن أتى الى هنا للبحث عن عمها ، فهو الكفيل بوضع الأمور فى نصابها ! ولقد وصلت الى الشاطئ على مسافة ميل من هنا ، وحاولت أن أحث الناس على أن يفعلوا شيئا ولكنهم قالوا : « ماذا تريد منا أن نفعل فى مثل هذه الليلة وهذا التيار ؟ ان ذلك غير معقول ، اذهب الى المعديّة البخارية .. فاذا ذهبت و ...

— يا إلهي ، لكم أود أن أفعل ذلك ، لكن من الذى سيدفع لى أجرى ؟ هل تظن أن أباك ..

— نعم .. لقد قالت لى الآنسة هوكر ان عمها هو «هوربناك» ..  
— يا للسماء ! هل هو عمها ؟ اصغ إلى ، امض الى هذا الضوء الذى تراه ، ثم انعطف غربا عند ما تصل اليه ، فهناك حانة على مبعده ربع ميل تقريبا ، وعند ما تبلغها قل لمن فيها أن يذهبوا بك الى منزل « جيم هوربناك » ، ولكن لا تتسكع بعد ذلك لأن الرجل متلف ولا شك على معرفة الأنباء ! قل له اننى سأنقذ ابنة أخيه والجميع قبل أن يصل الى المدينة ! اسرع يا ففى .

وانطلقت فى اتجاه الضوء ، ولكننى ما كدت أنثنى فى المنعطف حتى عدت أدراجى الى قاربى وانطلقت به فى الماء الهادىء حوالى

ستمائة ياردة ثم دخلت بقاربى بين مجموعة من القوارب الخشبية  
لأننى كنت أريد ان اتأكد من أن المعديّة تنطلق نحو حطام الباخرة .  
وعلى أية حال ، فقد شعرت بارتياح كبير لأننى تجشمت كل هذا  
العناء لانقاذ أولئك الرجال ، فما كان كنيرون يفعلون ما فعلت .  
ولكم تمنيت لو عرفت الأرملة ، بما فعلت ، ورجحت أنها كانت  
ستفخر بى لأننى سبطت يد المعونة لهؤلاء الناس رغم أنهم أشرار ،  
فالأشرار هم الذين تهتم الأرملة والأخيار بهم أعظم اهتمام .

ولم يمض وقت طويل ، قبل ان أرى حطام الباخرة على شكل  
كومة مظلمة تنزلق الى أسفل . وأحسست برعشة باردة تسرى  
فى جسدى ! . . كانت الباخرة تفوس بسرعة ، فأيقنت أنه ما ان  
تمضى دقيقة واحدة حتى نفقد جميع من فيها حياتهم ، ودرت  
حول الباخرة الفارقة وصحت قليلا ، ولكنى لم ألق ردا على  
صياحى ، كان كل شيء هادئا تماما ، فشعرت بقلبى يفوس بين  
جنبى خوفا على ركبائها ، ولكن خوفى لم يكن طافيا !

ثم أقبلت المعديّة ، همضيت الى منتصف النهر . وعند ما  
قدرت اننى أصبحت بعيدا عن مرمى البصر ، تركت مجدافى وتطلعت  
خلفى فرايت المعديّة تدور حول الباخرة الفارقة بحثا عن بقايا  
الأنسنة هوكر ، التى كان الربان يعتقد أن عمها « هوربناك » ،  
يرغب فى الحصول على هذه البقايا ( الجثة ) ! وبعد قليل تخلت  
المعديّة عن المحاولة وعادت الى الشاطئ ، أما أنا فقد انطلقت  
فى عرض النهر . .

وخيل الى أن وقتا طويلا قد مضى قبل أن يشعل جيم  
مصباحه ، وعند ما ظهر النور خيل الى أنه صادر من على بعد  
ألف ميل . وعند ما وصلت الى مكان عائمتنا ، كان ضوء النهار  
قد بدأ ينبثق من الشرق . فاتجهنا صوب احدى الجزائر وأخفينا  
العائمة ، وأغرقنا القارب ، ثم ذهبنا لننام كالمتوتى ! !

## الفصل الرابع عشر

وقت طيب بصفة عامة ! -  
الخير ! - اللغة الفرنسية .

---

عند ما استيقظنا من النوم ، تفحصنا محتويات الصندوق الذى سرقته العصابة من الباخرة الفارقة ، فعثرنا فيه على أحذية وبطاطين وملابس وأشياء أخرى متنوعة وكمية من الكتب ونظارة مكبرة وتلاث علب من السيجار الفاخر . . وقضينا النهار كله راقدين فى القاب ونحن نتحدث حيناً ثم انصرف الى قراءة الكتب حيناً آخر ، وهكذا قضينا وقتنا طيباً بصفة عامة ، وحدثت جيم بما دار داخل الباخرة الفارقة ، وقلت له ان ما فعلته كان من اعمال المقامرات ! فقال انه ليس بحاجة الى مزيد من المقامرات ، وانه عند ما زحفت أنا عائداً الى بهو الباخرة ، وزحف هو عائداً الى العائمة لم تبين انها اختفت ، كاد يموت خوفاً ، لأنه اعتقد أن كل شيء قد انتهى بالنسبة اليه ، فاذا لم ينقذ فانه سيموت غرقاً ، واذا أنقذ فان منقذه سوف يعيده الى المدينة ليحصل على المكافأة ، وعندئذ تبيعه الأنسة واطسون لتاجر الرقيق ! ولقد كان جيم على حق فيما قال ، بل انه على حق دائماً ، لأنه يتمتع بعقل مترن لا يتمتع به عادة أى زنجى آخر !

وقرأت لجيم كثيراً عن الملوك واللوردات وثيابهم الموشاة

المزركشة ، واسرافهم فى التكلف ، وكيف انهم ينادون أحدهم الآخر « يا صاحب الجلالة » ، و « يا صاحب السمو » ، و « يا صاحب السعادة » وهلم جرا بدلا من « يا سيد » فبرزت عينا جيم من محجريهما ، وبدا عليه الاهتمام ، ثم قال :

— لم أكن أعلم أن هناك عددا كبيرا كهذا منهم ، لأننى لم أسمع الا عن الملك سليمان ، اللهم الا اذا كنت تعد هؤلاء الملوك مثلما تعد ملوك « الكوتشينة » . . وبالمناسبة ، كم أجر الواحد منهم ؟ فقلت : أجر ! انهم يستطيعون الحصول على الف دولار شهريا اذا شاءوا ، بل انهم يستطيعون الحصول على كل ما يريدون ، فان كل شئ ملك لهم .

— اليس ذلك مبعا للبهجة ؟ وماذا يفعلون يا هاك ؟

— انهم لا يفعلون شيئا . انك تهرف يا جيم . . . فهم لا يفعلون شيئا غير الجلوس .

— إحقا ؟

— بالتأكيد . . انهم لا يفعلون شيئا غير الجلوس اللهم الا حينما تدور رحى الحرب . . . وحتى هذه لا يشتركون فيها ! فاذا لم تكن هناك أية حرب فانهم يتكاسلون ويتسكعون . . صه . . هل سمعت ضوضاء ؟

وتسللت الى الخارج وتطلعنا حولنا ، وسرعان ما سمعنا صوت محرك قارب بخارى يدور حول نفسه فى مكان بعيد فى النهر ، فعدنا ادراجنا .

واستأنفنا الحديث . . . فقلت : نعم . حينما تكون هناك حرب ، فان الملوك يعلو ضجيجهم مع البرلمانات ، والا فانهم يتسكعون حول الحريم معظم الوقت .

— حول ماذا ؟

— الحريم .



- وما هو الحريم ؟
- المكان الذى يحتفظون فيه بزوجاتهم ... ألم تسمع عن الحريم ؟ ان للملوك « حريا » يحتفظ فيه الواحد منهم بليون زوجة !!
- أحقا ؟ لقد نسيت ذلك ... ان الحريم عبارة عن ( بنسيون ) فيما اظن ! ومن المحتمل انهم يقضون وقتا مشحونا بالضجيج والصخب فى هذه البيوت ! وأعتقد أن الزوجات يكثرن من التساجر مع بعضهن ، مما يزيد الضجيج صخبا .
- ثم حدثت جيم عن الملك « لويس السادس عشر » الذى أعدم فى فرنسا منذ أمد بعيد ، وعن ولى عرشه الصغير الذى كان سيصبح ملكا فى أحد الأيام ولكنهم أودعوه السجن حيث مات هناك ، كما يقول بعض الناس .
- فقال جيم : مسكين هذا الغلام .
- يقول بعض الناس انه هرب وجاء الى أمريكا !
- هذا حسن ، ولكن لابد انه كان وحيدا ... هل فى بلادنا ملوك يا هاك ؟
- لا ...
- اذن لابد انه لم يستطع الحصول على عمل ... فماذا عساه قد فعل ؟
- لست أعلم .. ان بعضهم يلتحق بخدمة البوليس ، والبعض الآخر يعلم الناس كيف يتكلمون اللغة الفرنسية .
- ألا يتكلم الفرنسيون مثلنا يا هاك ؟
- كلا يا جيم ، انك لا تستطيع أن تفهم كلمة واحدة مما يقولونه .
- وكيف ذلك ؟
- لست أدري ، ولكن هذا هو الواقع ، لقد امكننى أن التقط

بعض الكلمات والجمل من أحد الكتب . . . لنفرض أن رجلاً قال لك:  
? Parlez vous le Francais فما تظنه يقول ؟

— لا أظن شيئاً . . . أضربه على أم رأسه أن لم يكن رجلاً  
أبيض ، فأننى لا أسمع لزنجى أن يشتمنى بمثل هذا الكلام !

— هذا سخف ، انه ليس اهانة . . . انه مجرد سؤال معناه  
« هل تتكلم الفرنسية » ؟

— حسناً . . . لماذا اذن لا يقول ذلك كما نقوله نحن ؟

— انه يقوله . . . فتلك هى الطريقة التى يتحدث بها الرجل  
الفرنسى .

— انها طريقة جد مضحكة ، وأنا لا أريد أن أسمع مزيداً منها  
لأنها أبعد ما تكون عن العقل !

— اصغ الى يا جيم . . . هل تتكلم القطة مثلنا ؟

— لا ، ان القطة لا تتكلم مثلنا .

— حسناً ، فهل تتكلم البقرة مثلنا ؟

— لا . . ان البقرة لا تتكلم مثلنا أيضاً .

— وهل تتكلم القطة كالبقرة ، أو البقرة كالقطة ؟

— لا ، ان الواحدة منهما لا تتكلم كما تتكلم الأخرى .

— وهل من الطبيعى أن يختلف كلام كل منهما عن الأخرى ؟

— بالطبع . . . !

— اذن ، أليس من الطبيعى أن يختلف كلام البقرة والقطة

عن كلامنا ؟

— بالتأكيد نعم .

---

(\*) هذه العبارة الفرنسية معناها « هل تتحدث بالفرنسية ؟ » ولكنها كتبت  
فى الأصل بشكل مختلف ، لان المؤلف سجلها كما ينطقها زنجى بليجته الخاصة  
( المترجم ) .

- حسنا ... اذن لماذا لا يكون طبيعيا أن يتكلم الرجل الفرنسى  
لغة تختلف عن لغتنا ؟ أجب عن هذا السؤال ؟  
— هل القطعة رجل يا « هالك » ؟  
— لا ...  
— حسنا ... اذن ، ليس من العقل فى شىء أن تتكلم القطعة  
كالانسان ... وهل البقرة انسان ؟ تم هل البقرة قطعة ؟  
— لا ... انهما ليستا مثل الانسان .  
— اذن فمن غير المعقول أن تتكلم احدهما مثل الأخرى ...  
وهل الرجل الفرنسى انسان ؟  
— نعم ....  
— حسنا ، اذن لماذا لا يتكلم كالانسان ؟ ... أجب عن هذا  
السؤال ؟  
وأيقنت ألا جدوى من اضاعه الوقت هباء ، فانت لا تستطيع  
أن تعلم زنجيا كيف يجادل . وعندئذ كففت عن الحديث !

## الفصل الخامس عشر

(( هالك )) يفقد العائمة - في الضباب - الغلام فوق  
العائمة - (( هالك )) يعثر على العائمة - فاذورات .

قدرنا أننا سنصل الى « كايرو » - عند طرف « الينوى » -  
بعد ثلاثة أميال ، فهناك يلتحم نهر « أوهايو » بنهر المسيسيبي ،  
وكان هذا هو المكان الذى نقصده ، فهناك كنا نزمع أن نبيع العائمة  
ونبتاع قارباً بخارياً ونذهب الى أوهايو ، وهى إحدى الولايات  
الحرّة ، وبذلك نتخلص من المتاعب . . . فقد كان « جيم »  
يخشى أن تبيعه الأنسة « واطسون » اذا عاد اليها .

وفى الليلة الثانية أخذ الضباب ينتشر ، فقررنا أن نشد العائمة  
الى الشاطئ ، فقد كان من العبث أن نحاول السير فى الضباب .  
الا اننى حينما تقدمت العائمة مستقلاً القارب ومعى الحبل لأربطه  
فوق الشاطئ لم أجد غير شجيرات صغيرة أستطيع أن ألق الحبل  
حولها ، فلففت الحبل حول احداها ، وكانت على حافة الشاطئ .  
غير أن التيار كان قويا فى هذه المنطقة فأقبلت العائمة مندفعة بشدة  
فانتزعت الشجرة من جذورها وشدتها والحبل معها . ثم رأيت

---

(\*) الولاية الحرة فى ذلك الوقت ، هى الولاية التى اخذت بتحريم الرق واقتناء  
العبيد . . . ( المترجم ) .

الضباب يلفها في جوفه ، فأحسست بالألم والخوف معا ولم اسنطع حراكا . وبعد دقيقة ، كانت العائمة قد اختفت عن ناظري ، ولم أستطيع أن أرى لأبعد من عشرين ياردة أمامي . وعلى الفور وثبت في القارب ، وركضت الى المؤخرة واختطفت المجذاف وأعملته في الماء ، ولكن القارب لم يتحرك لأن لهفتي أنستنى . فك الحبل الذي يشد القارب الى الشاطئ فنهضت واقفا وحاولت حل الحبل ، ولكنني كنت شديد الارتباك ، فقد كانت يداي ترتعشان بشدة . وعند ما فككت الحبل أخيرا انطلقت بالقارب في أتر العائمة ، وكنت أجذف بكل قواى ، وسرعان ما ابتلعنى الضباب الأبيض ، فلم أدر فى أى اتجاه كنت منطلقا .

قلت لنفسى الا جددوى من التجديف ، لأننى كنت لا ادرى مصرى ... هل ارتطم بالشاطئ ؟ أو اصطدم بجبل أو سلسلة ؟ وآثرت أن أجلس جامدا تاركا القارب يجرى مع التيار ، رغم اننى كنت اشعر بالأسف . وصحت بأعلى صوتى ، نم اصغخت السمع ، ومن بعيد سمعت صياحا خافتا ، فانتعشت آمالى ومضيت فى اتجاه مصدر الصياح ، وأنا أرهف أذنى لأسمعه ثانية ، ولكن تبين لى ، عند ما تكرر الصياح ، اننى لم أكن ماضيا نحوه ، وانما كنت منطلقا بعيدا عنه الى اليمين ، وفى المرة التالية ، تبين لى اننى منطلق الى اليسار وأننى لم أتقدم كثيرا ، لأن القارب كان يتقدم فى هذا الاتجاه وذلك !!

ولكم تمنيت لو أن جيم الأحمق فكر فى الطرق على وعاء من الصفيح طوال الوقت حتى أسمعه ، ولكنه لم يفعل ، وانما اكتفى بالصياح فى فترات متباعدة ، وبذلك بلبل أفكارى ... ومضيت أجاهد أعنف الجهاد ، وسرعان ما سمعت الصياح صادرا من خلفى مباشرة ، فتملكنى الفرح ... ولكن الصياح كان صياح شخص آخر على ما خيل لى ! .

وتركت المجذاف ، وأنصت الى الصياح مرة أخرى ، وكان لا يزال يصدر من ورائي ، ولكن من مكان لم أثبتينه ، واستمر الصياح مدة طويلة . . كما استمر مكان صدوره في التغير ! . ولم أكف عن الرد عليه ، الى أن صدر من أمامي مرة أخرى ، فأدركت أن التيار قد دفع مقدم القارب الى المجرى ، وانه لا بأس من أن يكون جيم هو الصائخ ، وليس بحار عائمة أخرى ؛ فقد تعذر على تمييز الأصوات في الضباب ، فما من شيء أو صوت يكون طبيعيا في الضباب !!

واستمر الصياح . وبعد حوالى دقيقة ، كنت أندفع بالقارب الصاخب نحو شاطئ فوقه أشباح أشجار كثيرة . ودفعني التيار الى اليسار ، فاذا بى وسط مجموعة كبيرة من جذوع الأشجار التى كان التيار يندفع بينها محدثا هديرا شديدا .

وبعد لحظة أو اثنتين ، بدا كل ما أمامى صلبا أبيض اللون مرة أخرى . لقد كان ذلك الشاطئ الذى اعترضنى جزيرة ! . فجمدت فى مكائى وأصخت السمع الى دقات قلبى العنيفة . . . وأكبر ظنى أننى حبست أنفاسى مترقبا . .

واستسلمت للأمر الواقع بعد أن أدركت الحقيقة . . . لقد كان الشاطئ الذى اعترضنى جزيرة ! ولا ريب أن جيم ذهب الى جانبها الآخر . ولم تكن تلك الجزيرة احدى الجزائر الصغيرة التى يمكنك أن تقطعها طولا فى عشر دقائق ، وإنما كانت احدى جزائر الغابات ؛ ومن ثم فمن المحتمل أن يتراوح طولها بين خمسة أميال وستة وأن يزيد عرضها على نصف ميل .

وبقيت هادئا وأنا أرهف السمع حوالى خمس عشرة دقيقة . واستمر القارب فى تقدمه بسرعة أربعة أو خمسة أميال وان يكن ذلك لم يدر بخلدى . ففى مثل هذه الأحوال يعتقد الانسان أن القارب متوقف تماما عن السير فوق صفحة الماء ! فاذا مر به جذع

شجرة صغير في الماء ، فانه يفكر في مدى السرعة التي يسير بها .  
ويتبادر الى ذهنه انه يسير بسرعة كبيرة . واذا لم تصدق انك  
ستشعر بالوحدة والوحشة في مثل هذا الضباب الكثيف انما ،  
الليل ، فخير لك أن تجرب ذلك بنفسك !!

وفي خلال نصف الساعة التالي ، رحت أصبح بين الحين والحين .  
وأخيرا سمعت صياحا يجيبني من بعيد ، فحاولت ان أمضي في  
اتجاهه ، ولكني أخفقت . وفي التو ، حكمت بانني دخلت في شبكة  
ألياف القنب لأنني كنت المصحا على جانبي . وفي بعض الاحايين  
كان يجري وسط هذه الألياف مجرى ضيق . واهيانا أخرى لم  
أكن أستطيع تمييز هذا المجرى رغم انني كنت اعلم انه موجود ، فقد  
كنت أسمع خرير التيار وهو يرتطم بجذوع النباتات على الشاطئ .  
ولم تغب عني صيحات الصائح طويلا بين ألياف القنب ، فحاولت  
أن أتبعها مدة طويلة أيا كان اتجاهها . . ولا شك عندي انك لم  
تسمع صوتا مراوغا كهذا طيلة حياتك ، ولا رايت أماكن سريعة  
التغير والتبدل كهذه الأماكن ! !

ولقد اضطررت الى الابتعاد عن الشاطئ أربع او خمس مرات  
لكي أتجنب الاصطدام بالجزائر القائمة في النهر ، ولهذا قدرت ان  
العائمة لا بد سترتطم بالشاطئ بين آونة وأخرى ، والا لكنت قد  
قطعت مسافة طويلة ولا أصبحت خارج نطاق السمع !

وعلى أية حال . . . فقد خيل الى انني عدت الى النهر المكشوف  
مرة أخرى ، ولكنني لم أستطع أن أسمع صياحا من اى اتجاه ،  
فاعتقدت أن « جيم » قد شد عائلته الى جذع شجرة واستراح .  
وكان التعب قد نال مني كل منال ، فرقدت في القارب وقررت الا  
أزعج نفسي بعد الآن ، ولم أكن راغبا في النوم بالطبع ، ولكنني لم  
أستطع مقاومة النوم ، فقلت انه لا بأس على اذا أنا نمت نوما متقطعا  
كنوم القطط !

غير أن نومي لم يكن كنوم القطط ، فما أن اسنيقتلت حتى رايت  
النجوم متألقة في السماء وقد انقشع الضباب تماما ، وألقيت القارب  
يدور حول منحني كبير بمؤخرته . ولم أدر أين أنا ، وخيل إلى أنني  
أحلم . وعند ما بدأت أفكاري تنتظم خيل إلى أن ما مز بي حدث  
منذ أسبوع مضى .

كان النهر هائلا في هذه المنطقة . . وكانت تشمخ فوق شاطئيه  
أشجار ضخمة كثيفة أشبه بجدار صلب . وألقيت نظرة على  
طول النهر ، فرأيت نقطة سوداء فوق صفحة الماء ؛ فوجهت  
القارب نحوها ، ولكني ما كدت أصل إليها حتى تبينت أنها عبارة  
عن كتلتين من الخشب مربوطتين معا . ثم رأيت نقطة أخرى  
فتبعتها ، ثم ثالثة فتوجهت نحوها . . وفي هذه المرة أصبت  
الحكم . فقد كانت هذه النقطة السوداء هي العائمة !!

وعند ما صعدت إليها ألقى « جيم » جالسا ورأسه بين  
ركبتيه وهو يغط في نومه ، وقد تدلى ذراعه الأيمن من فوق أحد  
المجدافين . أما المجداف الآخر فكان محطما ، بينما كانت العائمة  
مملوءة بأوراق الأشجار والغصون والوحل ، فأدركت أنه مز  
بفترة عصيبة !!

وتقدمت من « جيم » وبدأت ألوح بقبضتي في وجهه ، ثم قلت :  
— هالو جيم . . هل كنت نائما ؟ لماذا لم توقظني ؟  
— يا الهي . . أهذا أنت يا « هالك » ؟ اذن فأنت لم تمت . .  
لم تغرق . . هل عدت ثانية ؟ اننى لا أكاد أصدق عينى ياعزيزى . .  
دعنى أتأملك أيها الطفل . . دعنى أتحسسك . . أنك لم تمت . .  
لقد عدت ثانية حيا ترزق سليما معافى مثلما كنت . . الحمد لله ؟  
— ماذا دهالك يا جيم ؟ هل احتسيت خمرا ؟  
— خمرا ، وهل أتيحت لى فرصة لاحتساء الخمر ؟  
— حسنا . . اذن ما الذى يجعلك تهرف بمنل هذا الكلام ؟



— وهل أقول كلاما غير معقول ؟  
 — نعم .. ألم تتحدث عن عودتى كما لو كنت قد رحلت عنك ؟  
 — هالك .. هالك فن .. انظر الى عيني .. انظر الى عيني ..  
 ألم ترحل عنى ؟  
 — أرحل ؟ ماذا تعنى بحق السماء ؟ اننى لم اغب عنك ، فاين عساي كنت أذهب ؟  
 — اصغ الى .. هناك خطأ ما .. هل أنا جيم أو من أكون ؟  
 هل أنا هنا ؟ أم أين عساي أكون الآن ؟ هذا ما أريد أن أعرفه .  
 — حسنا .. أظن أنك هنا . فهذا واضح تماما ، ولكنى أظن أنك أحمق معقد التفكير يا جيم .  
 — هل أنا كذلك ؟ حسنا .. أجبني ، ألم تنزل الى الشاطئ ومعهك الحبل لتشد العائمة الى شجرة قنب على الشاطئ ؟  
 — لا .. لم أفعل .. أية شجرة قنب تعنى ؟ اننى لم أر أشجارا كهذه .  
 — لم تر أشجار قنب ؟ اصغ الى .. ألم يقطع الحبل فاندفعت العائمة الى عرض النهر وبقيت أنت فى القارب ومن حولك الضباب ؟  
 — أى ضباب ؟  
 — الضباب .. الضباب الذى كان منتشرا طوال الليل .. ثم ألم تصح ، فصحت بدورى ، الى أن اختلط غلينا الأمر بين الجزائر ، ففقد أحدهما الآخر ، لأن كلا منا لم يكن يعرف أين صاحبه ؟ ألم أصطدم بالجزائر مرات عديدة حتى كدت أغرق ؟  
 ألم يكن الأمر كذلك ؟ أجب عن هذا السؤال ؟  
 — أن ذلك فوق ادراكى يا جيم .. فاننى لم أر ضبابا ، ولا جزرا ، ولا متاعب .. لم أر شيئا !.. لقد كنت جالسا هنا أتحدث اليك طوال الليل الى أن غلبك النعاس على أمرك منذ حوالى عشر دقائق .. واعتقد اننى نمت أيضا .. ولما كان من

المستحيل أن نحترس الخمر في مثل هذا الوقت فمن المحقق أنك كنت تحلم !

— لكن كيف يمكن أن أحلم بذلك كله في عشر دقائق ؟

— مهما يكن من أمر ، فإن الأمر كله كان حلما ، لأن شيئا مما قلت لم يحدث على الإطلاق .

— لقد كان كل شيء شديد الوضوح أمامي .

— ان وضوحه لا يغير من الأمر شيئا .. اننى أعلم أن شيئا مما تقول لم يحدث ، لأننى كنت هنا طوال الوقت .

ولزم « جيم » الصمت حوالى خمس دقائق ، ولكنه استغرق في تفكير عميق .. وأخيرا قال :

— حسنا .. أعتقد اذن اننى كنت احلم يا هاك .. ولكنه كان أقوى حلم رأيته ، ثم اننى لم يسبق لى أن رأيت حلما أتعبنى كهذا الحلم .

— أوه .. لا بأس ، فإن الحلم يتعب الجسم أحيانا ككل شيء آخر ، ولقد كان هذا الحلم مؤلما . حدثنى عنه يا جيم !

وراح « جيم » يحدثنى بكل شيء كما وقع ، ولكنه كان يزخر فيه كثيرا . ثم قال انه يجب عليه أن يبدأ في « تفسير » الحلم لأنه انذار ونذير ! قال ان أول شجرة قنب تمثل رجلا سيحاول أن يفعل بنا خيرا ، وان التيار يمثل رجلا آخر يريد ابعادنا عن الخير ، أما الصياح فيمثل التحذيرات التى ستصل الى كل منا بين آونة وأخرى ، فاذا لم نبذل قصارى جهدنا لكى نفهمها فانها ستنتهى بنا الى سوء الحظ بدلا من أن تبعدنا عنه ، أما ألياف القنب الكثيرة فتعنى أننا كنا سنقع فى مشكلات مع قوم مشاكسين أوغاد ، الا أننا اذا أخذنا حذرنا ولم نحاول اثارتهم ، فاننا سوف نخرج سالمين من الضباب الى النهر الكبير الصافى ، حيث الولايات الحرة ، وبعدئذ لن نصادف أى متاعب أخرى .

كانت الدنيا قد اظلمت بعض الشيء بعد صعودى الى العائمة ،  
ولكن السماء صفت فى تلك الأثناء .

قلت : أوه .. انه تفسير لا بأس به فى حد ذاته يا جيم ..  
لكن ما معنى كل هذا ؟

وأشرت الى أوراق الأشجار والأغصان وغيرها مما كان يملا  
العائمة ، كما أشرت الى المجذاف المحطم .

وتطلع «جيم» الى هذه القاذورات ، ثم تطلع الى ، وعاد فتطلع  
الى القاذورات .. لقد كانت فكرة الحلم قد رسخت تماما فى ذهنه  
حتى انه لم يعد يستطيع التخلص منها ولكنه لم يلبث أن عرف  
الحقيقة !! . فتأملنى مليا وقال فى ألم :

— ما معنى هذه الأشياء ؟ سأخبرك بذلك ! عند ما استبد بى  
التعب من كثرة العمل ، ومن كثرة النداء عليك ، غلبنى النوم على  
أمرى بعد أن تملكنى حزن شديد على فقدك . ولست أدري ماذا  
حل بى وبالعائمة أثناء نومي . وعندما استيقظت ووجدتك أمامى  
سليما معافى اغرورقت عيناي بالدموع وكدت أجنو فوق ركبتي  
وأقبل قدميك شكرا ! أما أنت فكنت تفكر فى السخرية منى ،  
بأكذوبة ضخمة .. ان هذه قاذورات وأحوال ! والأحوال هى  
التي يضعها الناس فوق رؤوس أصدقائهم اشعارا منهم لهم  
بالخزي والعار .

تم نهض ببطء ، وتقدم من الكوخ الهندى ، ودخل بغير أن  
يضيف الى قوله شيئا .. غير أن ما قاله كان كافيا .. فقد  
شعرت بالضعة ووددت لو استطعت ان اقبل قدميه مرضاه له .  
ومضت خمس عشرة دقيقة قبل أن أتغلب على كبريائى  
وأذهب للاعتذار لرنجى مثل « جيم » ، ولكنى فعلت ذلك ، ولم  
أسف عليه فيما بعد ، ولم أحاول أن أسخر منه مرة أخرى ،  
وما كنت لأقدم على تلك السخرية لو اننى عرفت انها ستؤذى  
شعوره على هذا النحو !!

## الفصل السادس عشر

الترقب - « كايرو » المدينة العزيزة - أكذوبة  
بيضاء - تيارات عاتمة - المرور بمدينة  
« كايرو » - السباحة نحو الشاطئ ..

فضينا معظم النهار فى النوم . نم استأنفنا رحلتنا ليلا خلف  
عائمة طويلة ضخمة كانت تسير فيما يشبه الموكب . وكانت لهذه  
العائمة أربع زحافات طويلة على كل طرف ، فقدروا أنها تحمل  
حوالى ثلاثين رجلا ، وكان فوقها أربعة أكواح هندية كبيرة  
متباعدة عن بعضها البعض ، وصارى علم طويل فى كل طرف ..  
كانت عائمة يشعر الانسان بالفخر حينما يركبها !!  
ومضينا نتقدم نحو منحنى كبير ، وكانت السماء مغطاة  
بالسحب والجو حارا فى تلك الليلة ، أما النهر فكان شديد الاتساع .  
يحف به من جانبيه جداران من الأشجار الضخمة الباسقة الكثيفة  
التي تحجب كل ما وراءها عن الأنظار .. وتحدثنا عن « كايرو »  
وتساءلنا ، أترانا سنعرفها عند ما نصل إليها ؟ فقلت اننا لن  
نعرفها لأننى سمعت أنه لا يوجد على شاطئها أكثر من اثنى عشر  
منزلا . فاذا لم تكن فى هذه المنازل أنوار موقدة ، فكيف نعرف  
اننا نمر بها ؟ وقال جيم : اننا اذا وصلنا الى ملتقى النهرين الكبيرين  
كان هذا دليلا على أننا وصلنا الى مدينة « كايرو » .. ولكنى  
قلت اننا قد نظن فى هذه الحالة اننا نمر باحدى الجزائر ، واننا

سائرون في النهر القديم نفسه . وقد أقلق ذلك بال جيم .  
وتساءلنا ماذا عسانا نفعل ؟ وقلت ان خير حل هو أن أذهب الى  
الشاطيء عند ظهور أول ضوء وأقول للناس ان أبى مقبل خلفى  
بحمولته التجارية واننا نريد أن نعرف أين توجد « كايرو » .  
وقال جيم انها فكرة حسنة !

لم يكن هناك ما نفعله الآن سوى أن نراقب ما يمر بنا حتى نرى  
المدينة فلا نخطئها . . وقال « جيم » انه من المحقق أنه سيراهها  
لأنه سوف يصبح رجلا حرا بمجرد رؤيته لها . اما اذا أخطأ  
فسيصبح في بلاد الرقيق مرة أخرى ولن يكون هناك أمل في  
تحرره . وكان لايفتأ يشب واقفا بين حين وآخر ويهتف : ها هي .  
ولكنه سرعان ما يتبين أنه أخطأ . . وكنا في كل مرة نعاود  
الجلوس والمراقبة . وقال جيم انه يشعر برعشة تسرى في جسده  
كلما فكر في اقترابه من الحرية ! ولقد كنت محموما بدورى ، ارتعش  
كلما سمعته يقول ذلك ، لأننى بدأت أدرك أنه حر تماما في تلك  
اللحظة ، وأخذت أتساءل من المألوم على ذلك ؟ انه أنا . . ولم  
أستطع ابعاد وقر هذه الفكرة عن ضميرى ، بل لقد استبدت  
بى هذه الفكرة وسببت لى عذابا عظيما . ولم تكن تلك الفكرة  
قد خطرت ببالى من قبل ، كما اننى لم أكن أفكر في ذلك الوزر . .  
أما الآن فقد استيقظ ضميرى ، وظل يعذبنى أكثر فأكثر ،  
وحاولت دون جدوى أن أتخلص من عذاب الضمير وأن أقول  
لنفسى اننى لست المألوم لأننى لم أهرب جيم من مالكته الشرعية ،  
غير أن ضميرى ظل يهتف بى « ولكنك كنت تعلم أنه يسعى الى

---

(%) كان القانون يدين كل شخص أبيض يتستر على هروب عبد رفيق في  
الولايات التى لم تأخذ بتحريم الرق . وهذا هو السبب في أن « هاكلبرى فن »  
— وهو أبيض — شعر بأنه خرق القانون وبدأ يخشى العقاب والمسئولية والجزاء !

الحرية ، وكان فى استطاعتك أن تذهب الى الشاطئ وتفضى بالحقيقة الى أول شخص يقابلك » وكان ما يهتف به ضميرى صحيحا ، فلم أجد منه مهربا . وكان هذا هو أكثر ما يعذبنى . . . كان الضمير يهتف بى : « ماذا جنت الآنسة واطسون التبعة حتى تدع خادمها الزنجى يهرب تحت بصرى ولا تنطق بكلمة واحدة ؟ ماذا فعلت هذه الآنسة المسكينة لك حتى تعاملها هذه المعاملة الدنيئة ؟ لقد حاولت أن تعلمك العلم والأخلاق : وأن تجعل منك غلاما صالحا ، كما أحسنت اليك بكافة السبل التى تعرفها . . هذا ما فعلته من أجلك » .

وبدأت أشعر بالانتم والتعاسة ، وتمنيت لو اخترمنى الموت . وأخذت أقطع العائمة جيئة وذهابا وأنا أؤنب نفسى ! وكان جيم يروح ويفدو أيضا فى قلق . . فلم يكن أحدا قادرا على التزام الهدوء ، وفى كل مرة كان جيم يرقص فيها أمامى ويهتف : ها هى « كايرو » ، كنت أشعر كأننى أصبت بطلق نارى ، وكنت أظن أننى سوف أموت من التعاسة اذا كانت تلك المدينة هى « كايرو » حقا !

وكان جيم يتكلم بصوت مرتفع طوال الوقت . أما أنا فكنت أكلم نفسى . كان يقول أن أول ما سيفعله عند ما تطأ قدماه ولاية حرة هو أن يقتصد نقودا ، وألا ينفق سنتا واحدا ° الى أن يدخر مبلغا يمكنه من شراء زوجته التى كانت رقيقا فى مزرعة مجاورة للمكان الذى تقيم الآنسة واطسون فيه ، وبعدئذ سوف يعمل هو وزوجته ويقتصدان مبلغا من المال يمكنهما من شراء ولديهما ، فاذا رفض مالكما بيعهما فسوف يستأجران من يسرقهما !!

---

(\*) السنت عمله أمريكية تبلغ قيمتها ٤ مليارات تقريبا .

وغاص فلبى بين جنبى وأنا أسمع هذا الكلام ، فما كان الزنجى ليجرؤ على قول مثل هذا الكلام من قبل ، لكن أنظر الى التعبير الذى طرأ عليه فى اللحظة التى ظن فيها انه اوشك على التحرر ! ان المثل القديم ينطبق تماما على هذا الزنجى . . فهذا المثل يقول « اعط الزنجى من الحبل مقدار بوصة ، يأخذ الحبل كله » ولقد كان ذلك نتيجة لعدم تبصرى ، فها هو الزنجى الذى ساعدته على الهرب يواجهنى بتحد ويقول لى بلا موارد انه سوف يسرق ولديه — ولديه اللذين يملكهما رجل لا اعرفه . . رجل لم يسبق له ان أساء الى .

ولقد أسف حينما سمعت جيم يقول ذلك . . فقد كان مسلكه يكشف عن ضعفه . . واشتد تأنيب ضميرى لى فقلت مخاطبا ضميرى « كف عن تعديبى فما زال فى الوقت متسع لتصحيح الخطأ . . سوف أذهب الى الشاطئ عند أول ضوء يلوح لى وأبوح بالسركله » وعندئذ شعرت بالراحة والسعادة ، وانقضت جميع متاعبى ، ورحت أراقب ظهور أول ضوء وأنا أدندن باحدى الأغنيات . وبعد قليل لاح لنا ضوء فهتف جيم :

— اننا آمنان يا هالك . . اننا آمنان ، هيا أسرع بركوب القارب فها هى « كايرو » أخيرا . . اننى واثق من ذلك .

فقلت : سأمضى بالقارب لأتبين حقيقة الأمر يا جيم « ولكن لا تنس انها قد لا تكون « كايرو » .

وبادر « جيم » فأعد القارب ، ووضع سترته العتيقة فى قاع القارب لى أجلس فوقها ، وقدم لى المجداف . وبينما كنت ابتعد عنه قال :

— عما قريب ، سوف أهتف من شدة الفرح وأقول اننى مدين لهماك بحريتى ، واننى ما كنت لأتحرر يوما لولاك . . لقد كان

«هاك» هو الذى وهبنى الحرية . . ان جيم لن ينساك يا «هاك» . .  
لقد كنت أحسن صديق لجيم العجوز .  
ورحت أجدف مبتعدا والعرق ينسال من جبهتى بفزارة . .  
فقد كنت أعتزم افشاء سره ! ولكنه ما كاد يقول ذلك حتى انحسر  
عنى تأنيب الضمير . ومضيت أجدف ببطء ، ولم أكن أدري هل  
يسعدنى ما سأفعله أم لا ؟ وعند ما ابتعدت خمسين ياردة عن  
العائمة قال جيم :

— هلم يا هاك المخلص . . انك الرجل الابيض الوحيد الذى  
حافظ على وعده لجيم العجوز .

وشعرت بقلبي يغوص بين جنبى ، ولكنى قلت لنفسى انه  
لا مفر لى من افشاء سره لأننى لا أستطيع فرارا من تأنيب  
ضميرى . وفى تلك اللحظة أقبلت عائمة بها رجلان معهما بندقيتان ،  
وتوقفا ، فتوقفت . . وقال أحدهما :

— ما هذا الذى هناك ؟

فقلت : عائمة .

— هل تملكها ؟

— نعم يا سيدى .

— هل عليها رجال .

— رجل واحد يا سيدى .

— حسنا . . لقد هرب خمسة زنوج الليلة ومضوا هناك الى  
أعلى المنحنى ، هل الرجل الذى معك أبيض أم أسود ؟

فلم أجب مباشرة . والواقع اننى حاولت الكلام ولكن ارتج  
على ، فحاولت أن أستجمع أطراف شجاعتى وأن أفضى الى  
الرجلين بالحقيقة ، ولكنى أخفقت . ولم ألبث أن تبينت ضعفى  
فتخليت عن محاولة التظاهر بالرجولة ، وقلت :  
— انه رجل أبيض .



— أظن أنه يحسن بنا أن نذهب ونراه بأنفسنا .  
فقلت : لكم أتمنى ذلك يا سيدى لأن أبى هو الموجود فى العائلة ،  
ولعلكما تساعداننى على شد العائلة الى الشاطئ . . ان أبى  
مريض ، وكذلك أمى « ومارى آن » أختى !  
— أوه : يا للشيطان . . اننا فى عجلة من أمرنا أيها الفلام ،  
ولكن أكبر ظنى أنه يحسن بنا أن نأتى معك ، فهيا أمض امامنا .  
فأعملت مجدافى فى الماء ، وبعد قليل قلت :  
— سوف يدين أبى لكما بالشكر . . فقد كان كل من ناشدته  
أن يشد القارب الى الشاطئ ينصرف عنى . وأنا عاجز عن  
تحقيق هذا بمفردى .  
— هذه ندالة وضعة . . أخبرنى يا فتى مم يشكو أبوك ؟  
— انه مريض . . مريض . . ولكن مرضه ليس خطيرا !  
وتوقف الرجلان عن التجديف . وكان الوصول الى العائلة  
يتطلب بذل جهد كبير .  
وقال أحدهما : هذا كذب يا غلام . . ما هو مرض أبيك ؟  
أجب بلا مواربة فان ذلك خير لك .  
— سأفعل يا سيدى . . . سأفعل ، ولكن أرجوكم الا تتخلينا  
عنا . . . انكما سيدان شريفان ، ويكفى أن تساعدانى على شد  
العائلة الى الشاطئ بغير أن تقتربا منها ان شئتما . أرجوكم .  
فقال أحد الرجلين : هيا بنا يا جاك !  
وتراجعا قليلا وقال المتكلم : ابتعد يا غلام . . . ابتعد . . .  
أخشى أن تكون الريح قد نقلته الينا . . . ان أباك مريض بالجدرى ،  
وأنت تعلم ذلك حق العلم . فلماذا لم تقل ذلك بلا مواربة ؟ هل  
تريد أن ينتشر المرض فى كل مكان ؟  
فقلت متلعثما : الحقيقة اننى صارجت كل من قابلنى بالحقيقة ،  
فبادروا بالفرار وتركونا تحت رحمة الأقدار .

— مسكين أبوك أيها الشيطان ... اننا جد آسفان من أجلكم  
... ولكننا ... يا للعنة اننا لا نريد أن تنتقل إلينا عدوى الجدري  
... ولكن اصغ الى فسأقول لك ما يجب عليك أن تفعله ...  
لا تحاول ارساء العائمة وحدك والا حطمتها ... استمر في سيرك  
حوالى عشرين ميلا حتى تصل الى مدينة على الجانب الأيسر للنهر،  
وسوف تصل الى هناك بعد شروق الشمس بوقت طويل، وعندما  
تطلب المعونة قل ان أسرتك مصابة بنزلة برد وحمى ، وإياك  
والحماقة مرة أخرى ! لاتدع الناس يتكهنون بحقيقة مرض أيبك .  
لا جدوى من محاولة النزول الى البر عند هذا الضوء القريب ،  
فليس هناك غير مستودع خشب ... أكبر ظنى أن أباك فقير ،  
وانه سيبىء الحظ أيضا ، انظر، سأضع قطعة ذهبية من ذات العشرين  
دولارا فوق هذا اللوح فالتقطها عند ما يبر اللوح بك ... اننى  
حزين من أجلك ، لكننى لا أستطيع أن أفعل غير ذلك ، لأن من  
الحماقة الاستخفاف بالجدري ، فهل فهمت ؟

فقال الرجل الآخر مهلا لحظة يا باركر ... فسأضع عشرين  
دولارا أخرى على اللوح ... الوداع أيها الغلام ، افعل ما قاله لك  
مستر باركر وسوف تستقيم الأمور .

— نعم يا بنى ... الوداع ... اذا رأيت زوجا هاربين فاطلب  
النجدة ولعلك تتمكن من القبض عليهم والحصول على المكافأة .

فقلت : الوداع يا سيدى ... لن أدع الزوج الهاربين يفلتون  
منى اذا كان ذلك فى استطاعنى .

وابتعد الرجلان ، فصعدت الى العائمة وأنا أشعر بالضفة  
والانهيار ، لأننى كنت أعلم اننى ارتكبت خطأ ، وأدركت الا فائدة  
من أن أنعلم كيف أفعل الصواب ، فان الشخص الذى لايتعلم كيف  
يفعل الصواب وهو صغير لن يتعلم ذلك على الاطلاق ؛ فما أن  
يتعرض لاحدى التجارب حتى يعوزه المبدأ الذى يشد أزره ويلزمه

باتباع جادة الشرف ، فيستسلم . . . تم فكرت لحفله وفلت  
لنفسى : واثبت . . . لنفرض انك فعلت الصواب وتخليت عن جيم .  
فهل كنت تشعر بانك احسن حالا مما انت عليه الآن لا . . . قلت :  
كلا بالطبع ، كنت ساشعر بنعاسة عظيمة مثلما اشعر الآن .  
واضفت : ما الفائدة من ان اتعلم كيف افعل الصواب عند ما يتير  
عمل الصواب المتاعب ، بينما لا يشير عمل الخطأ أية متاعب ، والجزاء  
واحد في الحالتين ؟ ولم أستطع أن أجد جوابا لهذا السؤال ، فقررت  
الا أثقل على نفسى مثل هذا الحديث . . . وأن أفعل ما يكون فى  
متناول يدى أولا .

ودخلت الكوخ الهندى ، فلم أجد « جيم » هناك ، فتلفت حولى  
ولكنى لم أجد له أثرا !!  
هتفت : جيم ؟

— هانذا يا « هاك » . . هل غابا عن الأنظار الآن ؟ لا تتكلم  
بصوت عال ؟

كان جيم غاطسا فى النهر اسفل المجدف الخلفى ، فلم يكن يبرز  
منه غير أنفه . . . فقلت له ان الرجلين قد غابا عن الأنظار ، فصعد  
الى العائمة وقال :

— كنت اصفى لحدبشكم ، فنزلت الى النهر وكنت استعد  
للذهاب الى الشاطئ لو أن الرجلين صعدا الى العائمة ، على أن  
أعود الى العائمة سابحا بعد انصرافهما ، لكن يالك من غلام بارع . .  
لقد استطعت تضليلهما بسهولة يا « هاك » ، لقد كانت حيلة  
مدهشة يا غلام ، وأكبر ظنى انها هى التى أنقذتنى . . . ان جيم  
العجوز لن ينسى لك هذا الصنيع يا عزيزى .

وتحدثنا عن النقود التى اعطاها لى الرجلان ، فقال جيم اننا  
نستطيع بهذا المبلغ أن نسافر الآن على باخرة تم نفق بسخاء فى  
احدى الولايات الحرة ، واضاف ان العشرين ميلا التى يجب أن

نقطعها ليست بالمسافة الكبيرة وانه كان يتمنى أن تكون هذه المدينة في ولاية حرة !

وعند ما انبثق الفجر ، شددنا العائمة الى الشاطئ ، وقد حرص « جيم » كل الحرص على اخفاء العائمة جيدا . ثم قضى النهار كله في حزم الأمتعة والاستعداد لترك العائمة .

وحوالى الساعة العاشرة من تلك الليلة ، رأينا أنوارا صادرة من مدينة بعيدة عند منحني في الجانب الأيسر من النهر .

وركبت القارب ، وقصدت الى هذه المدينة لاستجلاء الحقيقة ، وسرعان ما التفتيت برجل يركب قاربا ويعد سنارته فتريت وسألته :

— أخبرنى يا سيدى ، هل هذه هى مدينة « كايرو » ؟

— « كايرو » !! ... لا ... لا بد أنك أحمق .

— اذن ما اسم هذه المدينة أيها السيد ؟

— اذا أردت أن تعرفه فاذهب واسأل عنه . أما اذا بقيت هنا نصف دقيقة أخرى وأصررت على ازعلجى ، فسيصيبك ما لا يسرك ...

واسرعت عائدا بقاربى الى العائمة ... وما كدت أخبر « جيم » بما سمعته حتى بدت عليه علامات خيبة الأمل المرة ، ولكنى قلت له الا داعى للأسف لأن « كايرو » هى المدينة التالية فيما اعتقد . ومررنا بمدينة أخرى قبل طلوع النهار ، وتهيات للذهاب اليها ، ولكنى لم البث ان تبينت انها مشيدة فوق مرتفع من الأرض ، فعدلت عن الذهاب اليها لأن « كايرو » ليست مشيدة على مرتفع ، وشددنا العائمة الى شجرة قنب على الجانب الأيسر من النهر ... وبدأت ارتاب فى الأمر ، وكذلك جيم ... فقلت :

— لعلنا مررنا بمدينة « كايرو » أثناء الضباب فى تلك الليلة . فقال : دعنا لا نتحدث فى ذلك يا هاك ، فان الزوج المساكين

لا يمكن أن يواتيهم الحظ الحسن . . . لقد كنت أعرف دائما أن ليس  
جلد الأفعى ذات الأجراس يجلب النحس . . نعم !  
- بودى لو أننى لم أر جلد هذه الأفعى يا جيم . . . بودى لو  
لم تقع عينى عليه .  
- ليس الخطأ خطأك يا هاك . فأنت لم تكن تعلم ذلك ، فلا تلم  
نفسك على ذلك .

وعند ما طلع النهار رأيت مياه نهر « أوهايو » الصافية !  
وهكذا ضاع أملنا فى بلوغ مدينة « كايرو » .  
وتحدثنا فى الأمر مليا ، وأدركنا أن من العبث الذهاب الى  
الشاطيء وأنا لن نستطيع الانطلاق بالعائمة مع التيار ، ولذلك لم  
يكن ثمة مفر من الانتظار حتى يأتى المساء ثم نستقل القارب .  
ونجازف . . .

ولقد قضينا النهار كله نائمين فى مزرعة قطن كثيفة ، ريثما يحل  
الليل . . . غير أننا ما كدنا نعود الى العائمة مع الظلام حتى تبين لنا  
اختفاء القارب .

ولم ينطق أحدا بكلمة واحدة وقتا طويلا ، فلم يكن فى استطاعتنا  
أن نقول شيئا . . . كنا نعلم حق العلم أن هذا نحس من عمل جلد  
الأفعى ذات الأجراس ! واعتقدنا أن من العبث أن نتحدث فى ذلك . .  
فلو أننا تحدثنا لجلب لنا جلد الأفعى مزيدا من النحس ، ولاستمر  
النحس فى ملاحقتنا الى أن نتعلم كيف نلزم الصمت ! !

وبعد فترة ، أخذنا نتبادل الرأى فيما يحسن بنا أن نفعله ،  
وأخيرا أدركنا ألا سبيل أمامنا الا أن نمضى قدما بالعائمة الى أن تتاح  
لنا فرصة لشراء قارب نعود به . لقد قررنا هذه المرة الا «نقترض»  
قاربا لا يكون صاحبه موجودا مثلما كان يفصل أبى ، لأن ذلك  
خليق بأن يبعث الناس فى اثرنا .  
وهكذا انطلقنا بالعائمة عند ما أرخى الليل سدوله .

وكان المكان الذى تباع فيه القوارب بعيدا عن العائلات الراسيات عند الشاطئ . . . ولكننا لم نر هذه العائلات ؛ ومن ثم مضينا فى سيرنا زهاء ثلاث ساعات أو أكثر . . ثم بدأ الظلام يرخى سدوله . وهذا أسوأ شئ بعد الضباب ، لأنه لايمكنك من معرفة شكل النهر أو تقدير المسافات . وعند ما تقدم الليل وهذا ، أقبل قارب بخارى من أمامنا فأوقدنا المصباح وقدرنا أن من فيه سيرون الضوء ، فالقوارب البخارية لا تقترب منا عادة وإنما يمر بنا من بعيد وتنطلق فى المساء الهادئ وتمضى فى قلب النهر فى مثل هذه الليالى الحالكة .

وسمنا صوت محرك القارب وهو مقبل ولكننا لم نره بوضوح الا حينما اقترب منا ، فالفينا يدنو منا سريعا كأنما ليرطم بنا . ولقد ألفنا مثل هذه المداعبات ، اذ كان قواد مثل هذه القوارب يدنون منا حتى يخيّل إلينا أنهم سيصطدمون بنا ، ولكنهم لا يلبثون أن ينحرفوا فجأة مبتعدين ، بينما يخرج القائد رأسه من النافذة ويضحك وهو يعتقد أنه بارع فى الدعابة ! ولقد ظننا أن هذا هو ما سيفعله قائد هذا القارب . وكان القارب كبيرا بشكل غير مألوف : وفجأة سمعنا شخصا يصيح بنا ، أعقبه رنين جرس لوقف المحركات ، وصغير حاد . وما كاد « جيم » يلقى بنفسه فى اليم من جانب وأنا من الجانب الآخر حتى اندفع القارب وارتطم بالعائلة فى عنف بالغ .

وسبحت الى القاع حتى لا تمزق جسمى عجلة القارب البخارى البالغ قطرها ثلاثون قدما . . . ولقد كنت لا أبقي تحت سطح الماء أكثر من دقيقة، ولكنى بقيت هذه المرة أكثر من دقيقة ونصف . ثم بادرت بالصعود الى السطح بعد أن كدت أختنق . وما كدت أصل الى سطح الماء حتى شهقت بقوة وطردت الماء من أنفى . . . بالطبع كان التيار عنيفا . ولقد أدار من فى القارب محركاته من جديد

وانطلقوا به دون أن يعبأوا بمسيرنا ... ثم لم يلبث القارب ومن فيه أن اختفى عن الأنظار .

• وناديت « جيم » أكثر من عشر مرات ولكنى لم أتلق رداً على ندائى . فأسرعت أتشبث بلوح اصطدمت به وأنا أصارع الماء للوصول الى الشاطئ ، ودفعت اللوح أمامى ولكنى لاحظت أن التيار يتجه نحو الشاطئ الأيسر ، وكان هذا دليلاً على أننى أسبح فى تقاطع مائى ، فغيرت اتجاهى ومضيت الى اليسار .

كان تقاطعاً طويلاً لا يقل طوله عن ميلين ، ومن ثم فقد مر وقت طويل قبل أن أتمكن من بلوغ الشاطئ . ومع أن الرؤية كانت شاقة ، فقد أخذت أتقدم فوق أرض خشنة زهاء ربع ميل أو أكثر حتى بلغت منزلاً خشبياً كبيراً مكوناً من طابقين ، كدت أمر به بغير أن أنتبه إليه ، لولا أن عدداً كبيراً من الكلاب انطلق ينبح بعنف ويتحفظ للانقضاض على فأدركت أن من الخير لى ألا أتقدم خطوة أخرى !!

## الفصل السابع عشر

زيارة ليلية - مزرعة اركانسو - الزخارف  
الداخلية - استيفن داوونج بوتس - نفقات  
شعرية - معزف ( بيانو ) صغير عتيق .

بعد نصف دقيقة تكلم شخص من النافذة بغير أن يبرز رأسه  
... قال :  
- اصمتوا ايها الغلمان ... من هناك ؟  
فاجبت : هذا أنا .  
- ومن أنت ؟  
- جورج جاكسون يا سيدى .  
- ماذا تريد ؟  
- لا أريد شيئاً يا سيدى ... كنت سائراً في طريقى ولكن  
الكلاب اعترضتنى .  
- ولماذا تتسكع هنا في هذا الوقت من الليل ؟  
- اننى لا اتسكع يا سيدى ... لقد سقطت من القارب في  
النهر ...  
- اوه ... احقا ؟ ليو قد احدثكم مصباحا ... ما اسمك  
مرة أخرى ؟  
- جورج جاكسون يا سيدى ... اننى غلام ...



— اصغ الى . اذا كنت تقول الصدق فلا شيء يدعوك للخوف؛  
فلن يؤذيك أحد ... لكن لاتحاول الهرب ... قف حيث أنت ...  
هيا أيقظوا « بوب » و « توم » وهاتوا البنادق ... هل معك أحد  
يا جورج جاكسون ؟

— كلا يا سيدى ، لا أحد معى .  
وسمعت هرجا ومرجا داخل المنزل، وبدأ من فيه يستيقظون ،  
كما أضىء مصباح . وقال الرجل يحدث شخصا:  
— ابعدى المصباح أيتها المغفلة ( يتسى ) ... أليس فى رأسك  
ذرة من العقل ؟ ضعيه على الأرض خلف الباب الأمامى ... وأنتما  
يا بوب وتوم ، اذا كنتما على استعداد فخذنا مكانكما .

— نحن مستعدان .  
— والآن يا جورج جاكسون ... هل تعرف آل تبردرسون ؟  
— لا يا سيدى . اننى لم أسمع عنهم !  
— قد يكون الأمر كذلك ، وقد لا يكون ... والآن ، استعدوا  
جميعا ... تقدم يا جورج جاكسون ... لكن لا تسرع ... تقدم  
ببطء شديد ، واذا كان أحد معك فلا تدعه يقترب والا أطلقنا  
النار عليه ... هيا تقدم ببطء ... افتح الباب بنفسك ...  
افتحه بما يكفى لدخولك فقط ... هل تسمعنى ؟

ولم أسرع ، فلم يكن ذلك فى مقدورى حتى ولو أردته ، وتقدمت  
خطوة فخطوة نحو الباب بغير أن أسمع صوتا سوى دقات قلبى .  
وكانت الكلاب صامتة كأصحابها ، ولكنها تبعتنى على مسافة  
قصيرة جدا . وعند ما بلغت الدرجات الثلاث الخشبية المؤدية الى  
الباب سمعت من بالداخل يفتحون الأقفال والمزالج ، فوضعت  
يذى على الباب ودفعته قليلا قليلا ، الى أن قال شخص من  
الداخل : « كفى ... أدخل رأسك من الباب » ... ففعلت ،  
وقد خيل الى أنهم سينتزعونها .

كان المصباح موضوعاً على الأرض ، وكان الجميع واقفين وهم يحملون في وجهي وأنا أحمل فيهم بدوري ، وظلنا على هذه الحال حوالي ربع دقيقة ... كان هناك ثلاثة عمالقة يحملون بنادق مصوبة الى ، مما جعلني أجفل . وكان أكبر هؤلاء الرجال أشيب الشعر في حوالي الستين من عمره ... أما الاثنان الآخران فكانت سنهما حوالي الثلاثين ؛ وكانوا جميعاً حسنى الطلعة متائقين . وكانت هناك أيضاً سيدة جميلة بيضاء الشعر ، وخلفها هيدتان شابتان لم أستطع رؤيتهما جيداً ...

وقال الكهل : أظن أن كل شيء على ما يرام ... ادخل . وما كدت أدخل ، حتى أغلق الكهل الباب بالأقفال والمزاج ، وطلب من الشابين أن يتقدما ببندقيتهما ، ومضى الجميع الى قاعة استقبال كبيرة ، غطيت أرضها بسجادة جديدة ، وتجمهروا جميعاً في ركن بعيد عن النوافذ الأمامية للمنزل . وكانوا يحملون المصباح ، فتأملوني ملياً على ضوءه ، وقالوا جميعاً : « انه ليس من أسرة شبردسون ... ليست به أية ملامح من هذه الأسرة » ... ثم طلب الى الكهل ألا أغضب اذا فتشني ليتأكد من أنني لا أحمل سلاحاً . وقال انه لا ينبغي الإساءة الى أو جرح شعوري . ولكنه لم يضع يده داخل جيوبى وانما اكتفى بتحسسها من الخارج . ثم قال انه مكتف بذلك ، وطلب الى أن أستريح وأن أعتبر نفسي في منزلى ! ..

ولكن السيدة الكبيرة قالت :

— ان ملابسى الفلام مبللة يا سول ، ثم ألا تظن انه جائع ؟

— أصبت يا راشيل . لقد غاب عني ذلك .

وقالت السيدة للخادمة الزنجية بيتسى : اذهبي واحضري له شيئاً من الطعام بأسرع ما تستطيعين ، مسكين هذا الفلام ... ولتذهب إحدى الفتاتين لتوقظ « باك » وتخبره بالأمر ... أوهـ

... ها هو قد جاء ... « باك » ... خذ هذا الغريب الصغير ،  
ودعه يخلع ثيابه المبتلة وقدم له بعضا من ملابسك الجافة .

كان « باك » فى حوالى سنـى - فى الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة -  
ولكنه أضخم منى بنيانا . ولم يكن يرتدى غير قميص . أما  
شعره فكان غير مصفوف . وأقبل الغلام نحوى وهو يتساءب  
 ويفرك عينيه باحدى يديه ، ويحمل بندقية فى اليد الأخرى ثم  
قال : ألا يوجد أحد من أسرة شبردسون هنا ؟  
فأجابوه بالنفى وبأن ما سمعوه كان كذبا !!

- تعال ... او جاء بعضهم فلا شك فى أننى سأقضى على  
أحدهم .

فضحكوا جميعا ، وقال بوب : لقد كان من المحتمل أن يفتكوا  
بنا يا « باك » لأنك تأخرت طويلا !!

- مهما يكن من أمر ، فان أحدا لم ينادنى .. وهذا خطاكم ..  
انكم دائما تتجاهلوننى ..

فقال الكهل : هون عليك يا « باك » . سوف تشاهد المعارك  
فى حينها ، فلا تقلق بالـك من هذه الناحية .. امض الآن وافعل  
ما قالته لك أمك .

وعندما صعدنا الى غرفة الغلام بالطابق الثانى، أحضر لى قميصا  
خشنا ، وسروالا من ملابسـه فارتديتهما . وبينما أنا أرتدى  
هذه الثياب سألتنى الغلام عن اسمى ولكنه لم يدع لى فرصة  
للـكلام ، فمضى يحدثنى عن الطائر أبو زريق والأرنـب اللذين ظفر  
بهما فى الغاب منذ يومين ، وسألتنى أين كان موسى عند ما انطلقت  
الشمعة ، فأجبته باننى لا أعلم ، لأننى لم أسمع عن شىء من ذلك  
من قبل .

فقال : حسنا ، اذن تكهن .

فقلت : وكيف أتكهن ، ما دمت لم أسمع أحدا يحدثنى عن هذا الموضوع ؟

— ولكنك تستطيع التخمين .. أليس كذلك ؟ ان الأمر سهل ..

فقلت : أية شمعة ؟

فقال : أى شمعة .

فقلت : اننى لا اعلم أين كان موسى .. فاين كان ؟

— يا الهى .. كان فى الظلام .

— حسنا .. ما دمت تعرف أين كان ، فلماذا تسألنى ؟

— انها « ضرورة » ألم تفهم ذلك ؟ أخبرنى ، الى متى ستبقى هنا ؟

عليك أن تقيم هنا معنا حتى نقضى معا أوقاتا سعيدة كثيرة ..

فان المدرسة مغلقة فى الوقت الحاضر .. هل تملك كلبا ؟ اننى أملك

واحدا — وهو قادر على السباحة فى النهر ليجلب لك قطعة

البطاطس التى تلقىها فيه .. هل تحب تصفيف شعرك فى أيام

الآحاد وما شابه ذلك من الحماقات ؟ صدقنى اننى لا أحبها ،

ولكن أُمى هى التى تتولى أمر مظهرى .. لعنة الله على السراويل

الطويلة ، ولكننى مرغم على ارتدائها رغم اننى لا أحبها .. انها

تزعجنى بما تشيعه فى الجسم من دفء .. هل انت على استعداد ؟

حسنا .. هلم بنا .

ووجدت لحما باردا وزبدا وقشدة فى انتظارى على المائدة ،

وهو ما لم اذقه من امد طويل . ودخن « باك » وأمه والجميع

الا الزنجية التى كانت قد انصرفت ، والسيدتين الصغيرتين ..

كانوا جميعا يدخنون ويتكلمون . أما انا فكنت آكل وأتكلم .

وكانت السيدتان الصغيرتان تلتفان فيما يشبه السارى ، وقد

تدلى شعرهما وراء ظهرهما . وراح الجميع يوجهون الأسئلة الى ،

فرويت لهم قصة خيالية مؤداها ان أبى وأنا وجميع الأسرة كنا

نقيم فى مزرعة صغيرة عند نهاية « أركانسو » ، وان أختى

« مارى آن » هربت وتزوجت ولم نسمع عنها أى نبأ بعد ذلك ، وكيف أن « بيل » ذهب للبحث عنها ولكنه لم يعد ثانية . وكيف مات « توم » و « مورت » ، فلم يبق الا أبى وأنا ، وكيف ان أبى أفلس وكاد يموت جوعا ، وكيف اننى جمعت القليل الذى تبقى ورحلت ، لأن المزرعة لم تكن ملكا لنا ، وكيف أردت عبور النهر على ظهر قارب بخارى ، فسقطت فى الماء ، وهذا هو السبب فى وجودى فى هذه المنطقة ! فقالوا اننى استطيع أن أقيم معهم اذا رغبت فى ذلك . وكان النهار قد أوشك على الطلوع فى ذلك الحين ، فأوى كل شخص الى فراشه ، وآويت أنا الى الفراش مع « باك » . وعند ما استيقظت فى الصباح كنت قد نسيت اسمى المستعار ، فبقيت راقدا فى الفراش زهاء ساعة وأنا أحاول عبثا أن أتذكره ، ثم استيقظ « باك » فقلت له : هل تستطيع التهجئة يا « باك » ؟

فأجاب : نعم .

فقلت : أراهن على أنك لا تستطيع تهجئة اسمى ؟

— أراهن أنك لا تجرؤ على الاقدام على هذا الرهان !

فقلت : حسنا ، دعنى أر أننى مخطيء .

فقال : ج — و — ر — ج . . ج — ا — ك — س — و — ن . .  
فما رأيك ؟

فقلت : حسنا ، لقد أثبت جدارتك .

ورحت أكرر الاسم وتهجئته فى رأسى خشية أن يطلب أحد الى ذلك .

كانت أسرة لطيفة ، وكان المنزل جميلا أيضا . بل انه لم يسبق لى أن رأيت منزلا فى الريف بمثل هذا الجمال والزخرف . لم تكن بيباب المنزل ( سقاية ) من الحديد أو الخشب مشدودة الى خيط تجذب منه ، وانما كان به مقبض نحاسى يدار كما هى الحال فى

منازل المدن ، وكانت هناك مدفأة كبيرة شيدت قاعدتها بالطوب الأحمر ! وفي بعض الأحيان كان اصحاب المنزل يفسلون هذه القاعدة بماء مذاب فيه طلاء أحمر مثلما يفعلون في المدن . كذلك رأيت ساعة موضوعة فوق منتصف رف المدفأة ، رسمت فوق النصف الأسفل من واجهتها الزجاجية صورة مدينة ، كما رسمت دائرة في وسطها تبين الشمس ، وبذلك تستطيع ان ترى البندول وهو يتأرجح خلفها . وكان لصوت الساعة وقع جميل على الأذن . وكان يحدث أحيانا أن يكون أحد اخصائى الساعات مارا بالمنزل ، فيطلب اليه اصحابه ضبط الساعة فتبدأ في الدق ولا تتوقف الا بعد أن تدق مائة وخمسين دقة !! لذلك كان أصحابها يرفضون بيعها مهما بلغ الثمن الذى يعرض عليهم .

وكان هناك ببغاء كبير على كل جانب من جانبي الساعة . . وكان كل ببغاء مصنوعا من شئ أشبه بالطباشير المطلى بلون زاه . والى جانب أحدهما وضع قط مصنوع من الخزف ، وبجوار الآخر كلب من الخزف أيضا ، فاذا ضغطت على أحدهما اطلق صراخا حادا ، ولكنهما كانا لا يفتحان فمهما ، ولا تتغير نظراتهما أو يبدو عليهما الاهتمام . أما هذا الصراخ فكان يصدر من باطنهما . . وكان ينتشر خلف هذه الأشياء جناح ديك رومى كبير على شكل مروحتين . وعلى منضدة في منتصف الغرفة وضعت سلة جميلة من الخزف امتلأت بالتفاح والبرتقال والخوخ والعنب ، وكانت ألوانها الحمراء والصفراء أجمل من الألوان الطبيعية ، ولكنها لم تكن فاكهة حقيقية ! وكان بوسعى أن أرى الطباشير الأبيض في بعض مواضعها مما يدل على أنها مصنوعة من « الجبس » ! .

وكان لهذه المنضدة غطاء مصنوع من قماش الشمع الجميل ، له حافة مطبوعة ، كما يحمل صورة نسر منشور الجناحين

باللونين الأحمر والأزرق . وعلمت أنهم جاءوا بهذا الفطاء من فيلاديلفيا كما قالوا ! وكان هناك أيضا بعض الكتب مرتبة بنظام بديع على جانبي المنضدة ، ميزت من بينها انجيل الأسرة وهو مملوء بالصور ، ثم كتاب « رحلة الحاج » وهو يعالج موضوع رجل هجر أسرته ، ولكن الكتاب لم يذكر السبب ! ولقد قرأت بعض فصول هذا الكتاب ، فقد كانت الحقائق الواردة فيه مثيرة للاهتمام ولكنها جافة . ونم كتاب آخر هو ( هبة الصداقة ) وهو زاخر بالعبارات المنمقة والشعر ، ولكنى لم أقرأه لأننى لا أحب الشعر ! وضمت المجموعة كتاب « خطب هنرى كلابى » وكتاب « طبيب الأسرة » للدكتور جان ، وهو كتاب طبى يخبرك عما يجب أن تفعله عندما يمرض أحد أفراد الأسرة أو يموت ! هذا بالإضافة الى كتاب تراويل ومجموعة من الكتب الأخرى ! وكانت بالمنزل مجموعة من المقاعد الوثيرة التى يرتاح الإنسان عند الجلوس عليها .

وكانت هناك مجموعة من الصور معلقة على الجدران ، أهمها صور واشنجطون ولافاييت وبعض المارك ، وبعض هذه الصور مرسوما بالفحم . وقد علمت انها من رسم فتاة من فتيات الأسرة ، ماتت وهى فى الخامسة عشرة من عمرها ! وكانت هذه الصور تختلف عن أية صور رأيتهما من قبل . كان سوادها أكثر من السواد الشائع ، وكانت أحداها تمثل امرأة ترتدى ثوبا اسود رقيقا وتضع ( شالا ) كبيرا اسود فوق رأسها وقناعا اسود أيضا فوق وجهها ؛ وكان ثمة شريط اسود يلتف حول ركبتيها الرقيقتين . وكانت هذه السيدة تتكىء على شاهد قبر بجانب مرفقها الأيمن تحت شجرة صفصاف وهى تبكى ، وقد بدت على وجهها علامات التفكير . أما يدها الأخرى فكانت تحمل منديلا وكيسا صغيرا ، وقد كتب أسفل الصورة « هلا اراك بعد .

الآن ! وأسفاه » وكانت هناك صورة ثانية لسيدة صغيرة تبكى في منديل ، وهى تحمل عصفورا ميتا ممددا على ظهره فى يدها الأخرى وكتب أسفل هذه الصورة : « لن أسمع تغريدك العذب بعد الآن ، وأسفاه » . وثمة صورة ثالثة لسيدة تطل من نافذة على القمر والدموع تنساب على خديها وقد أمسكت بخطاب مفتوح فى إحدى يديها بينما راحت تقضم بفمها قلادة معلقة فى عنقها ، وكتب تحت هذه الصورة « لقد ذهبت . . نعم ذهبت - وأسفاه » ، وكانت كلها صورا جميلة فيما أظن ، ولكننى لم أحبها لأنها كانت تثير حزنى دائما . وكان جميع أفراد الأسرة أسفين لموت الفتاة لأنها كانت قد وضعت تصميم عدد آخر من الصور لم تستكملها . وكانت الفتاة - قبل موتها - ترسم أعظم صورة رسمتها فى حياتها كما قالوا ! ولقد كانت تبتهل ليل نهار الا تموت قبل أن تفرغ من رسم هذه الصورة ، ولكن الموت اخترمها قبل أن تتحقق أمنيته . . كانت الصورة التى لم تستكملها تمثل شابة ترتدى ثوبا أبيض ، تقف على حاجز قنطرة وتأهب للوثوب فى الماء ، وقد استرسل شعرها على ظهرها وهى تتطلع الى القمر والدموع تنحدر فوق وجنتيها ، وقد عقدت ذراعيها على صدرها بينما بسطت ذراعين آخرين أمامها ، ورفعت ذراعين آخرين نحو القمر ! وكانت الفكرة - كما قالوا - هى معرفة أحسن وضع تكون فيه الذراعان ، ثم تزال بعد ذلك الأذرع الأخرى ! ولكن الفتاة ماتت كما قلت قبل أن تبث فى اختيار الوضع المناسب للذراعين ، فاحتفظت الأسرة بالصورة معلقة بأعلى الفراش الذى كانت الفتاة تنام فوقه فى غرفتها . وكلما حان يوم عيد ميلادها احاطوا بالصورة بالزهور . أما فى الأيام الأخرى ، فكانوا يغطونها بستار صغير . وكان للفتاة المرسومة فى الصورة وجه لطيف ، إلا أن كثرة الأذرع جعلتها تبدو لى كالعنكبوت ! !



وكانت الفتاة المسكينة تحتفظ بكراسة اعتادت أن تسجل فيها المراتى والحوادث وحالات المرضى الذين يتعذبون . وكانت تكتب فيهم أشعارا جيدة ، ومن بين هذه القصائد رثاؤها لفلان اسمه « استيفن داوونج بوتس » سقط في بئر فغرق !

واذ كانت « اميلين جرانجرفورت » - وهذا اسمها - قادرة على قرض الشعر وهى فى الرابعة عشرة من عمرها ، فليس هناك أدنى شك فيما كانت تستطيع أن تقرض من قصائد رائعة لو أن القدر مد فى عمرها . وقال « باك » انها كانت تتكلم بالشعر ! كانت ترتجله ، ولا تفكر فيه قبل أن تقوله ! . . وقال انها كانت تكتب شطرا ، فاذا لم تجد شيئا يتفق معه فى القافية والوزن شطبه وكتبت شطرا آخر ، ثم تمضى فى كتابة بقية القصيدة . ولم تكن الفتاة تعالج ناحية معينة ، وانما كانت تكتب عن أى شيء تختاره لها . فكلما مات رجل أو امرأة أو طفل فانها تذهب اليه حاملة معها « هديتها » - من الشعر - قبل أن يبرد جسده ! . وكانت تطلق على هذه القصائد اسم « هدايا » ! وكان الجيران يقولون ان الطبيب يأتى أولا ، ثم « اميلين » ، ثم حفار القبور ، ولم يسبق حفار القبور « اميلين » الا فى مناسبة واحدة . وعندئذ كتبت قصيدة ملتهبة ظلت ترددها الأفواه فى رثاء الميت . وكان هذا الميت يدعى هويسلر . وبعد هذه المناسبة ساءت حالة الفتاة الصحية ، ومع انها لم تتألم فانها كانت تذوى باستمرار ولم تعيش طويلا . مسكينة هذه الفتاة . . لطالما كنت أسعد الى غرفتها الصغيرة والتقط كراسة مذكراتها واقرا محتوياتها عند ما تهولنى صورها وتروعنى . . ولقد احببت جميع افراد الأسرة الموتى منهم والأحياء ، وكنت اعتزم الا أجعل شيئا يقف بيننا . . ولما كانت المسكينة « اميلين » تدبج الشعر عن الموتى وهى على قيد الحياة ، لذلك لم يكن من الصواب الا يرثيها أحد بقصيدة

بعد موتها . ومن تم فقد عصرت ذهنى لأكتب سطرين من النثر .  
ولكنى أخفقت !

أما غرفة الاستقبال : فقد كانت جميلة حقاً . . فالستائر  
الجميلة تغطي نوافذها . وكانت هذه الستائر بيضاء اللون ، محلاة  
بصور مطبوعة لقلاع تتدلى أشجار الكروم من فوق جدرانها ،  
بينما تقبل قطعان الماشية لتستقى من جداول الماء ، وكان الغرفة  
معزف صغير عتيق ( بيانو ) ولم يكن هناك ما هو أجمل من أن  
تستمع الى الانسات وهن يرددن أغنية «لقد تحطمت آخر حلقة» .  
أو يعزفن أنسودة « معركة براغ » على المعزف !

## الفصل الثامن عشر

الكولونيل «جرانجر فورت» - ارستقراطية -  
نار - الكتاب المقدس - ( الشعابن المائية ) -  
استعادة العائلة - كومة الأخشاب - لحم  
الخنزير والكرنب - « أهذا أنت يا حبيبي ؟ »

كان الكولونيل « جرانجر فورت » - مضيئى - سيدا مهذبا  
بمعنى الكلمة . وكذلك كانت أسرته كلها مهذبة . . كان من عنصر  
طيب المولد كما يقول المثل ؛ ولهذا العنصر بالنسبة للانسان اهمية  
لا تقل عن اهميته بالنسبة للخيل كما قالت لى الأرملة دوجلاس  
التي لم ينكر أحد انها فى مقدمة الارستقراطيين فى بلادنا ! . ولقد  
قال أبى ذلك أيضا ، مع انه لم يكن من ذوى الأخلاق الفاضلة . .  
وكان الكولونيل « جرانجر » رجلا فارع الطول . أما بشرته  
فكانت سمراء ممتقبة ليس فيها أثر للاحمرار . وكان يحلق  
وجهه النحيل كل صباح . وكانت شفتاه أرفع شفتين رايتهما .  
وكان أنفه طويلا ، كما كان حاجباه كثيفى الشعر . أما عيناه  
فكانتا سوداوين فاحمتين غائرتين جدا ، حتى لكأنهما تنظران  
إليك من كهفين . وكانت جبهته عالية ، كما كانت يداه طويلتين  
رفيعتين . وكان الرجل يرتدى كل يوم قميصا نظيفا وبذلة  
كاملة من رأسه الى أخمص قدميه ، مصنوعة من كتان ناصع

البياض الى درجة تؤذى عينيك اذا تطلعت اليها . اما في ايام  
الآحاد ، فكان يرتدى سترة زرقاء ، لها ذيل بأزرار نحاسية ،  
ويحمل عصا من الخشب الفاخر لها رأس من الفضة . ولم يكن  
منظر الرجل يوحى بأنه مستهتر أو طائش ؛ كما أنه لم يكن يرفع  
صوته أثناء الكلام . وكان شفوفا طيب القلب يوحى لمن يراه  
بالثقة به . وكان يتسم أحيانا ، فيبدو منظره لطيفا . ولم يكن  
الرجل بحاجة الى تنبيه الناس الى اتباع قواعد الأخلاق في  
حضرته ، فقد كانوا جميعا يحترمونه ويحبون أن يتحدثوا اليه .  
بل انه كان أشبه بشروق الشمس ! . واقصد بذلك انه كان يجعل  
الناس يشعرون وكأنهم يستمتعون بدفع حديثه .

وكانت أسرته تحترمه ، فكلما هبط بصحبة السيدة العجوز  
من الطابق العلوى كل صباح ، هبت الأسرة كلها واقفة لتحييهما  
نحية الصباح ؛ ولا يجلس أحد حتى يجلس الاثنان .

اما أفراد الأسرة - عدا « باك » - فكانوا أربعة . . . « بوب »  
أكبر أبناء الأسرة ، ويتلوه « توم » . وكان الاثنان شابين طويلي  
القامة جيلين ، عريضى المنكبين ، سمرأوى الوجه ، شعرهما طويل  
اسود ، وعيناهما سوداوان . وكانت تياهما مصنوعة من الكتان  
الأبيض كتياب أبيهما . كما كانا يرتديان قيعنين من قبعات « بناما »  
العريضة .

وتأتى بعدهما الأنسة « شارلوت » . وكانت فى الخامسة  
والعشرين من عمرها ، طويلة القامة ، تبدو عليها امارات العظمة  
والكبرياء ، ولكنها كانت طيبة القلب وهى هادئة ! اما اذا اثرت فان  
نظرة تنبعث من عينيها كافية لأن تجعلك تنكمش فى مكانك !  
ولكنها كانت - رغم ذلك - جميلة !

اما أختها الآنسة « صوفيا » ، فقد كانت ذات طابع مختلف . .  
كانت فى العشرين من عمرها ، رقيقة لطيفة مثل الحمامة .

وكان لكل فرد في الأسرة زنجية أو زنجى يقوم على خدمته !  
ولقد كان الزنجى الذى قام على خدمتى مرتاحا الى وجودى ، لأننى  
لم أبهظ كاهله بالعمل ، ذلك اننى لم اعتد الاعتماد على خادم  
يخدمنى ! اما الزنوج الآخرون ، فقد كان العمل يثقل كواهلهم .  
تلك كانت حال الأسرة وقتذاك . اما قبل ذلك ، فقد كانت  
الأسرة أكبر عددا . . . اذ قتل ثلاثة أبناء وماتت ابنة كانت  
تدعى « اميلين » .

وكان الكهل يملك عددا كبيرا من المزارع وأكثر من مائة زنجى .  
وفى بعض الأحيان ، كانت مجموعة كبيرة من الناس تفد على المنزل  
على ظهور الجياد من أمكنة تبعد عشرة أميال أو خمسة عتير ميلا ،  
ويمكثون بضعة أيام يقومون خلالها برحلات كثيرة حول النهر  
ويقومون برحلات فى الغابات أثناء النهار ، كما يقيمون حفلات  
للرقص بالمنزل ليلا . وكان معظم هؤلاء الزائرين من أصدقاء الأسرة  
الاخصاء . وكان الرجال منهم يحضرون بسادقهم معهم . . .  
وخلاصة القول كان هؤلاء القادمون على خلق حميد .

وكانت هناك أسر ارسقراطية أخرى تعيش فى هذه المنطقة . .  
خمس أو ست أسر ، يحمل معظمها اسم « شبردسون » وهى  
أسر عريقة تتمتع بالتراء العظيم والجاه مثل أسرة «جرانجفورد» ،  
وكانت أسرنا « شبردسون » و « جرانجفورد » تستخدمان مرفأ  
واحدا للقوارب يبعد خوالى ميلين عن المنزل . وكنت أذهب  
أحيانا مع بعض أفراد الأسرة الى هذا المرفأ ، فأرى هناك أفرادا  
كثيرين من أسرة « شبردسون » ممتطين صهوات جيادهم الجميلة .  
و ذات يوم كنت و « باك » نصطاد بعيدا فى الغاب ، وسمعنا  
وقع حوافر جواد مقبل ، وكنا نعب طريقا فصاح « باك » فجأة :  
— أسرع ، بادر بالدخول الى الغاب .

واختفينا داخل الغاب على عجل ، ثم أخذنا نختلس النظر من

خلال أوراق الشجر ، وسرعان ما رأينا شابا جميلا مقبلا على الطريق فوق صهوة جواد أصيل . وكان منظر الشاب وسهولة جلسته يجعلانه يبدو كجندى . وكان يثبت بندقيته على كتفه . وكنت قد رأيت هذا الشاب من قبل . . . لقد كان « هارفى شبردسون » الصغير ، وسمعت بندقية « باك » تنطلق بجوار أذنى . وفى التو ، طارت قبة « هارفى » من فوق رأسه . وجذب الشاب بندقيته واندفع الى المكان الذى كنا نختبئ فيه ، ولكننا لم ننتظر ، فقد اندفعنا نركض بكل قوانا داخل الغاب . ولكن الغاب لم يكن كثيفا ، فطلعت من فوق كتفى لأتجاشى الرصاص ، فقد رأيت « هارفى » يصوب بندقيته الى « باك » مرتين ؛ ولكنه سرعان ما كف عن ملاحظتنا وكر عائدا من حيث اتى ليلتقط قبعته فيما اعتقد ، وان كنت لم أره يفعل ذلك ، ولم نتوقف عن الركض حتى وصلنا المنزل . وهناك قابلنا الكهل . . . تألقت عيناه لحظة ، ولم يكن منظره ينبئ عن سرور ، ولكن أسارير وجهه لم تلبث أن انفرجت ، ثم قال بلهجة رفيقة :

— اننى لأحب اطلاق النار من وراء الشجيرات ! لماذا لم تعترض طريقه يا بنى ؟  
فقال « باك » :

— ان آل « شبردسون » لا يفعلون ذلك يا أبى !  
ورفعت الأنسة « شارلوت » رأسها بكبرياء كما تفعل الملكات ، بينما كان « باك » يسرد قصته . ثم انتفخت أوداجها وتآلقت عيناهما . أما الشابان ، فقد تجهم وجهاهما وان لم ينطقا ببنت شفة . وأما « صوفيا » فقد امتقع لونها ، ولكن الدم لم يلبث أن سرى فى وجنتيها عند ما تبينت أن الكهل لم يثر أو يغضب .  
وحينما اختليت بالشاب « باك » قلت له :  
— هل كنت تريد قتله يا « باك » ؟

- نعم .
- وماذا فعل لك ؟
- هو ؟ ... انه لم يفعل شيئاً .
- اذن لماذا كنت تريد قتله ؟
- لا لشيء ... الا للثأر .
- أى ثأر ؟
- أين نشأت يا هالك ؟ ألا تعرف ما هو الثأر ؟
- اننى لم أسمع هذه الكلمة من قبل ، فسرّها لى .
- فقال « باك » : الثأر هو أن يشتبك رجل مع آخر فى عراك فيقتله ؛ وعندئذ يقوم أخو القتيل بقتل القاتل ، فيقوم أخو القتيل بقتل القاتل وهلم جرا ، الى أن ينتهى الاخوة ؛ فيتولى القتل أبناء العم ! وهكذا يموت الجميع على مر الزمن ، فلا يكون هناك ثأر ! ولكن الأمر يسير ببطء ويستغرق وقتاً طويلاً .
- وهل مضى وقت طويل على هذه الحال يا « باك » ؟
- أظن ذلك ... لقد بدأ الخلاف منذ ثلاثين عاماً أو أكثر ...
- فقد نشأ خلاف على شيء ما ، ثم تحول الخلاف الى دعوى قضائية للبت فى الأمر ، وخسر أحد الخصمين القضية طبعاً ، وعندئذ قتل الرجل الذى ربحها !
- وماذا كان سبب الخلاف يا « باك » ؟ .. أرض ؟
- أظن ذلك ، وإن كنت لا أعلم على وجه التحقيق .
- ومن الذى بدأ بإطلاق النار ؟ أهو أحد أسرة « جرانجفورد » أم أحد أفراد أسرة « شبردسون » ؟
- يا الهى ... انى لا أعرف ؟ لقد حدث ذلك منذ أمد طويل .
- ألا يعلم أحد ذلك ؟
- أوه ... بالطبع أبى يعرف ... كذلك يعرفه بعض الكهول

من أفراد الأسرة الأخرى . . . ولكنهم لا يعلمون الآن لماذا نشأ الخلاف أول الأمر .

– وهل قتل كثيرون يا « باك » ؟

– نعم . . . لقد سارت جنازات كثيرة في تلك الفترة . ولكن كثيرا من الاشتباكات لم تكن تنتهى دائما بالقتل . فقد أصيب أبى عدة مرات ولكنه لا يبالي ، لأنه لا يقيم لمثل لهذه الأمور وزنا . . . كذلك أصيب « بوب » و « توم » عدة مرات .

– وهل قتل أحد هذا العام يا « باك » ؟

– نعم . قتل واحد منا وواحد منهم . فمنذ حوالى ثلاثة شهور ، كان ابن عمى « باد » البالغ من العمر أربعة عشر عاما يمتطى صهوة جواده فى الغاب على الجانب الآخر من النهر ولم يكن معه سلاح ، وهى حماقة لا تفتقر ؛ وعند ما كان يمر ببقعة منعزلة سمع وقع جواد مقبل فى أثره ، ثم رأى « شبردسون » العجوز يجد فى أثره وبندقيته فى يده وشعره الأشيب يتطاير فى الهواء . وبدلا من أن يترجل « باد » ويلوذ بالغاب ، ظن أنه يستطيع أن يسبق الكهل ، فدارت بين الاثنين مطاردة حامية استمرت خمسة أميال أو أكثر . وكان الكهل يقترب رويدا رويدا من « باد » طوال الوقت . وأخيرا أدرك « باد » أنه لن يستطيع الهرب ، فتوقف واستدار الى مطارده حتى يواجه الرصاص . وتقدم الكهل منه وأطلق عليه النار فأرداه قتيلا ، ولكن القاتل لم يجد متسعا من الوقت للاستمتاع بنصره ، ففى مدى أسبوع واحد قتلتة أسرنا . – أعتقد أن ذلك الكهل كان جيانا يا « باك » .

– أما أنا فأعتقد أنه لم يكن جيانا ، فليس بين أسرة « شبردسون » جبناء ؛ كما أنه ليس بين « آل جوانجفورد » جبناء أيضا . لقد قاتل ذلك الكهل ثلاثة من أسرة « جرانجفورد » ذات مرة ، واستمر القتال نصف ساعة ، ثم خرج منه ظافرا ! .



كانوا جميعا ممتطين صهوات جيادهم ، فأسرع الكهل بالترجل واحتفى خلف كومة صغيرة من الخشب ووضع جواده أمامه ليحميه من الرصاص ، ولكن رجال أسرة « جرانجفورد » ظلوا فوق جيادهم وراحوا يدورون حول الكهل ويمطرونه بوابل من رصاصهم وهو يطرهم برصاصه أيضا . ولقد عاد هو وجواده الى منزله مصابين ، ولكن رجال أسرة « جرانجفورد » لم يستطيعوا العودة ، فقد نقلوا الى المنزل محمولين ، ومات أحدهم في تلك الليلة ، ثم مات آخر في اليوم التالي ! . . . كلا يا سيدى . . . اذا أراد أحد الحديث عن الجبناء ، فخير له ألا يتحدث عن أسرة « شبردسون » ، لأن هذه الأسرة لم تنجب جبناء !



وفي يوم الأحد التالى ، ذهب الجميع الى كنيسة تبعد حوالى ثلاثة أميال عن المنزل . وكان الجميع يمتطون صهوات جيادهم . واخذ الرجال بنادقهم معهم ، وكذلك فعل « باك » . وكان الواحد منهم يضع بندقيته بين ركبتيه ، او يسندها الى الجدار حتى تكون في متناول يده . . . وفعل آل « شبردسون » المثل ! وتحدث الواعظ عن الحب الأخوى والتعاطف ، وقال الجميع انها كانت عظة حسنة ، ولم يكفوا عن الحديث عنها عندما عادوا الى المنزل ، كما أسرفوا فى الحديث عن الايمان والأعمال الطيبة وحسن النية وغير ذلك مما لا أعلمه .

وبعد الفداء بساعة ، كان الجميع يأخذون قسطا من الراحة . . فاستمتع البعض بالراحة وهم جلوس فوق مقاعدهم ، بينما استمتع البعض الآخر بها فى غرفهم مما جعل المنزل يبدو شديد الكآبة . وكان « باك » وكلبه راقلين فوق الحشائش المشمسمة خارج الدار . أما أنا ، فقد سعدت الى غرقتى لأنال قسطا من

النوم بدورى ! والتقيت بالآنسة « صوفيا » الجميلة عند باب غرفتها التى تجاور غرفتنا ، وبعد أن تبادلنا التحية سألتنى أن أودى لها خدمة دون أن أخبر بذلك أحدا . . . قالت أنها نسيت انجيلها بين كتابين كانا موضوعين على المقعد فى الكنيسة ؛ وطلبت منى أن أتسلل من المنزل بهدوء وأذهب الى الكنيسة وأحضر لها انجيلها دون أن أخبر أحدا بذلك .

وتسللت من المنزل ، وانطلقت فى الطريق ، وذهبت الى الكنيسة . ولم أجد بها أحدا اللهم الا خنزيرا أو اثنين ، لأن باب الكنيسة لم يكن مغلقا بقفل . . . والخنازير تحب التمرغ على البلاط أثناء الصيف للاستمتاع ببرودته !!

وقلت لنفسى أن فى الأمر شيئا ، فليس من الطبيعى أن تبدى إحدى الفتيات مثل هذه اللهفة على انجيلها ! وعند ما هزرت الانجيل سقطت منه قطعة صغيرة من الورق كتب عليها « الساعة الثانية والنصف » بالقلم الرصاص . . . وفتشت الانجيل ولكنى لم أجد شيئا آخر . ولم استطع أن أفهم معنى هذه العبارة ، فأعدت الورقة الى الكتاب ثانية . وعندما عدت الى المنزل وصعدت الى الطابق العلوى وجدت الآنسة « صوفيا » فى انتظارى عند باب غرفتها . وعندما أخذت الانجيل منى بحثت بين أوراقه حتى عثرت على الورقة . وما أن قرأتها حتى بدا عليها السرور ! وشكرتنى ثم طلبت منى مرة أخرى ألا أخبر أحدا بما فعلت . وكان وجهها شديد التوهج وعيناها لامعتين ، مما جعلها تبدو فاتنة ! ولقد دهشت لذلك أيما دهشة . وما كدت ألتقط أنفاسى اللاهثة حتى سألتها عن تلك الورقة ، فسألتنى ان كنت قد قرأتها ، فأجبت بالنفى ! فسألتنى ان كنت أعرف القراءة فأجبت بالنفى أيضا ! وعندئذ قالت ان قطعة الورق لم تكن أكثر من مجرد علامة لمعرفة المكان الذى توقفت فى القراءة عنده ! ثم صرفتنى لالعب !

غادرت المنزل الى النهر ، وانا افكر فى الأمر . وسرعان  
ما لاحظت أن خادمى الزنجى يتبعنى من بعد . وعند ما أصبحنا  
بعيدين عن المنزل تطلع الزنجى خلفه وحوله لحظة ، ثم أقبل  
راكضا ، وقال :

— اذا جئت معى الى المستنقع يا مستر جورج ، فسأريك  
كمية هائلة من الثعابين المائية !

وعجبت لذلك أشد العجب ، فقد سمعته يقول ذلك بالأمس  
أيضا . وكان ينبغى أن يدرك هذا الزنجى اننى لا أحب رؤية  
ثعابين الماء الى الدرجة التى تدفعنى الى البحث عنها ؛ وعندئذ  
أيقنت أن فى الأمر شيئا !

قلت له : اذن امض أمامى !

وتبعته مسافة نصف ميل . وعندئذ أشرفنا على مسنقع  
خاضه الزنجى الى أن بلغ الماء ركبتيه وانا فى أثره . وبعد أن  
قطعنا نصف ميل آخر أشرفنا على رقعة أرض مسطحة جافة  
بها اشجار كثيفة وكروم .

وقال الزنجى : ادخل .. ثم تقدم خطوات قليلة يا مسر  
جورج وستجد الثعابين المائية .. فقد سبق لى أن رأيته ..  
ولست أعلم هل ستجدها أم لا !

ثم انثنى وكر عائدا من حيث أتى ؛ وسرعان ما اختفى بين  
الأشجار ، فرحت أتجول هنا وهناك حتى عثرت على بقعة  
مكتشوفة تحيط بها الكروم من كل جانب . وهناك وجدت رجلا  
نائما ! وكان هذا الرجل هو صديقى القديم « جيم » ! !

أيقظته .. وكنت أتوقع أن تكون رؤيته لى مفاجأة عظيمة له ،  
ولكنه لم يدهش ! لقد كان مسرورا ، وكان يوشك أن يبكى من  
فرط الفرح ! وقال لى أنه كان يبحث عنى فى تلك الليلة ، وكان  
يسمع صياحى كل مرة ، ولكنه لم يرد على لأنه كان يخشى ان.

يقبض احد عليه ويعيده الى حياة العبودية !  
ثم قال :

— لقد أصبت فى تلك الليلة اصابة خفيفة ولم أستطع السباحة بسرعة ، ولهذا تأخرت عنك طويلا فى النهاية . . ولقد ظننت اننى سأتمكن من اللحاق بك ، ولكنى ما كدت أرى ذلك المنزل حتى ابطأت فى سبرى ، ولم ألبث أن سمعت اصحابه يتحدثون اليك ، ولكنى لم أستطع سماع حديثكما لبعدى والخوفى من الاقتراب من الكلاب . وعندما هدا كل شىء أدركت أنك دخلت المنزل ، فمضيت الى الغاب حتى يطلع النهار . وفى ساعة مبكرة من الصباح ، أقبل بعض الزوج فى طريقهم الى الحقول فاخذونى وارونى هذا المكان الذى لا تستطيع الكلاب أن تقتفى أثرى فيه بسبب الماء ، وكانوا يجيئوننى بالطعام كل ليلة وينقلون لى أنباءك .  
فقلت له :

— ولماذا لم تطلب من خادمى « جاك » أن يجىء بى الى هنا قبل ذلك ؟  
— لم تكن هناك فائدة من ازعاجك يا « هاك » . . وعلى أية حال ، فاننا بخير الآن . . اننى أبتاع الآن الآنية والأوعية والضرورات كلما سنحت لى فرصة ، كما اننى أصلح العائمة فى الليل عند ما . . . .

— أية عائمة يا جيم ؟

— عائمنا القديمة .

— هل تعنى أن عائمنا القديمة لم تتحطم تماما ؟  
— كلا ، انها لم تتحطم تماما ، وان كان قد أصابها تلف كبير . . ولكننا فقدنا معظم متاعنا ، فلو أننا لم نفطس الى هذا العمق الكبير تحت الماء ولم يكن الظلام دامسا فى تلك الليلة ولم تكن فزعين مذعورين ، لأمكننا انقاذ العائمة بما فيها !

فقلت له :

— وكيف استطعت الحصول على العائمة ثانية يا جيم ؟ . هل

لحقت بها ؟

— كيف يمكن اللحاق بها وأنا في الغاب ؟ . لقد عثر بعض الزنوج عليها مصطدمة بشجرة عند المنحنى القريب من هنا فأخفوها في خليج بين أشجار الصفصاف . وكان الزنوج يكترون من الحديث عنها وعن عساه يصبح صاحبها ، فقلت لهم أن أحدا منهم لن يصبح صاحبها لأنها ليست ملكا لأحد منهم وإنما هي ملك لك ولى . وحذرتهم من سرقة أى شىء أو اخفاء أى شىء . يملكه شاب أبيض ! ثم أعطيت كل واحد منهم عشرة سنتات ، ففرحوا بذلك وودوا لو جاءت عدة عائمات أخرى ليصبحوا من الأثرياء ! . ان هؤلاء الزنوج يعاملوننى خير معاملة ، فكلما طلبت منهم أن يفعلوا شيئا من أجلى ، بادروا الى تلبية طلبى بلا ابطاء . . ان جاك زنجى طيب ، فضلا عن أنه ذكى !

— نعم ، انه كذلك ، ولكنه لم يقل لى اطلاقا انك هنا ؛ وإنما طلب منى أن آتى الى هنا ليرينى كثيرا من الثعابين المائية . . فإذا حدث شىء ، استطاع أن يقلت بجلده من النتائج ويقول — بحق — انه لم يرنا معا !

\*\*\*

لن أطيل الحديث عن اليوم التالى ، ولعله من الأفضل أن أوجز فى سرد حوادثه . . لقد استيقظت عند الفجر تقريبا ، وهممت بالنوم ثانية عند ما لاحظت أن المنزل كان هادئا بشكل غير مألوف . . لقد خيل الى أنه لا يوجد به مخلوق ، ولم يكن ذلك أمرا عاديا . ولم ألبث أن لاحظت أن « بالك » غير موجود ، فنهضت من الفراش وأنا شديد العجب ، وهبطت الى الطابق الأسفل فلم

اجد أحدا .. كان كل شيء هادئا وكأنما تحول المنزل الى مقبرة .  
وكان الهدوء مستتباً في الخارج أيضا ، فأخذت أتساءل عن معنى  
ذلك . وعندما وصلت الى كومة الأخشاب بالغاب التقيت بخادمي  
« جاك » فسألته :

— ما معنى هذا ؟

فأجاب : الا تعلم ما حدث يا سيد جورج ؟

— كلا .. لا أعلم شيئا .

— لقد هربت الأنسة « صوفيا » .. هربت أثناء الليل وان  
كان أحد لا يعلم متى هربت .. لقد هربت لتتزوج من ذلك  
الشاب « هارفي شبردسون » .. هكذا سمعته يقولون ! وعندما  
اكتشفت الأسرة الأمر منذ حوالي نصف ساعة وربما ، أكثر قليلا ،  
لم تضع وقتا .. بادر الجميع بركوب جيادهم والتسلح ببنادقهم  
بسرعة لم يسبق لى ان رأيت لها مثيلا ، أما النسوة ، فقد ذهبن  
للاستنجاد بالأقارب ، وأما الكهل « سول » والشبان فقد  
حملوا بنادقهم وركبوا جيادهم وانطلقوا الى النهر للحاق بالشاب  
وقتله قبل أن يعبر النهر بالآنسة « صوفيا » .. أكبر ظنى اننا  
سنشاهد وقتنا عصيبا يا سيدى !

— لقد انصرف باك بغير أن يوقفنى !

— اعتقد ذلك .. لم يريدوا اقحامك في الأمر .. لقد حشا  
السيد « باك » بندقيته بالرصاص ، وقال انه اما أن يقتل أحد  
أفراد أسرة « شبردسون » أو ينفجر غيظا .. وبالنظر الى أن  
صداما مروعا سيقع بين الأسرتين ، فمن الأرجح أن تتحقق  
أمنيته ! .

وانطلقت نحو النهر بأقصى سرعة مستطاعة ؛ ولم ألبث أن  
سمعت صوت طلقات نارية بعيدة . وعندما وصلت الى مخزن  
الكتل الخشبية والمرفأ الخشبي الذى ترسو القوارب التجارية

عنده ، أخذت ازحف بين الأشجار والأعشاب حتى عثرت على مكان ملائم . ثم تسلمت إحدى الأشجار العالية ، ورحت أراقب ما يحدث ! .. كان هناك أربعة أو خمسة رجال يتواثبون بجيادهم في المنطقة المكشوفة أمام مخزن الخشب وهم يسبون ويتصايحون ويحاولون الظفر بفلامين يحتميان بالمرء الحشبي الذي ترسو القوارب التجارية عنده بغير أن يجرؤوا على الخروج من وراءه . وكان الرجال يطلقون النار على الفلامين كلما حاول أحدهما الخروج من مكانه . وكان الفلامان يجلسان القرفصاء ظهرا الى ظهر خلف كومة من الخشب حتى يستطيعا رؤية جانبي الطريق !

وبعد قليل ، كف الرجال عن التواثب والصياح ، وانطلقوا نحو مخزن الخشب . . وعندئذ نهض أحد الفلامين ، ورفع بندقيته من فوق حافة المرفأ وأطلقها . وفي التوسقط أحد الرجال من فوق جواده . وعندئذ ترجل زملاؤه وجذبوا المصاب وبدأوا يحملونه الى مخزن الأخشاب . وفي تلك اللحظة بدأ الفلامان يركضان بكل قوتهما حتى وصلا الى منتصف المسافة بين المرفأ والشجرة التي كنت أختبئ فوقها . وعندئذ تنبه الرجال فوثبوا فوق ظهور جيادهم . . وظلت المسافة بين الفلامين وهؤلاء الرجال تضيق ، ولكن الفلامين استطاعا أن يصلا في النهاية الى كومة الأخشاب وتسللوا خلفها ، وبذلك أصبحا بأمن من انتقام الرجال ، وكان « باك » أحد هذين الفلامين . أما الفلام الآخر ، فكان شابا نحيف القامة في حوالي التاسعة عشرة من عمره . .

وتلكا الرجال قليلا ، ثم لكزوا جيادهم واندفعوا مبتعدين . وما أن غابوا عن الأنظار حتى ناديت على « باك » وأنبأته بذلك . ولم يستطع « باك » أن يدرك صوتي المنطلق من فوق الشجرة في بادئ الأمر . وبدت عليه أمارات الدهشة ، ثم طلب مني أن أراقب المنطقة جيدا وأن أنبهه اذا عاد الرجال مرة ثانية ، وقال

انهم لا شك يدبرون خطة شيطانية وأن غيبتهم لن تطول ..  
ولكم تمنيت لو كان فى استطاعتى أن أهبط من فوق الشجرة  
ولكنى لم أستطع . وبدأ « باك » يبكى ويقول انه وابن عمه جو  
( وكان هذا هو الشاب الآخر ) لم ينتهيا من مهمتهما فى هذا  
اليوم . وقال ان أباه وأخويه قتلوا كما قتل اثنان أو ثلاثة من  
الأعداء . وقال ان أفراد أسرة « شبردسون » يتربصون له !  
ثم قال « باك » انه كان يجدر بأبيه وأخويه أن ينتظروا وصول  
أقاربهم ، لأن أسرة شبردسون كانت أقوى منهم كثيرا . وسألته  
عما آل اليه مصير « هارفى » الصغير والأنسة « صوفيا » ، فأجاب  
بانهما عبرا النهر وأصبحا آمنين . ولقد سررت لذلك ، رغم أن  
« باك » كان حزينا وكسيف ألبال لأنه لم يوفق الى قتل « هارفى »  
قبل أن يعبر النهر !

وفجأة ، دوى صوت الرصاص المنهمر من كل مكان ..  
فالرجال قد داروا دورة كبيرة فى الغاب وجاءوا بجيادهم من  
خلف الغلامين ، ووثب الغلامان واندفعا الى النهر ، فأصيب كل  
منهما . وبينما كانا يسبحان مع التيار ، ركض الرجال الى  
النشاطىء وهم يطلقون الرصاص عليهما ويصيحون « اقتلوهما ،  
اقتلوهما » . وهنا دار رأسى وكدت أسقط من فوق الشجرة .  
ولكم تمنيت لو أننى لم آت الى النشاطىء فى تلك الليلة لأرى مثل  
هذا المنظر الرهيب . ان هذا المنظر ما زال يتمثل أمام عيني كثيرا  
بالنهار ، ويتراءى لى فى أحلامى ..

وبقيت فوق الشجرة الى أن بدأ الليل يرخى سدوله ، فقد  
تملكنى خوف عظيم . وكنت أسمع صوت طلقات البنادق بعيدا  
فى الغاب ، كما رأيت جماعات صغيرة من الرجال تمر مرتين أمام  
مخزن الأخشاب وقد أعدت بنادقها للاستعمال فأدركت أن  
المشاكل لم تنته بعد . كان قلبى ينفطر حزنا .. وقررت ألا



أقرب من المنزل مرة أخرى ، لأننى اعتبرت نفسى مسئولاً الى حد ما عما حدث ؛ فقد رجحت أن المعنى الذى كانت قصاصة الورق تحمله هو أن تقابل الآنسة « صوفيا » صديقها « هارفى » حوالى الساعة الثانية والنصف لتهرب معه . وحكمت بأنه كان من الواجب على أن أبلغ أباهما بأمر قصاصة الورق هذه وبما بدا من تصرفات ابنته . ولو أننى فعلت ذلك لكان من المحتمل أن يشدد أبوها الرقابة عليها فلا تهرب ، ولما وقعت هذه المذبحة . وعندما هبطت من فوق الشجرة لم أحاول العودة الى المنزل . وإنما أخذت أضرب فى الغابة حتى بلغت المستنقع . ولم أجد « جيم » فى جزيرته ، فأسرعت مهرولاً الى الخليج ، وأخذت أشق طريقى بين أغصان أشجار الصفصاف وأنا أشد ما أكون لهفة على الوصول الى العائلة والرحيل فوراً عن هذه المدينة المخيفة ، ولكنى لم أجد أثراً للعائلة ، وانتابنى فزع شديد ، واستعصى على التنفس دقيقة ، ثم أطلقت صيحة ثاقبة ، وعندئذ سمعت صوتاً يبعد عنى حوالى ٢٥ قدماً يقول :

— أحسنت يا غلام .. أهذا أنت يا حبيبى ؟ لا تحدث أية ضوضاء .

كان ذلك الصوت صوت جيم ، وشعرت حينذاك بأننى لم أسمع صوتاً أجمل ولا أعذب منه من قبلى . وأسرعت أركض فوق الشاطئ حتى بلغت مكان العائلة ، فوثبت فوقها ، وعندئذ جذبنى « جيم » واحتضننى اعراباً عن سروره لرؤيتى ثم قال : — فليباركك الله يا غلام . لقد كدت أعتقد أنك قتلت .. كان « جاك » هنا وقال انه يعتقد أنك قتلت بالرصاص لأنك لم تعد للمنزل ؛ ومن ثم أعددت العائلة للرحيل ، وكنت سأرحل بها بمجرد أن يعود « جاك » ويؤكد لى أنك قتلت .. يا الهى ، كم أنا مسرور بعودتك يا عزيزى .

ققلت : لن يعثروا على يا « جيم » . . وسيعتقدون اننى قتلت  
وأن جثتى غاصت فى النهر ، فهناك ما سوف يجعلهم يرجحون  
ذلك ، فلا تضع لحظة من الوقت يا « جيم » . . هيا اطلق العائمة  
الى عرض النهر باقصى سرعة تستطيعها .  
ولم أشعر بالارتياح الا عندما أصبحت العائمة فى قلب نهر  
المسيبى وعلى مبعده ميل من ميدان المذبحة الرهيبة . وعندئذ  
أضانا مصباحنا وعلقناه بعد أن رجحنا أننا أصبحنا أحرارا  
آمنين . ولم أكن قد تناولت طعاما منذ اليوم السابق ، فأعد لى  
« جيم » وجبة من الخبز والزبد واللحم والكرب وبعض الخضروات .  
ولم يكن فى الدنيا ما هو أشهى من تلك الوجبة فى ذلك الوقت  
العصيب . وبينما كنت اتناول عشائى ، أخذنا نتحدث وقضينا  
وقتا طيبا . . كنت أشعر بأعظم السرور لأننى استطعت الافلات  
من الشار . . كذلك كان جيم سعيدا لقراره . . وأخيرا أدركنا أن  
« العائمة » خير من جميع المنازل . . فالمنازل كلها ، على ما يبدو ،  
مقيدة للحرية خائفة لها ، على حين أن العائمة ليست كذلك .  
ففيها يشعر الانسان بأنه حر ومرتاح !

## الفصل التاسع عشر

الرسو أثناء النهار - نظرية فلكية -  
« الكلاب قادته » - دوق أوف  
برديد جووثر - المتاعب الملوكية .

---

مضى يومان أو ثلاثة أيام .. ومر الوقت بسرعة حتى وكأنه كان يسبح بنا . وكان النهر عريضا جدا ومخيفا في هذه المنطقة .. كان اتساعه يصل أحيانا الى ميل ونصف ميل .. وكنا نبجر بالليل ونختبئ بالنهار . وكنا كلما انقضى الليل ، نكف عن الملاحظة ونرسو .. وكنا نرسو دائما في الماء الراكد تحت شجرة قنب ، ونقطع أعواد أشجار القطن الصغيرة والصفصاف ونعطى بها العائمة لنخفيها عن الأنظار .. تم تلقى بالشص في الماء لصيد السمك .. وكنا نستحم في النهر حتى ننتعش وتبرد أجسامنا ، ونمضى الى داخل النهر حتى يصل مأؤه الى ما فوق ركبتينا ، ونظل واقفين حتى نرى مطلع الفجر بينما السكون يسود الكون كله ؛ وكأننا الدنيا كلها نائمة اللهم الا تلك الضفادع الكبيرة التي كان نقيقها يعكر صفو السكون من حين لآخر . وكان أول شيء نراه حينما نتطلع عبر النهر ، هو الغابات المنتشرة على الشاطئ المقابل ، ولم نكن نستطيع أن نميز شيئا غير ذلك ؛ وكنا نرى بعد ذلك منطقة مصفرة في السماء ، يزداد اصفرارها ثم ينتشر ، وبعدئذ

يلمع ماء النهر ، ويزداد لمعانا من بعيد ، فلا يبدو معتما كما كان من قبل ، وانما يتحول الى لون رمادى ؛ وعندئذ كنا نرى نقاطا صفراء مظلمة تطفو على سطح الماء من بعيد . . وهى مراكب تجارية أو ما شابهها . . كما كنا نرى خطوطا طويلة سوداء هى العائمات . . وكنا أحيانا نسمع صريرا أو أصواتا مختلطة ، ذلك أن السكون المطبق يوحى للانسان بأنه يسمع أصواتا منطلقة من بعيد . . ثم لا نلبث أن نرى خطأ فوق صفحة الماء يجعلنا منظره نعرف أن هناك شجيرة فى النهر يرتطم بها التيار المندفع ؛ كما كنا نرى الضباب وهو يتجعد صاعدا فوق صفحة الماء ؛ ثم يحمر لون السماء كما يحمر لون ماء النهر من ناحية الشرق ! كذلك كنا نرى كتلا من الأخشاب عند حافة الغابات بعيدا على الشاطئ الثانى للنهر حيث توجد مخازن الأخشاب . . وبعدئذ كان يهب نسيم عليل ينعشنا ويحمل إلينا رائحة زكية من الغابات المملوءة بالأزهار ، ولكنه لم يكن يحمل رائحة زكية بعض الأحيان ؛ فبعض الناس يتركون الأسماك الميتة وغيرها من القاذورات فى العراء فتتلفس وينقل النسيم رائحتها الكريهة الى الأنوف . . وبعدئذ تشرق الشمس ويتسم كل شىء مع شروقها فتمر بنا الطيور وهى تغرد بأعذب الألحان . .

وكنا بعد ذلك نجذب « النفس » من الماء ونحمل ما علق به من أسماك ، لنعد وجبة ساخنة ؛ وبعدئذ نجلس فى تكاسل ثم ننام . . وكنا بعد أن نستيقظ ، نتطلع حولنا ، وننطق ساعة من الوقت أو نحوها بغير أن نرى أو نسمع شيئا ! ثم لا نلبث أن نرى عائمة تمر من بعيد وفوقها رجل يقطع الأخشاب ، فالتناس كثيرا ما يفعلون ذلك فوق العائمات ؛ فنرى الفأس وهو يلمع الى أعلى ثم يهوى ، فلا نسمع شيئا ، ثم نرى الفأس وهو يلمع عند ارتفاعه ، وعند ما يصل الى ما فوق حامله نسمع قرقرة تحطيم

الأخشاب !.. فسوت تحطم الخشب لا يصل الى الأذن عبر  
ص. نحة الماء الا بعد وقت طويل .. وكنا نقضى بقية النهار فى كسل  
رخمول ، نطلع الى العائمت والسفن الشراعية التى تمر بنا ..  
وفى ذات مرة مرت بنا عائمة ، وربما كانت مركبا تجاريا ، بالقرب  
منا .. وكانت قريبة جدا حتى لقد استطعنا أن نسمع صوت  
ركابها وهم يتكلمون ويضحكون ويسبون .. سمعناهم بوضوح  
ولكننا لم نستطع أن نرى الركاب انفسهم ، فارتعدنا لأن مرورهم  
بالقرب منا كان أشبه بمرور « الأرواح » ! فقال « جيم » انه  
يعتقد انها أرواح !

وكنا كلما حل المساء ، نندفع بالعائمة فى النهر .. وعندما نبلغ  
قلب النهر تقريبا ، نكف عن توجيهها وندعها تطفو أينما يدفعها  
التيار ، ثم ندلى ساقينا فى الماء ونحدث فى مختلف الموضوعات !  
وفى بعض الأحيان كنا نتمتع بالنهر كله وحدنا ، لفترات طويلة  
من الزمن ... كنا نملك كل شئ ... الشيطان والجزر فى عرض  
النهر ... وكنا نرى كل شئ ... ضوء الشموع التى تلمع من  
وراء نافذة أحد الأكواخ ... وشرارة او اثنتين تنبعثان من عائمة  
أو سفينة تجارية ... وكنا نسمع كل شئ ... صوت قيثارة  
أو أغنية تنبعث من إحدى العائمت ... والحق ان الحياة فوق  
العائمة كانت جميلة وحلوة ... فالسماء فوقنا نتركشها النجوم .  
وكم كنا نستلقى على ظهورنا ونأملها ونساءل عما اذا كانت قد  
صنعت أم وجدت ! قال لى جيم يوما انها صُغت ، ولكنى قلت  
انها وجدت ، لأننى اعتقد أن صناعة هذا العدد الكبير من النجوم  
يستغرق وقتا طويلا جدا ، فقال جيم انه فى استطاعة القمر أن  
يصنعها ... وبدأ لى هذا القول معقولا فلم أعارضه ... فقد  
رأيت ضفدعة تضع صفادع كثيرة جدا ! ومن ثم بدا لى أنه فى

«مكان القمر أن يضع هذا العدد من النجوم ! وكنا نراقب النجوم  
التي تهوى ونراها وهى تندفع الى الأرض فى شكل خيط من  
الضوء ، فقال جيم إن هذه النجوم فسدت أثناء « فقسها »  
فهوت من أعشاشها !!

وكنا نرى - مرة أو اثنتين أثناء الليل - قارباً بخارياً ينساب  
فى الظلام ، وكان هذا القارب ينثف ، بين آن وآخر ، مئات من  
النور من مداخله ، فتتساقط كالطر فى النهر فى منظر جميل  
خلاب ، ثم لا تلبث القوارب ان تطفئ أنوارها وتتوقف محركاتها  
فيعود الهدوء الى النهر مرة أخرى ؛ ولكن الأمواج لا تلبث أن تصل  
إلينا فتزه العائمة قليلاً ؛ وبعدئذ لانسمع شيئاً غير نقيق الضفادع !

فاذا ما جاوز الليل منتصفه ، آوى القوم الذين على الشاطئ  
الى فراشهم ، وساد الظلام الشاطئين لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات ،  
واخفت الأضواء المنبعثة من قمرات الأكواخ . . . وكانت هذه  
الأضواء هى ساعتنا ! وكان أول ضوء يظهر بعد ذلك ، يعنى أن  
الصباح فى الطريق ، وعندئذ كنا نبحث عن مكان نرسو فيه  
ونختبئ بلا إبطاء .

وعند فجر أحد الأيام ، عثرت على قارب ، فعبرت فرعا للنهر  
لا يزيد عرضه على مائتى ياردة فاصدا الشاطئ الرئيسى ،  
ومضيت فى النهر زهاء ميل حتى بلغت منطقة غابات أشجار  
السرو لارى ان كان فى استطاعتى أن احصل على كمية من الكريز ؛  
وبينما كنت أمر بمكان منعزل ، أقبل رجلان يركضان بأسرع  
ما يستطيعان ، وخبيل الى اننى من الهالكين ؛ فقد كنت أعتقد دائماً  
اننى و « جيم » مطاردان . . . وهممت بالابتعاد عنهما سريعاً ،  
ولكنهما كانا شديدى القرب منى ، كما راح أحدهما ينوسل الى  
أن أنقذ حياتهما . . . قال انهما لم يرتكبا اثماً وانهما يطاردان بلا

سبب ... ثم قال ان هناك رجالا وكلابا قادمين فى اثرهما ؛  
وحاول الوثوب فى القارب ، ولكنى قلت لهما :

— لا تفعلوا ذلك ... اننى لا اسمع وقع أقدام الكلاب والجياد  
بعد ، ومن ثم فما زال أمامكما متسع من الوقت لتضليل الكلاب  
بالدوران حول الغابة والسير فى الممر المنعزل ثم خوض الماء حتى  
تصلا الى ؛ فان ذلك خليق بتضليل الكلاب واخفاء اثركما عنها .  
وفعلنا ذلك ، وسرعان ما أصبحا معى فى القارب ، فانطلقت به  
الى حيث أرسينا العائمة ... وقبل أن تمضى خمس دقائق أو عشر  
سمعنا الكلاب والرجال وهم يصيحون من بعيد ويتقدمون نحو  
الممر المنعزل ولكننا لم نستطع رؤيتهم ، وخيل إلينا أنهم توقفوا  
وراحوا يبحثون عن الهاربين بعض الوقت ، ولكننا لم نلبث أن  
ابتعدنا كثيرا عن هذه المنطقة حتى بات من العسير علينا أن نسمع  
شيئا من ناحية الشاطئ ، وكنا قد قطعنا ميلا فى تلك الاتناء ،  
وخرجنا الى عرض النهر ، فساد الصمت التام ، وعندئذ قصدنا  
الى اقرب شجرة قنب فشددنا العائمة اليها وغطيناها بأحطاب  
القطن ، وبذلك أصبحنا آمنين .

كان أحد هذين الرجلين فى حوالى السبعين من عمره أو أكثر ،  
أصلع الرأس ، أشيب السالفين ، وكان يضع قبعة قديمة مهشمة  
فوق رأسه ، ويرتدى قميصا صوفيا أزرق اللون ملطخا بالقاذورات ،  
وسروالا أزرق مهلهلا مشدودا الى حمالات مصنوعة فى المنزل ،  
لا بل كان مشدودا الى حمالة واحدة ، وكان يحمل على ساعده  
« جاكته » قديمة زرقاء اللون ذات ذيل وأزرار نحاسية ؛ كما كان  
يمسك بحقيبة كبيرة منتفخة .

أما الرجل الثانى ، فكان فى حوالى الثلاثين من عمره ...  
وبعد أن فرغنا من تناول طعام الافطار تمددنا فوق ظهورنا وبدانا

تحدث . وكان اول ما أسعر عنه الحديث مع هذين الرجلين هو  
أن أحدهما لا يعرف الآخر !

سأل الرجل الأضلع الرجل الآخر :

— ما الذى أوقعك فى هذه المتاعب ؟

فقال الآخر :

— كنت أبيع مستحضرا لازالة « الطرطير » من الاسنان ...  
وكان يزيله فعلا ، ولكنه كان يزيل أيضا لون الأسنان الأبيض !  
ولقد اطلت بقائى فى هذا المكان ليلة أكثر مما ينبغى ، وكنت اتھيا  
للتسلل والفرار عند ما التقيت بك فى هذا الجانب من المدينة  
فأخبرتني أنهم قادمون فى أنرك وتوسلت الى أن اساعذك على  
الفرار ، فقلت لك انى أتوقع المتاعب بدورى ، واننى مستعد للفرار  
معك ... تلك هى قصتى كلها .

وصمت الشاب تم توجه بالحديث الى الكهل قائلا :

— وانت ... ما مهنتك أيها الكهل ؟

فقال الكهل :

— طابع بطاقات ... وقد ربحنا قليلا من طباعة العقاقير  
المسجلة ، كما احرفت التمثيل المسرحى ، واشتغلت بالتنويم  
المغناطيسى وعلم الفراسة ، وتدریس الأغاني المدرسية بقصد  
التغيير ... وكنت فى بعض الأحيان القى محاضرات ... أوه ابنى  
ازاول كثيرا من الأعمال — كل شيء تقريبا !!

وانت ماذا كنت تفعل قبل أن تشتغل ببيع مستحضراتك  
الطبية ؟ ..

فقال الشاب :

— كنت واعظا ، ولكم كنت سعيدا بهذا العمل ... فقد كنت  
أدخل الراحة فى قلوب المصابين بالسرطان والشلل وغيرهم .



وبالإضافة الى الوعظ فأننى عراف أجيد قراءة المستقبل اذا قدم  
لى الشخص الذى أقرأ مستقبله بعض الحقائق !!  
وصممتنا جميعنا قليلا . وأخيرا تنهد الشاب وقال : والاسفاه !  
فقال له الكهل الأصلع : علام تتحسر ؟  
فأجاب : أتحسر لأننى تدهورت وانحدرت واضطرت الى  
مصاحبة رفاق كهؤلاء !!

ثم انخرط فى البكاء وراح يجفف ركنى عينيه بخرفه بالية .  
فقال الكهل الأصلع بصفاقة : يا للعة ، الا ترى أن هذه الرفقة  
صالحة لك ؟

— نعم ، انها ثلاثئى ... فى حالتى الراهنة ، اذ من ذا الذى  
دفعنى الى هذه الوحدة وأنا الحسيب النسيب ؟ لقد فعلت هذا  
بنفسى ، وأنا الملولم على ذلك ... اننى لا ألومكم ايها السادة ...  
بل اننى أبعد ما أكون عن ذلك ... كما اننى لا ألوم أحدا على  
الاطلاق ... اننى أستحق كل ما حاق بى ، فلتنزل الدنيا بى  
أسوأ ما عندها ، فان هناك شيئا واحدا مؤكدا ، ذلك هو وجود  
قدر لى فى مكان ما ، فلتمض الدنيا فى السبيل الذى اعتادت أن  
تمضى فيه ولتجردنى من كل شيء ؛ ولكنها لن تحرمنى من القبر ،  
فسيأتى يوم أرقد فيه فى القبر وأنسى كل شيء ، وعندئذ يستريح  
قلبى المحطم التعس !!

وراح الرجل يبكى ، فقال له زميله الأصلع :

— لعنة الله على قلبك المحطم التعس ... لماذا تفضى بذات  
قلبك المحطم التعس ايننا ؟ اننا لم نفعل شيئا لك .  
— أعلم أنكم لم تفعلوا شيئا ، ولهذا لا ألومكم ايها السادة ...  
أنا الملولم على ما حاق بى من شقاء ... نعم ، لقد جلبته لنفسى ،  
ولهذا فمن العدل أن أعذب ، ولا يحق لى أن أناوّد !  
— وما سبب كل هذا الشقاء ؟

— آه ، انكم لن تصدقونى ... لن يصدقنى أحد ... ان  
نكتبى هى مولدى !!

— مولدك ؟ هل تعنى أنك ...

فقال الشاب بلهجة جدبة : سأفضى اليكم بسرى أيها السادة ،  
لأننى أثق بكم ... انى دوق بحكم القانون !

وبرزت عينا « جيم » من محجريهما حين سمع كلمة « دوق » .  
وأكبر الظن أن عينى برزتا أيضا ....  
وعندئذ قال الأصلع :

— احقا ؟ هل تعنى ما تقول ؟

— نعم .. ان جدى الأكبر ، وهو أكبر أبناء « دوق بريديجووتر »  
هرب الى هذه البلاد فى أواخر القرن الماضى ليستنشق عير الحرية  
وتزوج هنا تم مات ، وترك ابنا ... ولقد مات هذا الابن تاركا  
طفلين فى الوقت ذاته تقريبا ... واغتصب الابن الثانى للدوق  
اللقب والضياع ، متجاهلا بذلك الدوق الحقيقى وهو الطفل ! وانا  
هو سلاله من ذلك الطفل! ... انى « دوق بريديجوور » الشرعى!  
وها انتم تروننى بأنا شريدا ، محروما من ضياعى ، مطاردا ،  
محتقرا فى هذا العالم ، مهلهل الثياب ، منهوك القوى ، محطم القلب ،  
متدهورا الى درجة تضطرنى الى مرافقة المجرمين الهاربين على  
عائمة !! ..

وشعر « جيم » بمثل ما شعرت به ... شعر بكثير من النشقة  
عليه ، وبذلنا قصارى جهدنا لمواساته ، ولكنه قال الا جدوى من  
ذلك لأننا لن نستطيع أن نواسيه كثيرا ؛ وان اهتمامنا به واعترافنا  
به ربما كان أفضل من أى شئ آخر ... فوعدناه بذلك ، اذا دلنا  
على الطريقة الصحيحة . فقال انه يجدر بنا أن ننحنى له حينما  
نتحدث اليه ، وأنناديه قائلين : « يا صاحب السمو » أو « ياسيدى

اللورد « أو « يا صاحب السعادة » ! وانه يجب على احدا ان يقوم على خدمته عند ما يتناول الطعام !

وكان ما طلبه منا امرا سهلا ، فلبيناه ... فكلما تناولنا طعام الغداء ، قام « جيم » على خدمته وهو يقول له : « هل تريد قليلا من هذا الطعام أو ذاك يا صاحب السمو ؟ » وهلم جرا ... وكان ذلك يدخل السرور في قلب الرجل !

اما الكهل ، فانه كان يلوذ بالصمت ولا يتحدث مع احد ... وكان يبدو عليه الضيق من تدليلنا للدوق ، حتى لقد خيل الينا أن خاطرا ما يدور في رأسه ... وبعد الظهر قال الكهل للشاب : - اصغ الى يا « بريد جووتر » ... اننى شديد الأسف من أجلك ، ولكنك لست الشخص الوحيد الذى يعانى من مثل هذه المتاعب ..

- أحقا ؟

- نعم ... لست الوحيد ... انك لست الشخص الوحيد الذى حرم من مكانته قسرا .  
- وا أسفاه ...

- أقول انك لست الشخص الوحيد الذى يكتنف مولده سر .  
تم انخرط الكهل بدوره في البكاء .  
فقال له « الدوق » :

- كفى ، ماذا تعنى ؟

فقال الكهل والدموع تكاد تنهمر من عينيه : هل أستطيع أن أثق بك ؟

فأخذ الشاب يد الكهل وضمفها ثم اجاب : تستطيع ان تثق بى حتى الموت ... اكشف عن سرى ؟  
فقال الكهل :

- اننى ولى عهد فرنسا السابق ( دوفينى ) .

فانتفضنا ، « جيم » وأنا ، وقال « الدوق » :

— من ؟

— ولى عهد فرنسا السابق ... نعم يا صديقى ... تلك هى الحقيقة التى لا مرأى فيها ... ان عينيك تتعاليان الآن على « دوفينى » التمس المختفى ... لويس السابع عشر ، ابن لويس السادس عشر ومارى انطوانيت .

— انت ، وفى هذه السن ؟ لعلك تعنى انك المرحوم شارلمان ، اذ لا ريب انك فى السنة السبعمئة من عمرك الآن على الأقل !!

— ان المتاعب هى التى فعلت بى ذلك ... المتاعب هى التى جعلتنى اشيب ، وجلبت لى الصلع قبل الأوان ... نعم أيها السادة ، انكم ترون أمامكم الآن رجلا تعسا ، منفيا ، معذبا ، هو ملك فرنسا الشرعى !!

وانفجر الكهل باكيا ، فاضطربت أنا و « جيم » ، ولم نعرف ماذا نصنع ... كنا نشعر بأشد الأسف ، كما كنا نشعر فى الوقت ذاته بأعظم السرور لوجود هذا الكهل معنا . ومن ثم بدأنا نعامله بمثل ما عاملنا « الدوق » ، وحاولنا أن نسرى عنه ولكنه قال انه لا جدوى من ذلك ، فلا شئ يريجه غير الموت ، وان كان يشعر بشئ من الارتياح المؤقت حينما يعامله الناس طبقا لما تقضى به حقوقه الشرعية ... أى حينما يركعون عند ما يخاطبونه ، وينادونه بيا « صاحب الجلالة » ، ويقومون على خدمته أولا عند تناول الطعام ، ولا يجلسون فى حضرته الا اذا أذن لهم بذلك ... ومن ثم بدأنا نعامله كملك ، ونؤدى له هذا العمل أو ذاك ، ونقف الى أن يأذن لنا بالجلوس ... ولقد رفع ذلك من روحه المعنوية فتهلل وشعر بالارتياح ، ولكن ذلك ضايق « الدوق » ، الذى يبدو انه شعر بأن الرياح جرت بما لا تشتهى سفينته ! ولكن الملك ظل يعامله بلطف ، وقال ان جد الدوق الأكبر وجميع دوقات

« بريدجووتر » الآخرين كانوا موضع اهتمام أبيه ، فكان يسمح لهم بالاكثار من المجيء الى القصر ... لكن « الدوق » ظل صامتا ولم يقل شيئا الا بعد أن قال « الملك » :

— يبدو أننا لن نبقى معا فترة طويلة على هذه العائلة يا « بريدجووتر » ... فلماذا تحزن ؟ يحسن بك أن تنسى أحزانك حتى تصبح الحياة سهلة هينة ! لست ملوما لأننى لم أولد دوقا كما أنك لست ملوما لأنك لم تولد ملكا ! فما فائدة القلق ؟ استمتع بكل ما تلقىه الحياة فى طريقك ... هذا هو شعارى ... أكبر ظنى ان الأقدار قد أحسنت بالتقائنا هذا ، حيث الحياة سهلة هينة ... هلم اعطنى يدك أيها « الدوق » ودعنا نصبح أصدقاء !

وصافحه « الدوق » ، فسررت أنا و « جيم » أبلغ السرور لذلك ، فقد زال التوتر الذى كان يسود علاقة الرجلين ، اذ كان من أشد بواعث الضيق أن يسود الخصام فريقا من ركاب العائلة ، لأن أهم ما يجب أن يتحقق على العائلة هو ارتياح كل شخص والشعور بالعطف على الآخرين وحبهم .

ولم يطل بى الوقت لأقرر أن هذين الكاذبين لم يكونا كما زعما ... ملكا ودوقا ... وإنما هما راعيان وضيعان ... ولكنى لم أقل شيئا ، واحتفظت بهذا الرأى لنفسى ، فقد كان ذلك أفضل تصرف ، حتى لاثير الشحناء والمتاعب . فماذا يضيرنى اذا خاطبتهما بالقباب الملوك والدوقات ما داما يريدان ذلك ، وما دام ذلك هو السبيل الوحيد للمحافظة على سلام الأسرة ! كذلك لم تكن هناك أية فائدة ترجى من اطلاع « جيم » على الحقيقة المرة ... ولذلك لم أقل له شيئا . ولئن كان هناك شئ تعلمته من أبى ، فهو أن أفضل طريقة لمسيرة هذا الطراز من الناس ، هو أن أدهمهم يعضون فى سبيلهم ... !!

## الفصل العشرون

(( هالك )) يشرح - اعداد حملة - عقد اجتماع  
في المعسكر - التورود الخبيث - قرصان  
في اجتماع المعسكر - الدوق يشتمل  
بالطباعة - مطلوب القبض على (( جيم )) \*

امطرنا الرجلان بوابل من الأسئلة . . . كانا يريدان أن يعرفا  
لماذا نطغى العائمة بهذه الطريقة ، ولماذا نخطفى بالنهار بدلا من  
الاستمرار في رحلتنا ، وهل كان (( جيم )) زنجيا هاربا ؟  
فقلت : يا الهى . . . وهل يذهب زنجى هارب الى الجنوب ؟  
فاجابا بأن ذلك مستحيل . . . ولما كان من الضروري ، أن أشرح  
الموقف كله ، فقد قلت :

- كانت أسرتى تقيم في مقاطعة « بايك » بولاية « ميسورى »  
حيث ولدت . وقد مات أفرادها جميعا الا أنا وأبى وأخى « ايك »  
. . . وقرر أبى أن يصفى اعماله ويرحل ليقيم مع عمى « بن »  
الذى يملك منزلا صغيرا على النهر ، على مبعدة أربعة وأربعين ميلا  
جنوب « اورليانز » . وكان أبى فقيرا جدا وغارقا فى الديون ،  
ومن ثم فانه حينما صفى موقفه لم يتبق له سوى ستة عشر  
دولارا وهذا الزنجى « جيم » . ولم يكن هذا القدر من المال كافيا

لسد نفقات رحلة نهريّة طولها ألف وأربعمائة ميل . كذلك لم تكن هناك وسيلة أخرى للقيام بهذه الرحلة . . . . والخلاصة ، أنه عندما فاض النهر ، حالف الحظ الحسن أبى ذات يوم ، فعثر على هذه العائمة . فقررنا أن نستخدمها في رحلتنا النهريّة الى « أورليانز » . . . . ولكن الحظ الحسن لم يلازم أبى طويلا ، إذ سرعان ما اصطدم قارب بخارى بالعائمة ذات ليلة فسقطنا جميعا في البحر ورحنا نسبح على غير هدى . . . . واستطعنا أنا و « جيم » أن ننجو سالمين ، ولكن أبى غرق ، كما غرق أخى « ايك » الذى كان في الرابعة من عمره . وصادفتنا متاعب جمّة في اليومين التاليين ، لأن الناس كانوا يجيئون إلينا دائما بقواربهم طمعا في أخذ « جيم » منى قائلين انهم يفتقدون انه زنجى هارب . . . . ولذلك فاننا لا نبحر بالنهار الآن ، وانما نبحر بالليل حتى لا يضايقنا أحد .

فقال « الدوق » : دعونى أفكر حتى أعثر على طريقة تمكننا من الابحار نهارا اذا أردنا ذلك . . . . سأفكر في الأمر من جميع نواحيه . . . . سأعثر على طريقة للتغلب على جميع العقبات . . . . وعلى أية حال ، من الخير لنا ألا نبحر نهارا اليوم ، حتى لا يمر بهذه المدينة التى تلوح لنا أثناء النهار ، فقد لا يكون المرور بها في صالحنا .

وعند ما اقترب الليل ، وأخذ الظلام ينشر سرادقه على الكون ، بدا أن المطر يتحفظ للانهمار ، بينما كان ضوء البرق يلمع حولنا وأخذت أوراق الأشجار تهتز . . . . ولقد كان من السهل التكهّن بذلك . . . . فلاذ « الدوق » و « الملك » بالكوخ الهندى بحجة فحص الفراش ! وكان فراشى عبارة عن كومة من القش ، ولكنه كان أفضل من فراش « جيم » الذى كان مصنوعا من سيقان القمح الجافة التى تتخذ منها العناكب مأوى لها . تتسلل منه الى النائم فتؤذيه ! وكانت أعواد القمح الجافة تتكسر تحت النائم ، فينطلق منها صوت أشبه بالصوت الذى ينبعث عند ما يسير

المرء فوق أوراق الخريف الجافة المتينة ، وهو صوت يوقظ النائم من نومه . . . وبعد أن فحص « الدوق » الفراش قال انه سينام على سريرى ، ولكن « الملك » لم يوافق على ذلك قائلا :

— فى رأى أن فارق الرتب بيننا لا يجوز أن أنام أنا على فراش من سيقان القمح ، فتم عليه أنت يا صاحب السمو « الدوق » !  
وتملكنى الخوف أنا و « جيم » ، خشية أن ينشب الخلاف بينهما مرة أخرى ؛ ولهذا سررنا غاية السرور حينما قال « الدوق » :

— ان سوء حظى يلازمى دائما ويضعنى فى الحضيض تحت ثقل وطأة الاضطهاد ! . . لقد حطم سوء الحظ كبريائى ، فاستسلمت ، هانذا استسلم على « طول الخط » لأن ذلك هو نصيبى . اننى وحيد فى العالم . . . ولست بحاجة الى عزاء لأننى قادر على احتمال العذاب !

وأبحرنا عند ما هدا الطقس وساد الظلام . . . وطلب « الملك » منا أن نلزم قلب النهر ، بقدر طاقتنا ، والا نوقد المصباح قبل أن نبتعد كثيرا عن المدينة . . . وبعد قليل ، رأينا مجموعة صغيرة من الاضواء تنبعث من المدينة ، فمررنا بها على بعد ميل ونصف ميل . . . وعند ما ابتعدنا عنها ثلاثة أرباع الميل ، أشعلنا مصباحنا وعلقناه فى مكانه . وحوالى الساعة العاشرة بدأ المطر يتساقط ، واشتد الرعد والبرق . . . وعندئذ طلب « الملك » منا أن نظل ساهرين للمراقبة ريثما تتحسن الحالة الجوية . تم انسل هو و « الدوق » الى الكوخ الهندى ليناما . . . وعلى الرغم من أن نوبة المراقبة حتى منتصف الليل لم تكن من نصيبى ، فاننى لم انم . . . فقد كانت العاصفة هوجاء . . . كان زفيف الريح مخيفا ، وكان البرق يلعب بين الحين والحين ، فيضىء ذوائب الأشجار فى دائرة قطرها نصف ميل ، بينما كانت الجوز تتراعى لى كالحة بين قطرات المطر المنهمر . . . كذلك كانت الأشجار تتمايل تحت شدة



وطاة الريح ، ثم لا يلبث قصف الرعد أن يدوى بعنف ، ويزداد انهمار المطر ، ثم يلمع البرق مرة أخرى ... وهكذا دواليك ... وكادت الأمواج العاتية تكتسحني من فوق العائمة ، ولكنى لم أعبأ بذلك .

ثم حلت نوبة المراقبة التالية ... وكانت من نصيبى . ولكنى كنت أشعر بنعاس شديد فى تلك الأثناء ، فقال « جيم » انه سيؤدى نصفها الأول بالنيابة عنى ، فتسللت الى الكوخ ، لأستريح ، ولكنى لم أجد لى مكانا ؛ فقد كان « الملك » و « الدوق » يملآن المكان كله ؛ فرقدت خارج الكوخ غير عابئة بالمطر ، لأن الطقس كان دافئا ، ولأن الأمواج لم تكن ترتفع فوق مستوى العائمة فى تلك الأثناء ، ولكن الأمواج لم تلبث أن ثارت نائية حوالى الساعة النائية ، فحاول « جيم » إيقافى ، ولكنه لم يلبث أن كف عن المحاولة بعد أن اعتقد أن الأمواج لم تكن من الشدة بحيث تبلغ مكانى ... ولقد كان مخطئا فى ذلك ، إذ سرعان ما ارتفع الموج فجأة وغمر سطح العائمة واكتسحني من فوقها . وكاد جيم ينفجر من فرط الضحك حينما اكتسحني الموج ! ... فقد كان « جيم » رجلا مرحا بسيطا !

وتوليت المراقبة بعد ذلك ... ونام « جيم » وراح يغط فى نومه ، ثم لم تلبث العاصفة أن هدأت تماما ... وعند ما ظهر أول شعاع من ضوء النهار ، أيقظت « جيم » وأرسينا العائمة فى أصلح مكان صادفنا نم لذنا بمخبا يخفيانا عن أعين الرقباء ...

وبعد الافطار ، أخرج « الملك » مجموعة قديمة من ورق اللعب وراح يلعب مع « الدوق » . وحينما انتابهما الإعياء ، وفرغا من اللعب ، أخرج « الدوق » من حقيبته المنتفخة مجموعة من الاعلانات المطبوعة وراح يقرأ محتوياتها بصوت مرتفع ... وكانت هذه الاعلانات تحتوى على مايلى : يلقي الدكتور ارماند الباريسى المشهور

محاضرة فى علم الفراسة فى المكان « الفلانى » فى يوم « كذا » . . .  
وسعر الدخول نمائية سنتات . . . وسيقدم لمن يشاء تقريراً  
مفصلاً عن نفسه مقابل خمسة وعشرين سنتاً . . . وقال «الدوق»  
انه هو هذا الدكتور !! . . . ثم قرأ اعلاناً آخر وصف نفسه فيه  
بأنه « الممثل الدرامى العالمى جاريك من لندن » ! ثم قرأ اعلانات  
أخرى أطلق فيها على نفسه أسماء أخرى ، وزعم فيها انه قادر  
على ان يأتى بالمعجزات !

ثم قال : « ولكن التمثيل المسرحى هو أحب الأعمال الى قلبى . .  
هل سبق لك أن سعدت الى خشبة المسرح يا صاحب الجلالة ؟ »  
فأجاب « الملك » : لا !

— اذن ستصعد اليها قبل أن تنقضى ثلاثة أيام أيها العظيم  
الهاوى . . . سوف نستأجر صالة فى أول مدينة كبيرة نصل اليها  
ونمثل منظر مبارزة بالسيف من مسرحية ريتشارد الثالث ، ومنظر  
الشرفة من مسرحية روميو وجوليت . . . فما رأيك فى ذلك ؟

— اننى مستعد لأداء أى شئ يدر على نقودا ، ولكنى لا أعرف  
شيئاً عن التمثيل المسرحى ، ولم أشاهده كثيراً ، فقد كنت صغيراً  
جداً عند ما كان أبى يقيم الحفلات التمثيلية فى القصر ، فهل تعتقد  
أنك تستطيع أن تعلمنى التمثيل ؟  
— ان ذلك سهل ميسور .

— حسناً . . . اننى شديد اللهفة على تعلم شئ جديد . ان  
التمثيل عمل غير تجارى !!

ومضى « الدوق » يحدثه عن « روميو » و « جوليت » ، وقال  
انه اعتاد أن يمثل دور « روميو » ، ومن ثم فعلى « الملك » أن يمثل  
دور « جوليت » ! . . .

فقال الملك : لكن « جوليت » فتاة صغيرة . . . وأنا أصلع  
وسالفى الأشيبان لا يصلحان لدور فتاة صغيرة !

— لا تقلق بالك . . . ان هؤلاء القرويين لن يفتنوا الى ذلك . .  
وأهم ما فى الأمر أنك سترتدى ثوبا نسائيا وفى هذا ما يكفى ! . . .  
ستقف « جوليت » فى شرفة لتستمع بالقمر قبل أن تأوى الى  
فراشها وهى مرتدية قميص نومها ، وتضع قبعنها الليلية فوق  
رأسها . . . ها هى ملابس أدوار جميع المسرحيات ! . . .

وأخرج عدة أبواب مصنوعة من القماش الأبيض قال انها  
« العدة الحربية » التى كان « ريتشارد الثالث » والشباب الآخر  
يستعملانها فى القرون الوسطى ! تم أخرج أيضا قميص نوم وقبعة  
ليلية من القماش ذاته ! وأعرب « الملك » عن ارتياحه ، فأخرج  
« الدوق » كتابه وقرأ منه الأدوار بطريقة تمثيلية مدهشة وهو  
يشب ويمثل فى الوقت ذاته ، ليبين كيف يجب أن تؤدى هذه الأدوار .  
ثم أعطى الكتاب « للملك » وطلب اليه أن يستظهر دوره جيدا .  
وكانت هناك مدينة صغيرة على مسعدة ثلاثة أميال من منحى  
النهر . وبعد أن تناولنا طعام الغداء قال « الدوق » انه عثر على  
وسيلة تمكننا من الرحيل نهارا دون أن يتعرض « جيم » للخطر .  
تم أضاف أنه سيذهب الى تلك المدينة ويرتب كل شيء ؛ فقال  
« الملك » انه سيذهب معه ليرى ان كان يستطيع أن يفعل شيئا !  
ولما كنا بحاجة الى كمية من البن فقد قال « جيم » انه بحسن بى  
أن اذهب معهما فى القارب لأشتري بنا .

وعند ما وصلنا الى المدينة ، لم يكن أحد من أهلها قد استيقظ  
بعد . وكانت الشوارع خالية هادئة تماما ، كما هى الحال عادة فى  
أيام الأحاد . وعثرنا على زنجى مريد يستمتع بأشعة الشمس  
الدافئة فى ساحة خلفية . . . وقال هذا الزنجى ان جميع الناس  
ما عدا العجزة والأطفال والمرضى قد ذهبوا لحضور « اجتماع  
المعسكر » الذى يعقد فى الغابة الخلفية على بعد ميل من المدينة .  
فطلب « الملك » من الزنجى أن يرشده الى مكان هذا المعسكر !

أما « الدوق » فقد قال انه يريد البحث عن دار طباعة .  
وسرعان ما عثرنا على دار طباعة فوق حانوت نجار . وكان  
الطابعون والنجارون قد ذهبوا جميعا الى الاجتماع بغير أن يفلقوا  
ابواب حوانيتهم . . . . وكان دار الطباعة هذا مكانا قدرا تنانرت  
قصاصات الورق في أرجائه وتلطخت جدرانه بحبر الطباعة ،  
وعلقت فوق جدرانه اعلانات تحمل صور جياذ وزنوج هاريين !  
وفرح « الدوق » فرحا شديدا بعثوره على دار الطباعة وبقي  
هناك ! أما أنا و « الملك » ، فقد اتخذنا طريقنا الى « اجتماع  
المعسكر » !

ووصلنا الى مكان الاجتماع بعد نصف ساعة ، ونحن نسيل  
عرقا ! فقد كان القيظ شديدا في ذلك اليوم ، وكان يؤم الاجتماع  
حوالى ألف نسمة جاءوا من منطقة قطرها عشرون ميلا . وكانت  
الغابة مملوءة بمئات من المركبات والبقر . وكان البقر يعرى البرسيم  
الملقى فوق الحشائش ويحرك ذبوله لطرد الذباب . وكانت هناك  
حظائر مشيدة فوق أعمدة ، ومسقفة بفروع من الأشجار . . .  
وكان الباعة يبيعون عصير الليمون والحلوى والكعك !

وكان الوعاظ منتشرين في كل مكان بين الناس . أما النسوة  
فكن يرتدين قبعات شمس . وكان بعضهن يرتدين الفراء . . .  
أما الصغيرات منهن فكن يرتدين أثوابا من القماش الأبيض ، بينما  
كان بعض الشبان حفاة الأقدام . أما الأطفال فكان بعضهم عراة  
تقريبا ، لا يرتدون غير قميص من الكتان ! وكانت بعض النسوة  
الطاعنات في السن منصرفات الى أشغال الابرة ، بينما كانت  
الشابات تتفاخرن بجمالهن وشبابهن !

وفي أول حظيرة بلغناها ، كان الواعظ يردد احدى الترانيم ،  
فقرأ سطرين أنشدهما جميع الحاضرين . وكان الانشاد رائعا  
ومثيرا . ثم قرأ الواعظ سطرين آخرين ردهما الحاضرون بعده ،

وهلم جرا . . . وكان الحاضرون يزدادون حماسة كلما فراوا سطورا جديدة من « الترنيمة » فيرتفع صوتهم أكثر فأكثر ، حتى لقد بلغ صوت بعضهم مرتبة الصياح في النهاية . وبعد ذلك بدأ الواعظ يلقي عظته . وكانت نبراته حادة قوية ، وأخذ يتنقل من جانب المنبر الى الجانب الآخر ، ثم لم يلبث أن وقف في منتصفه ومال الى الأمام وهو يحرك يديه وجسمه ! وكان يرفع الانجيل بين حين وآخر ويفتحه ثم يحركه في هذا الاتجاه أو ذاك مرددا بعض الآيات . وكان الناس يصيحون « المجد لله : آمين » - وهكذا استمر الوعظ وراح الحاضرون يتأوهون ويصيحون قائلين : آمين . . . آمين ! ثم قرأ الواعظ موعظة الجبل . . . فراح الجميع ييكون ويتأوهون ويرتلون !

وفجأة تقدم « الملك » نحو الواعظ وطلب اليه أن يسمح له بالتحدث الى الجمهور فسمح له ! . . .

قال « الملك » للحاضرين انه كان قرصانا ، وانه احترف القرصنة في المحيط الهندي لمدة ثلاثين عاما ، وان كثيرا من رجاله ماتوا في الربيع الماضي عقب اشتراكهم في معركة حامية ، فعاد الى الوطن ليجمع رجالا جددا ، وأن اللصوص سطوا عليه وسرقوا كل أمواله . . . ! !

ثم قال انه سعيد بذلك ، فالمحنة التي حلت به جعلته يتدوق طعم السعادة لأول مرة في حياته . ثم قال انه - رغم فقره وافلاسه - سيعود بلا ابطاء الى المحيط الهندي ويقضى ما بقى من حياته في هدابة القراصنة الى الطريق السوى ، وانه رغم ما قد يستغرقه وصوله الى هناك من وقت طويل بسبب افتقاره الى المال ، سوف يصل في النهاية ليهدى القراصنة ! ثم قال انه كلما استطاع أن يقنع قرصانا بالتوبة سيقول له « لا تشكرنى ، ولا تنسب الى أى فضل ، لأن الفضل كله راجع الى هؤلاء القوم

الاعزاء الذين التقيت بهم في اجتماع المعسكر ببوكفيل ، هؤلاء الاخوة المحسنين للجنس البشرى كله . . ولهذا الواعظ ايضا الذى يعتبر اصدق صديق ظفر به قرصان » .

ثم انفجر « الملك » باكيا « فانفجر الجميع باكين ايضا . وعندئذ صاح احد الحاضرين « اجمعوا له نقودا . . اجمعوا له نقودا . . » وعلى الفور تاهب ستة رجال ليتولوا جمع النقود ، ولكن شخصا صاح « دعوه ير بقبعته على الجميع » ، نردد الجميع هذا القول كما رددته الواعظ ايضا .

وبدا « الملك » يسير بين صفوف الحاضرين وهو يحمل قبعته في احدى يديه . ويجفف عينيه بيده الأخرى ، والكل يباركونه ويمتدحونه ، وينسكرونه لما يديه من عطف على القراصنة المساكين . وكانت الفتيات الجميلات تتقدمن اليه والدموع تنسال من عيونهن ليطلبن اليه أن يسمح لهن بتقبيله حتى يتذكرنه ، فكان يسمح لهن بذلك ، بل لقد احتضن بعضهن وقبلهن خمس أو ست مرات !! ودعا المجتمعون الى البقاء معهم أسبوعا . وكان كل واحد منهم يطلب منه أن يقيم بمنزله قائلين ان ذلك يعتبر شرفا عظيما ، ولكنه اعتذر قائلا انه لما كان هذا آخر يوم في اجتماع المعسكر فانه لا يستطيع البقاء ، كما انه أشد ما يكون لهفه . على العودة الى المحيط الهندى لهداية القراصنة !!

وعند ما عدنا الى العائمة ، وبدأ « الملك » يحصى التبرعات ، نبين له انه جمع سبعة وثمانين دولارا وخمسة وسبعين سنتا ! وكان « الدوق » يعتقد حتى تلك اللحظة انه حقق عملا عظيما بعثوره على دار الطباعة . . ولكنه لم يلبث أن أدرك انه لم يحقق شيئا عظيما . حينما علم بما فعله « الملك » ! كان « الدوق » قد طبع لوحتين صغيرتين باعهما بأربعة دولارات ! كذلك أتفق على نشر اعلانات قيمتها عشرة دولارات حصل على أربعة دولارات

منها . وكان قد حصل على قيمة ثلاثة اشتراكات في الصحيفة التي تصدرها دار الطباعة ؛ وجمع في مقابل ذلك دولارا ونصف دولار ، مع أن قيمة الاشتراك الحقيقية دولاران !! . وهكذا جمع تسعة دولارات ونصف دولار ، فظن أنه أصاب حظا حسنا في ذلك اليوم ! . ولكنه احتقر نفسه حينما علم أن « الملك » جمع سبعة وثمانين دولارا وخمسة وسبعين سنتا !! .

ثم أطلعنا « الدوق » على صورة طبعها ! . وكانت الصورة تمثل زنجيا هاربا وهو يحمل حزمة من الحطب فوق كتفه ، وقد كتبت تحنها عبارة تقول « مكافأة ٢٠٠ دولار لمن يعثر عليه » . وكان الوصف المسجل تحتها ينطبق تماما على « جيم » . فقد جاء في هذا الوصف أن الزنجي هارب من مزارع « سانت جاك » التي تبعد أربعين ميلا جنوب نيواورليانز ، وأنه هرب خلال الشتاء الماضي ، ومن المحتمل أنه ذهب شمالا . . . وسيحصل من يستطيع العثور عليه على المكافأة والنفقات !!

وقال « الدوق » : « الآن ، يمكننا أن نبحر نهارا إذا أردنا . . وكلمنا رأينا أحدا مقبلا نحونا شددنا وثاق « جيم » ووضعناه داخل الكوخ الهندي ، ثم نعرض الإعلان على كل شخص قادم ونقول له أننا قبضنا على « جيم » في النهر ، ولما كنا فقراء لا نستطيع السفر بقارب بخارى ، فقد اشترينا هذه العائلة بالتقسيط من بعض الأصدقاء ، واننا ذاهبون لتسليم الزنجي الهارب والحصول على المكافأة !!

وقلنا لأنفسنا أن الدوق نابغة ، وأنه لم يعد هناك ما نخشاه من الإبحار في وضح النهار ؛ وقدردنا أننا نستطيع أن نقطع ، في تلك الليلة ، أميالا تكفى لإبعادنا عن الضجة التي سوف تحدث في المدينة الصغيرة نتيجة لما فعله « الدوق » في المطبعة ، فنصبح بمنجاة من كل مطاردة ، وبعدئذ يمكننا أن نمضي في رحلتنا أن شئنا .

ولذنا بالهدوء والسكينة ، ثم تسللنا من مخبأنا فى الساعة العاشرة تقريبا وركبنا العائمة دون ان نشعل المصباح .. وظللنا كذلك الى ان اصبحنا خارج نطاق المدينة .  
وعند ما نادانى « جيم » الساعة الرابعة صباحا لاتولى المراقبة ، قال :

— هل تظن اننا سنلتقى بملوك آخرين أثناء هذه الرحلة  
با « هاك » ؟  
فقلت : لا ... لا اظن ذلك .

فقال : هذا حسن اذن . اننى لا ابالى بوجود ملك او اثنين معنا .. ولكننى لا اطيع أكثر من ذلك !!  
وحاول « جيم » أن يجعل « الملك » يتكلم بالفرنسية حتى يعرف ما هي ، ولكن « الملك » قال انه قضى وقتا طويلا فى هذد البلاد ونسى اللغة الفرنسية !! ..



## الفصل الحادى والعشرون

تدريب على المبارزة بالسيف - متاجرة  
( هملت ) - التسلح فى المدينة - مدينة  
خاملة - ( بوجز ) الصبوز - صوت ( بوجز ) .

كانت الشمس قد أشرقت منذ فترة ، ولكننا مضينا فى رحلتنا بغير أن نرسو . . وبعد قليل خرج « الملك » و « الدوق » من داخل العائمة . وبعد أن فرغنا من تناول الإفطار ، اتخذ « الملك » مجلسه فى ركن العائمة وخلع حذاءه ، ولف نهاية سرواله ، ثم وضع قدميه فى الماء لينتعش . وأشعل غليونه ، وبدأ يستذكر دوره فى مسرحية « روميو وجولييت » عن ظهر قلب . وعند ما ألم به الماما كافيا بدأ يؤديه مع « الدوق » ! وكان « الدوق » مضطرا الى تدريب « الملك » على أداء الدور كما ينبغي مرة بعد أخرى . فكان يشرح له كيف ينطق بكل عبارة ، وكيف يتنهد ، ويضع يده فوق قلبه . . وبعد قليل قال « الدوق » ان « الملك » يؤدى دوره بطريقة لا بأس بها تم قال محدثا « الملك » : يجب أن تتجنب النطق باسم « روميو » بتلك الطريقة التى تشبهه خوار الثور . . يجب أن تنطقه بصوت رقيق ، عليل ، واه ، هكذا -

ر - و - م - ي - و . . فان « جوليت » فتاة صغيرة ساذجة  
حلوة اقرب ما نكون الى الطفولة ! ولهذا ، فانها لاتخور كالثور » .  
وفي اليوم التالى ، احضر « الدوق » زوجا من السيوف الطويلة  
كان قد صنعهما من خشب البلوط ! وراح « الدوق » يؤدى  
دور ريتشارد الثالث . وكم كان منظر الرجلين رائعا وهما  
يتبارزان فوق العائمة ! ولكن « الملك » تعثر وسقط فى اليم ،  
فانتشله « الدوق » !

وبعد الغداء ، قال « الدوق » : . . يجب ان نجعل من  
مسرحياتنا عرضا من الطراز الاول . . ومن نم اعتقد انه ينبغى  
لنا ان نضيف الى ادوارنا « رتوشا » نرد بها على النظارة كلما  
طلبوا الينا ان نعيد ادوارنا !  
فقال « الملك » : وكيف ؟

فقال « الدوق » : كلما طلب الينا النظارة ان نعيد دورا ،  
سأرد عليهم بالنفخ فى مزمار « البحارة » ! اما انت . . دعنى  
أفكر . . . آه . . . تستطيع ان تؤدى دور « مناجاة هاملت » !  
- مناجاة هاملت ؟ ما هى ؟

- مناجاة هاملت هى أشهر دور فى مسرحية شكسبير . .  
آه ، انها مناجاة رائعة تحرك مشاعر النظارة . . انها ليست  
موجودة فى كتابى هذا ، لأننى لا أملك الا جزءا واحدا من  
المسرحية . . ولكنى أعتقد اننى أستطيع ان أسترجعها من  
الذاكرة ! . . دعنى أحاول !

ثم راح « الدوق » يقطع العائمة جيئة وذهابا وهو مستغرق  
فى التفكير حيناً ، عاقدا ما بين حاجبيه حيناً آخر ؛ ثم يرفع  
حاجبيه ويضغط جبهته بيده ويترنح الى الوراء ويطلق نوعا من  
الانين ، ثم يتنهد وتسيل دمعة من عينيه . . لقد كان منظره  
يدعو للاعجاب . وبعد قليل ، استطاع أن يتذكر المناجاة ، فطلب

الينا أن نصغى اليه ، ثم وقف أنبل وقفة ومد إحدى ساقيه الى  
الأمام وبسط يديه الى أعلى ، وننى رأسه الى الخلف ثم تطلع الى  
السماء ، ثم انفجر يعوى طوال القاء المناجاة ! وكان يدور حول  
نفسه وقد نفخ صدره .. والحق اننى لم أر تمثيلا مثل هذا من  
قبل !

ولقد أعجب « الملك » بهذه المناجاة ، وسرعان ما أجاد القاءها ،  
فبدا كأنما كان يعرفها منذ مولده ! وكان ، كلما فرغ من أداء  
دوره ، بلوح بيديه فى الهواء ، وبكى ويتراجع الى الوراء بنسكل  
يسترعى الإعجاب !

وعند ما أتاحت لنا أول فرصة ، بادر « الدوق » بطبع بعض  
الاعلانات ، ثم مضى يومان أو ثلاثة كانت العائمة أثناءها من أكثر  
أماكن العالم تفجرا بالنشاط ! فقد كان « الدوق » و « الملك »  
منهمكين فى المبارزة بالسيف والاستعداد للتمثيل ! وذات صباح ،  
رأينا مدينة صغيرة عند منحنى كبير للنهر ، فرسونا على مبعدة  
ثلاثة أرباع الميل منها فى مدخل فجوة كانت أشجار السرو تغلفها  
فتجعلها أشبه بالنفق . وركبنا جميعا - ما عدا جيم - القارب  
وذهبنا الى هذه المدينة لنرى ان كنا نستطيع إقامة حفلاتنا  
المرحية فيها .

وبلغناها فى فرصة مواتية ! فقد كان القوم يستعدون لإقامة  
« سيرك » بعد ظهر ذلك اليوم ، وبدأ أهل القرى يتدفقون على المدينة  
وهم يركبون جميع أنواع المركبات القديمة ويمتطون صهوة جيادهم .  
وكان « السيرك » قد قرر مغادرة المدينة قبل حلول الظلام ، فانتهر  
« الدوق » الفرصة واستأجر فناء حوله سياج .. ثم ألقينا  
اعلاناتنا على هذا السياج ! وكانت هذه الاعلانات تقول :

(( أحياء سرحيات شكسبير ))

(( عرض مدهش ))

(( ليلة واحدة فقط ))

(( أعظم ممثلى الدراما شهرة فى العالم ))

(( دافيد جاريك الصغير ، من مسرح درورى لين بلندن ))

(( و ))

(( آدموند كين الأكبر من مسرح رويال هايماركت ، هوانيشابيل ))

(( بادينج لين ، بيكادلى ، لندن ، ومسارح أوروبا الملكية ))

(( فى مشهد رائع لاحتدى مسرحيات شكسبير - عنوانه ))

(( منظر الشرفة ))

(( فى مسرحية ))

(( روميو وجولييت ))

(( روميو . . . . . مستر جاريك ))

(( جولييت . . . . . مستر كين ))

(( تعاونهما مجموعة كاملة من ممثلى الفرقة ))

(( مبارزة بالسيف على المسرح ))

(( من مسرحية ريتشارد الثالث ))

(( ريتشارد الثالث . . . . . مستر جاريك ))

(( ريتشموند . . . . . مستر كين ))

كذلك

(( وبأذن خاص تقدم الفرقة ))

مناجاة هاملت الخالدة

يؤديها الممثل المشهور كين

(( اذاها ٣٠٠ ليلة متوالية فى باريس ))

(( تعرض ليلة واحدة فقط ))

(( بسبب ارتباطات الفرقة بالعمل فى أوروبا ))

(( الدخول ٢٥ سنتا ، والأطفال والخدم ١٠ سنتات ))

ثم أخذنا نسكع في المدينة . . كانت حوانيتها ومنازلها أبنية قديمة لم تتناولها يد الطلاء . وكانت جميعها مرفوعة فوق الأرض ثلاثة أو أربعة أقدام حتى لا يصل إليها ماء النهر عندما بفيض . وكان حول كل منزل حديقة صغيرة لا ترى فيها إلا الأعشاب السامة وعباد الشمس وأشجار الدردار فضلا عن الأحذية البالية والزجاجات المحطمة ، والحرق والصفائح التي لم نعد ذات نفع . أما « الأسوار » فكانت مصنوعة من أنواع مختلفة من الخشب تثبتها المسامير في مواضع مختلفة وتميل في كل جزء منها . ولم يكن للأبواب غير « مفصلة » واحدة مصنوعة من الجلد . وكان بعض هذه « الأسوار » قد عرف الطلاء في أحد الأيام ، فقد قال « الدوق » انه يعتقد ان هذا الطلاء تم في عهد « كولبس » ! وكنا نرى في معظم هذه الحقائق خنازير كان الناس يسوقونها الى الخارج . . . .

وكانت جميع الحوانيت مركزة في شارع واحد ، ولها جميعا مظلات أمامية . وكان القرويون يسدون جيادهم الى أعمدة هذه المظلات ، كما كانت هناك صناديق سلع فارغة تجمع حولها المتسكعون طوال النهار ، يفتشونها حيناً ، ويمزقونها بآدمهم حيناً آخر ، وهم يلوكون الطباق بين أسنانهم ويتشاءبون ويتمطون بكسل ، وقد ارتدى معظمهم قبعات من القش أصفر اللون ! وكانوا ينادون بعضهم البعض بأسماء « الدلع » مثل « بيل » و « ياك » و « هانك » و « جو » و « اندى » ! وكانوا يتحدثون بكسل ويكثرون من ألفاظ السباب في أحاديثهم ! وكان كثير منهم يستندون الى أعمدة مظلات الحوانيت وقد وضعوا أياديهم في جيوب سراويلهم . فلا يخرجونها منها الا حينما يريدون وضع مزيد من الطباق في أفواههم أو حك جلدتهم ! أما الحديث الذي كان يدور بينهم طوال الوقت فكان كما يلي :

— اعطنى مضغة من الطباق يا « هانك » .

— لا استطع ، فأننى لا أملك الا « مضفة واحدة » . . . اطلب من « بيل » .

وربما يعطى « بيل » السائل ما يريد ، وربما يكذب ويقول انه لا يملك شيئاً من الطباق ! . ولم يكن بعض هؤلاء المتسكعين يملكون سنناً واحداً ولا « مضفة » طباق واحده اللهم الا عن طريق الاقتراض ! فتراهم يقولون لزملائهم بودى لو اعطينى مضفة با « جاك » ، فقد اعطيت « بن تومسون » آخر مضفة معى ! وفى معظم الاحايين ، يكون هذا القول كاذباً ، ولكنه لا ينطلى الا على الغرباء ! ولكن « جاك » ليس غريباً . ومن ثم تراه يقول :

— هل اعطيته مضفة ؟ أعد الى المضفات التى سبق ان اقتترضتها منى با « ليف باكر » ، وسوف أقرضك طناً أو اثنين من الطباق فيما بعد !

— حسناً ، ألم أرد اليك بعضها ؟

— نعم ، حوالى ست مضفات . . . فقد اقترضت منى طباقاً فاخراً ولكنك أعدت لى طباقاً رديئاً !  
نم يضى الحديث بينهم على هذا المنوال !

وكانت جميع شوارع المدينة ودروبها مملوءة بوحل أسود كالقار ، وقد يبلغ عمقه قدماً فى بعض الأماكن ، وبوصتين أو ثلاث بوصات فى جميع الأماكن ! وكانت الخنازير تتسكع فى كل مكان ، فكنت ترى « خنزيرة » ومجموعة من الخنازير الصغيرة مقبلة بكسل فى الطريق ثم لا تلبث أن تتمرغ فى الوحل أحياناً ، فيضطرب الناس الى الدوران حولها . وقد تتمطى « الخنزيرة » وتغلق عينيها وتحرك اذنيها بينما ترضع الخنازير الصغيرة وقد بدت عليها علامات السعادة كما لو كانت قد حصلت على ثمن عملها !! . . . ثم كنا نسمع متسكعاً يصيح قائلاً : « هيا يا غلام ، اضرب هذه الخنزيرة » وعندئذ تبادر الخنزيرة بالهرب وهى تطلق صوتاً كئيباً ، بينما

يتواثب كلب أو اثنان على كل أذن من أذنها ، ويحاول أكثر من  
عشرين كلبا آخر اللحاق بها . وعندئذ ينهض المتسكعون جميعا  
لمراقبة هروب الخنزيرة فيضحكون وقد استخفهم الطرب وبدأت  
عليهم علامات الارتياح لهذه الضوضاء ! ثم يعودون الى تسلمهم  
واسترخائهم في انتظار معركة تنشب بين الكلاب ، فليس هناك  
ما يمكن أن يوقف هؤلاء المتسكعين ويجعلهم سعداء دواما مثل  
معركة تنشب بين الكلاب ! اللهم الا اذا وضع أحدهم سائل  
« التربنتين » فوق كلب ضال ، فيحترق جسمه ؛ أو حاول لسع  
ذيله فيركض بجنون . . . أما عند الشاطئ ، فقد كانت بعض  
المنازل قائمة داخل النهر ذاته ؛ وقد انحنت ومالت وأوشكت على  
السقوط فيه ، فهجرها الناس ، بينما تأكل الشاطئ تحت بعض  
هذه البيوت وأصبحت شبه معلقة في الفضاء ، ومع ذلك ظل  
الناس مقيمين فيها رغم ما يتهددهم من خطر ! فقد تنهدم هذه  
المنازل في أى وقت !

وكلما اقترب وقت الظهيرة ، ازدادت حركة المركبات والجياد  
في الشارع ؛ وازداد صخب الناس القادمين من الريف الى  
المدينة ! فهؤلاء القرويون يأتون الى المدينة حاملين معهم طعاما  
يأكلونه في المركبات أو على صهوات الجياد في الشارع . وكثيرا ما  
كانت تدور بين الناس معارك ومشاجرات بين الحين والحين ! واننى  
لأتذكر اننى سمعت في ذلك اليوم شخصا يصيح :

— ها قد اقبل « بوجز » العجوز قادما من الريف . ها هو قد  
جاء أيها الفتيان ليحصل على جرعة الشهرية من الخمر !

وارتسم السرور على وجوه الشبان المتسكعين جميعا ، فأيقنت  
انهم اعتادوا الاستخفاف ببوجز العجوز .

وقال أحدهم :

— شد ما أعجب من الذى سيكون ضحية خمر « بوجز »  
هذه المرة :

واقبل « بوجز » يتهاذى فوق صهوة جواده وهو يسعلن ويصيح  
قائلا :

— افسحوا الطريق فاننى مقبل ، والويل لمن يعرضنى .  
كان الرجل ثملا ، وكان يترنح فوق جواده . . . كان فى حوالى  
الخمسين من عمره ، ذا وجه شديد الاحمرار . وراح الجميع  
بصرخون فى وجهه ويضحكون منه ، ويشتمونه فيشتهم بدوره  
مهددا اياهم بأنه سينكل بهم بعد أن يفرغ من مهمته ! . . . فقد  
جاء — كما قال — ليقتل « الكولونيل شربيرن » !  
ورأنى « بوجز » ، فاقبل نحوى وقال : من أين جئت يا بنى ؟  
هل تهيات للموت ؟

نم انصرف عنى وقد ركبنى الفزع ، فقال أحد الرجال :  
— لا تخف منه ، فانه ليس جادا فى تهديده . . . انه يفعل ذلك  
كلما لعبت الخمر برأسه . . . انه أحقق كهل فى المدينة كلها — ولكنه  
لا يؤذى احدا سواء اكان ثملا أم غير ثمل !  
ومر « بوجز » بأكبر حانوت فى المدينة ، فمال برأسه الى الأمام  
حتى يستطيع الرؤية من أسفل ستار المظلة ثم صاح :  
— تعال هنا يا « شربيرن » . . . تعال وواجه الرجل الذى  
احتلت عليه . . . انك الكلب الذى جئت من أجل قتله ! . . .  
سوف أنكل بك !

ومضى « بوجز » يسب « شربيرن » بكل كلمة بذيئة استطاع  
تذكرها ، فازدحم الشارع بالناس الذين كانوا يسمعون ويضحكون  
ثم يمضون لشأنهم . وبعد قليل ، خرج من الحانوت رجل بادى  
الكبرياء يرتدى أجمل وأفخم ثياب رأيتها فى هذه المدينة ، فتراجع  
الناس ، وقال الرجل مخاطبا « بوجز » ببطء وبصوت هادى .



— لقد ضقت ذرعا بصخبك ، ولكنى سأحتملك حتى الساعة  
الواحدة فقط ... فتذكر ذلك ... لأنك اذا أهنتنى بعد هذا  
الموعد فستندم على ذلك .

ثم دار على عقبه واختفى داخل الحانوت ، فبدت علامات الجد  
على وجوه الناس ؛ وانطلق « بوجز » مبتعدا وهو يسب « شربين »  
ويلعنه بأعلى صوته حتى بلغ نهاية الشارع ، ولكنه سرعان ما عاد  
مرة أخرى ووقف أمام الحانوت وهو يشتم ... وتجمع بعض  
الناس حوله وحاولوا أن يرغموه على الصمت ولكنه رفض ، فقالوا  
له ان الساعة ستبلغ الواحدة بعد خمس عشرة دقيقة ، ولهذا  
يجب عليه أن يعود الى منزله بلا ابطاء . ولكن « بوجز » لم يستمع  
اليهم . وراح يسب ويشتم بأعلى صوته ، ثم ألقى بقبعته في  
الوحل وترك جواده يطأها بحوافره . وسرعان ما مضى الى نهاية  
الشارع وهو يرغى ويزبد ، وشعره الأشيب يتطاير في الهواء .  
ولقد حاول الناس ارغامه على أن يترجل من فوق جواده ليقودوه  
الى مكان يبقى فيه ريشما يفيق من الخمر ولكنهم أخفقوا ؛ فقد  
مضى « بوجز » في شتائه . وفي تلك اللحظة ، قال أحد الواقفين :

— اذهبوا الى ابنته ... اسرعوا بالذهاب الى ابنته . فهو  
يستمع اليها أحيانا ... وليس هناك من يستطيع اقناعه غيرها .

وانطلق أحدهم الى منزل الابنة ! وبعد خمس أو عشر دقائق ،  
عاد « بوجز » مرة أخرى ، ولكنه لم يكن ممطيا صهوة جواده  
هذه المرة ... وأخذ يترنح في الطريق وهو مقبل نحوى عارى  
الرأس وقد تأبط ذراعيه صديقان وهما يحثانه على السير .  
وكان الرجل هادئا بآدى القلق ، ولكنه لم يكن يقاوم مرافقيه ، وانما  
كان يسير معهما . وقال أحد الرجال :

— بوجز !

وتطلعت لأرى المتكلم ، فاذا به « الكولونيل شربيرن » .. كان يقف فى عرض الطريق وقد حمل فى يده اليمنى مسدسا موجهها نحو السماء . وفى تلك اللحظة ، أقبلت فتاة صغيرة وهى تركض ومعها رجلان . واستدار « بوجز » ومرافقاه ليراوا من الذى ناداه . وعند ما رأوا المسدس وثب الرجلان ، فوجه « شربيرن » فوهة المسدس ببطء وتبات نحو « بوجز » ... ورفع بوجز يديه وهو يقول :

« أوآه ... يا الهى ... لا تطلق النار » ! ثم انطلقت الرصاصة الأولى فنرنح « بوجز » الى الوراء ! وانطلقت رصاصة ثانية ، فسقط « بوجز » الى الوراء فوق الأرض ككتلة من الصخر وقد انتشر ذراعاها . وهنا انطلقت الفتاة الصغيرة صرخة ناقبة ، واندفعت فى جنون ، ثم ألقت بنفسها على أبيها وهى تبكى ونصيح « أوآه ، لقد قتله ، قتله » ، وتجمع الناس ، وقد انشأبت أعناقهم ، لرؤية هذا المنظر المؤلم !

والقى الكولونيل « شربيرن » بمسدسه على الأرض ، واستدار على عقبه ، وسار مبهتدا .

ونقل بعض الحاضرين « بوجز » الى صيدلية صغيرة ، تجمهر الناس حولها . وكان عدد الناس يتضاعف ، حتى لقد خيل الى أن المدينة على بكرة أبيها اجتمعت فى الشارع . ورحلت إبحث عن مكان أرى منه ما يحدث ، فتسلقت إحدى النوافذ القريبة من الصيدلية فرأيت الناس يمددون « بوجز » على الأرض ، ويضعون انجيلا كبيرا تحت رأسه ، ويفتحون انجيلا آخر وضموه فوق صدره بعد أن فكوا أزرار قميصه ، فرأيت موضع إحدى الرصاصتين ! ... وشهق « بوجز » أكثر من عشر مرات ، فكان صدره يرتفع بالانجيل وهو يشهق ، ثم يهبط وهو يزفر ، ثم

همدت حركته ذليلا على موته ، وعندئذ جذب الناس ابنته بعيدا عنه وهى تصرخ ونولول ... كانت فى السادسة عشرة من عمرها تقريبا ، موفورة الجمال ، بادية اللطف ، ولكنها كانت مصفرة الوجه مذعورة .

وبعد قليل . كان أهل المدينة كلهم يتدافعون ويتزاحمون محاولين الوصول الى النافذة التى كنت أجلس فوقها ليلقوا نظرة على « بوجز » ... ولكن الجالسين على قاعدة النافذة لم يكنوهم من ذلك ، فصاح البعض « لقد شاهدتم ما فيه الكفاية يا هؤلاء ، وليس من الصواب أو العدل أن تبقوا فى أماكنكم بعد ذلك ... دعوا غيركم يشاهد ما يحدث ... ان للآخرين حقوقا مثلكم ! »

وحدث هرج ومرج ، فهبطت من فوق النافذة ، بعد أن توقعت كثيرا من المتاعب ... وكانت الشوارع مزدحمة ، وكان حديث الناس لا ينقطع ... فقد كان لكل واحد منهم رأى فى الحادث ! وكان كل واحد يروى حقيقة ما حدث لمن لم يره . وكانت هناك جماعات ضخمة من الناس تلتف حول الرواة . بينما أخذ رجل نحيف طويل القامة ذو شعر طويل ، ويضع بين شفيه غليوننا ضخما ، يحدد بعصاه المكان الذى كان « بوجز » و « شربير » يقفان فيه . وكان الناس يتبعونه أينما ذهب ويراقبون ما يفعله ويهزون رؤوسهم كما لو كانوا يفهمون ما يفعل ، ثم ينحنون الى الأمام ليراقبوه وهو يحدد الأماكن على الأرض بعصاه ، ثم يتطالعون الى المكان الذى وقف « شربير » فيه . وقطب الرجل حاجبيه وجذب قبعنه الى أسفل فوق عينيه وقال « بوجز » ! . ثم أنزل عصاه حتى أصبحت فى مستوى العنق وصاح « پانج » ( صوت انطلاق المسدس ) وترنح قليلا ، وهتف مرة أخرى « پانج » وأتى بحركة تشير الى سقوط « بوجز » على ظهره .

ولقد قال لى الدين رأوا الماساة ابن الرجل أجاد مميل الحادث حتى  
لقد بدا تمثيله صورة طبق الأصل لما حدث ! ثم استبد الانفعال  
بأحد الناس فقال انه يجب أن يشنق « شربين » . وسرعان  
ما ردد الجميع قوله ، وبدأوا يتفرقون وهم يصيحون بجنون  
وينتزعون « حبال الفسيل » التى تصادفهم فى الطريق ليشنقوا  
« شربين » بها ! . .

## الفصل الثاني والعشرون

(( شربيرن )) - مشاهدة السمك - سكير  
في الحلقة - المأساة المشيرة -

أخذ الناس يندفقون كالسيل في طريقهم الى منزل « شربيرن » وهم يصيحون كالمجانين . وكان منظرهم مخيفاً . وتجمهر الدماء أمام منزل « شربيرن » ، فامتلات الساحة بهم . . . وراحوا يصخبون ويضجون . وكانت الساحة صغيرة لا يزيد طولها على ٢٠ قدماً . ثم صاح صائح « حطموا السياج . . حطموا السياج » ، فامتدت مئات الأيدي الى السياج : فحطمته تحطيماً وبدأ النصف الأول من الجمهور يتقدم كال موج . وفي تلك اللحظة ، ظهر « شربيرن » فوق سطح منزله وتقدم حتى واجه الجمهور الصاخب وهو يحمل بندقية ذات « ماسورتين » في يده . ووقف الرجل هادئاً لا يتحدث ، فكف الناس عن الصخب والاضجيج .

ولم يتكلم « شربيرن » وإنما لزم مكانه وراح يحديق في الجماهير . وبدأ السكون يحدث أثره البفيض في النفوس ؛ وراح « شربيرن » ينظر الى الواقفين ، وكلما التقت عيناه بعيني واحد منهم ارتبك الناس ! ثم انفجر « شربيرن » ضاحكاً ! ولم تكن ضحكته رقيقة !

ثم قال ببطء وبلهجة ساخرة :

— ان فكرة قيامكم بشنق أحد الناس فكرة طريفة حقا ؛ وان مجرد التفكير في انكم تملكون من السجاعة ما يدفعكم الى قتل رجل مثلى لأكثر طرافة ! اتحسبون انفسكم قادرين على ايدائي ؟ . . . يا الهى . . . ان أى رجل يسقط في أيدي ألف رجل منكم ، لابد ان يشعر بانه آمن ما لم تتسالموا اليه من خنف . . . انرائى لا أعرفكم ؟ اننى أعرفكم حق المعرفة ، لقد ولدت ونشأت في الجنوب وعشت في الشمال ، ولهذا اعلم كل شئ عن اخلاق الناس هنا وهناك . . ان الرجل العادى هنا جبان ! . . أما في الشمال فانهم قوم ينصفون بالجرأة التى لا حد لها ؛ ولذلك فالويل لمن يتجدهم . لقد استطاع رجل من الجنوب أن يتحدى بمفرده مسرحا مملوءا بالناس في وضح النهار وأن يجردهم من كل ما معهم . . ان صحفكم تقول انكم قوم شجعان حتى توحى اليكم بانكم أشجع من أى قوم آخرين . . والواقع انكم شجعان ، ولكنكم لستم أشجع من الآخرين . لماذا لا يحكم محلفوكم بشنق أى متهم ؟ . لماذا ؟ . لأنهم يخشون أن يقتالهم أصدقاء المتهم في الظلام ومن الخلف ، وهذا هو ما يحدث فعلا . . ولهذا يصدرون أحكامهم بالبراءة دائما . وعند ذلك يجمع رجل واحد مائة رجل جبان ويذهبون وهم مقنعون ليفتالوا ليلا المنهم الذى برىء . وان الفلطة التى ارتكبنموها الآن هى انكم لم تحضروا معكم رجلا ! والفلطة الثانية ، هى انكم لم تجهئوا في الظلام وانتم مقنعون ، وانما أحضرتهم معكم شبه رجل ، هو « باك هاركنس » ؛ ولو انه لم يتول قيادتكم ، لما اقدمتم على مواجهتى ! . . اننى أعلم انكم لم تكونوا راغبين في المجئ ، لأن الرجل العادى لا يحب التعرض للمتاعب والخطر ، وانتم لا تحبون المتاعب والخطر . . ولكن عندما يصبح « نصف رجل » مثل « باك هاركنس » قائلا : « اشنقوه » .

« اشنقوه » ، فانكم تخشون التخاذل . تخشون أن يكشف عن حقيقتكم ، عن جنكم وضعفكم .. ولهذا تندفعون في الصباح وتعلقون بأذيال « نصف الرجل » هذا ، وتجيئون الى هنا وأنتم تهددون وتقسمون ، بأغلظ الايمان أن تاتوا أمرا جللا .. ان الدهماء تستحق الرثاء فعلا !.. عودوا الى منازلكم وابحثوا عن جحور تختفون فيها !.. واذا كان لابد من شنق أحد ، فدعوا ذلك يحدث في هدأة الليل كما اعتاد أهل الجنوب !.. ولكن ذلك لن يحدث الا اذا تولى قيادتكم رجل .. هيا ابحثوا عن رجل .. والآن عودوا من حيث أتيتم وخذوا معكم « نصف الرجل » الذي جاء بكم الى هنا !

تم علق « شيرين » بندقيته على كتفه الأيسر ، فتراجع الجمهور الى الوراء فجأة ، ثم تفرق أيدي سبا ، وانصرف « باك هاركنس » في أثرهم وهو يشعر بالمدلة .. وكان في استطاعتي أن أبقي لو شئت ، ولكنني لم أشأ ذلك ! !  
وذهبت الى « السيرك » ، وتسكعت عند المؤخرة ريثما يتعد الحارس . تم تسللت من تحت حافة الخيمة !.. وكانت معنى القطعة الذهبية ذات العشرين دولارا وبعض قطع النقود الأخرى التي أعطاني اياها الرجلان اللذان استنجدت بهما ذات يوم في عرض البحر ! وقررت ألا أنفق هذا المال الذي سأحتاج اليه فيما بعد !.

كان « السيرك » رائعا حقاً . وكان أروع منظر رأيته في حياتي ، هو منظر اللاعبين وهم يدخلون الى الحلقة راكبين جيادا ، زوجا فزوجا ، رجالا ونساء ، جنباً الى جنب والرجال في سراويلهم وقمصانهم بلا جوارب ولا مهامير ، وقد وضعوا أياديهم فوق أفخاذهم في سهولة وراحة . وكان عددهم لا يقل عن عشرين شخصا . أما النساء فكن آية في الجمال حتى لقد كن أشبه

بجموعة من الملكات الحقيقيات اللائى يرتدين ثيابا مرصعة بالماس لا تقل قيمتها عن ملايين الدولارات . . كان منظرا خلابا لم أر له مثيلا كما قلت ، تم لم يلبث كل منهم أن وقف فوق جواده وأخذ يدور به حول الحلقة فى لطف رائع . فالرجال منهم طوال تتدفق الحيوية والنشاط من وجوههم حتى ليخيل اليك وهم منتصبون فوق الجياد بقاماتهم الفارعة أن رءوسهم تكاد تصل الى سقف الخيمة . أما النساء ، فكن أشبه بحوريات الجنة ، كلما نظايرت أذيال تيابهن الهفافة الناعمة حول أعجازهن .

وزادت سرعة الجياد أكثر فأكثر ، وبدأ الجميع يرقصون ؛ فكانوا يمدون ساقا واحدة فى الهواء ثم يعيدونها الى مكانها ليمدوا الساق الثانية ، والجياد تتمايل وتتهادى فى منظر رائع . اما بطل الحلقة ، فقد أخذ يدور ويدور فى وسط الحلقة وهو « يقرقع » بسوطه فى الهواء ويصيح « شى شى » ونكات « المهرج » تلاحقه ، وشيئا فشيئا أخذت أيديهم جميعا تترك أعنة الجياد ، ووضعت السيدات أيديهن فوق أعجازهن ، ثم عقد الرجال أذرعهم فوق صدورهم ، بينما انطلقت الجياد بسرعة مخيفة . وبعد قليل ، أخذوا ينزلقون من فوق جيادهم واحدا فى اثر واحد ، وواحدة فى اثر واحدة حتى ملأوا أرجاء الحلقة ، وانحنوا للنظارة فى حركة رشيقة رائعة : ثم انسحبوا وسط عاصفة من التصفيق والصياح !!

وتلت ذلك ألعاب مدهشة ، كانت تتخللها نكات « المهرج » حتى كاد النظارة يستلقون على ظهورهم من فرط الضحك . ولم يكن « بطل » الحلقة بقادر على الرد على « المهرج » لأن النكات كانت تنطلق من فم « المهرج » متلاحقة متتابعة . والحق اننى لم أستطيع أن أفهم كيف استطاع هذا « المهرج » أن يعثر على مثل هذه النكات الكثيرة المفاجئة . وفجأة حاول رجل مخمور أن ينزل الى



الحلقة . . قال فى بادىء الأمر انه يريد أن يركب جوادا ، لأنه يجيد الركوب خيرا من أى فارس فى « السيرك » . وحاول الجمهور أن يقنعه بالبقاء خارج الحلقة ولكنه رفض الإمتثال للنصيحة . وعلى الفور توقف العرض ، وأخذ الجمهور يصيح بالرجل ساخرا منه ، ولكن ذلك زاده جنونا وعنادا ، فراح يقاوم كل معارضيه ، فأثار ذلك كثيرا من الناس ، فصاح بعضهم : « اضربوه . . اقدفوا به الى الخارج » ، وبدأت امرأة أو اثنتان تصرخان ، وعندئذ تدخل بطل الحلقة قائلا انه كان يأمل ألا تحدث مثل هذه الضجة ، ولكن اذا استطاع هذا الرجل أن يتعهد بألا يثير مزيدا من المتاعب ، فانه سيدعه يركب أحد الجياد ان كان يظن حقا انه يستطيع البقاء فوق صهوته . . وهنا ضج الجميع ضاحكين ! وامتطى الرجل صهوة أحد الجياد ، فراح الجواد يشب أماما ووراء محاولا القاء راكبه من على ظهره ، بينما أمسك اثنان من رجال « السيرك » بعنانه محاولين منعه من التمدادى فى جموحه . أما الراكب ، فقد تشبث بعنق الجواد ، وكانت ساقاه تطيران فى الهواء ، كلما وثب الجواد . وكان المنظر مثيرا للضحك حقا ، فضج الحاضرون بالضحك حتى اغرورقت أعينهم بالدموع ، وأخيرا ، ورغم ما بذله رجال « السيرك » من جهود لكبح جماح الجواد ، استطاع الجواد أن يفلت منهم ، وراح ينهب الأرض نهبا حول الحلقة بينما « الفارس » الممتطى صهوته نائم فوق عنقه وقد تدلت إحدى ساقيه الى الأرض من جانب والأخرى من الجانب الآخر ، فحبس الجميع أنفاسهم . أما أنا ، فقد تملكنى الخوف على الرجل خشية أن تدق عنقه ، ولكن شد ما كانت دهشتنا عندما رأينا الرجل يستوى فوق السرج ثم يشب واقفا ، ويلقى بعنان الجواد من يده ، وينتصب كالمارد ، بينما الجواد منطلق فى الحلقة بسرعة جنونية . وظل الرجل فى موقفه هذا ، وكأنه لا يشعر بأى

خطر يتهدهده ، ثم لم يلبث أن بدا يخلع ثيابه قطعة قطعة ، ملقيا بها في الهواء ، وقد بلغ عددها سبع عشرة قطعة ، ولم يترك سوى سروال وقميص أنيقين جميلين . ثم أخذ « يفرقع » بالسوط في الهواء حتى يزيد الجواد من جموحه . وأخيرا وثب من فوق الجواد وانحنى للنظارة ثم انسحب الى غرفة ارتداء الثياب ، فدوت عاصفة من التصفيق .

تم كشف « بطل » الحلقة عن الخدعة . . فقال ان هذا الرجل أحد اللاعبين وانه كان يتظاهر بأنه مخمور حتى يستأثر بمشاعر المنفرجين . والحق اننى شعرت بالغيط لأن الرجل خدعنى بمزاحه ! ولو اننى كنت « بطل » الحلقة لما وافقت على مثل هذا المزاح ولو اعطيت ألف دولار ! . . . وعلى أية حال ، فقد أعجبنى « السيرك » أيما أعجاب ! . .



وفى تلك الليلة ، أقمنا استعراضنا المسرحى ، ولكن عدد النظارة لم يكن يتجاوز اثنى عشر شخصا ، وبذلك لم نحصل على دخل يفوق النفقات . وكان النظارة يضحكون طوال الوقت ، فانار ذلك ثائرة « الدوق » . ولقد انصرف النظارة جميعا ما عدا غلاما كان مستغرقا فى النوم ، قبل انتهاء العرض ، وقال «الدوق» ان أهالى مدينة «أركانسو» تلك قوم فارغوا العقول لم يرتقوا بعد الى مستوى شيكسبير ، وان كل ما يريدونه هو الكوميديا الرخيصة — وربما ماهو أدنى من الكوميديا الرخيصة ! ثم قال انه يستطيع ان يرفه عنهم ويسليهم بالاسلوب الذى يحبونه ، وقرر أن يقدم لهم ما يستولى على مشاعرهم ، وفى اليوم التالى ، وضع « الدوق » فى شئنى انحاء المدينة اعلانات تقول :

على مسرح المدينة  
ولمدة ثلاث ليال فقط  
أشهر ممثلي التراجيدى فى العالم  
« دافيد جاريك » الصغير

و

« ادموند كين » الكبير  
من مسارح لندن والقارة الأوربية  
فى تراجيديتهما المثيرة  
« زرافة الملك »

الدخول ٥٠ سنتا  
ممنوع دخول السيدات والأطفال

وقال الدوق لنا : اذا لم يجعل السطر الأخير جميع السكان  
يأتون الى المسرح ، فاننى اكون بذلك أجهل رجل فى مدينة  
« اركانسو » !!

## الفصل الثالث والعشرون

خدعة — مقارنات ملكية — « جيم »  
يصحاب بالحنين إلى الوطن !..

قضى « الدوق » و « الملك » النهار كله وهما يعملان بلا كلل في أعداد المسرح والستار وصف من الشموع لتكون بمثابة أنوار خلفية للمسرح . ولقد امتلأ المسرح بالرجال في تلك الليلة ، حتى لم يعد هناك موطىء لقدم . وفي الموعد المحدد ، اعتلى « الدوق » خشبة المسرح ووقف أمام الستار ، وألقى خطابا امتدح فيه هذه التراجيديا فقال : انها أكثر التراجيديات اثارة . . ثم انتقل الى الحديث عن موضوعها ، وعن « ادموند كين الكبير » الذى سيلعب الدور الرئيسى فى التراجيديا . وعند ما أثار اهتمام الحاضرين جميعا رفع الستار ، وعلى الفور ، ظهر « الملك » على خشبة المسرح وهو يجبو على أربع وقد تجرد من الثياب وطلّى جسمه كله بحلقات متوازية وخطوط متقاطعة مختلفة الألوان ! وكان منظره رائعا كقوس قزح . كان مضحكا للغاية ، وكان النظارة ينفجرون ضحكا بين الحين والحين . وعند ما فرغ « الملك » من أداء دوره المضحك ، صفق النظارة تصفيقا حادا متواصلا

وطالبوا بعودة « الملك » ، فاضطر الى العودة واداء دوره ثانية .  
تم أرغمه النظارة على أداء الدور للمرة الثالثة . ولا عجب . فقد  
كان منظر هذا الكهل الغبى خليقا بأن يضحك الحيوان ، ناهيك  
عن الانسان !

وعندئذ ، أنزل « الدوق » الستار وانحنى للجمهور قائلا ان  
هذه التراجيديا الكبرى ستمثل ليلتين أخريين فقط لارتباط الفرقة  
بمواعيد في لندن حيث بيعت جميع المقاعد سلفا . ثم أضاف انه  
إذا كان قد نجح في ادخال السرور في قلوبهم فسيكون من دواعى  
سروره أن يذكر الحاضرون ذلك لأصدقائهم ليحثوهم على مشاهدة  
التراجيديا ! !

وصاح عشرون شخصا :

— ماذا نقول ؟ هل انتهى التمثيل ؟ أهذا كل شيء ؟  
فأجاب « الدوق » بالإيجاب . وعندئذ صاح الجميع « هذا  
خداع » . واستولى عليهم الجنون وهموا بالانقضاض على المسرح  
والممثلين لولا أن عملاقا ضخما وثب فوق مقعده وصاح :  
— مهلا لحظة .. استمعوا الى أبها السادة .  
فانصت الجميع اليه ...

قال الرجل :

— لقد خدعنا حقًا .. خدعنا خداعا عظيما ، ولكن يجب  
ألا نصبح أضحوكة للجميع ، وألا نظل موضع السخرية طيلة  
حياتنا .. ان ما يجدر بنا أن نعمله هو أن ننصرف من هنا  
بهدوء ، وأن نمتدح هذا العرض حتى نخدع المواطنين الآخرين  
الذين لم يشاهدوا هذه المهزلة ، وبذلك نصبح جميعا متساوين ..  
أليس هذا شيئا معقولا ؟ .

وهنا صاح الجميع : « هذا عظيم .. هذا عظيم » .  
فمضى الرجل يقول : اذن ... فليحذر كل منكم أن يتحدث

عن الخدعة التى تعرضنا لها . . عودوا الى منازلكم وحثوا الجميع على الحضور ومشاهدة هذه التراجيديا .

وفى اليوم التالى ، أصبح حديث « التراجيديا » على كل لسان ! . . الجميع يمتدحونها ويسهبون فى الثناء عليها . . وعندما حل موعد العرض ، امتلأ المسرح بالنظارة المساكين الذين خدعوا كما خدع زملاؤهم من قبل . وعند ما عدنا - الملك والدوق وأنا - الى العائمة ، تناولنا طعام العشاء . وعند منتصف الليل ، طلب « الملك » و « الدوق » من « جيم » أن ينقل العائمة الى مكان يبعد ميلين جنوب القرية وأن يرسو بها فى مخابأ أمين .

وفى الليلة الثالثة ، امتلأ المسرح مرة أخرى . ولم يكن نظاره القادمون جددا هذه المرة ، وانما كانوا أولئك الذين شهدوا العرض فى الليلتين السابقتين . وكنت أقف مع « الدوق » عند الباب ، فلاحظت أن جيوب كل شخص يدخل قاعة المسرح كانت منتفخة وأنه كان يخفى شيئا تحت سترته . ولاحظت أيضا أن روائح غير سارة بدأت تفوح فى المكان كرائحة البيض الفاسد ، والكرب المتعفن ، فأدركت أن فى الأمر شيئا ، وعند ما امتلأ المسرح ولم يعد هناك مكان لقادم جديد ، أعطى « الدوق » ربع دولار لأحد الاشخاص وطلب اليه مراقبة الباب ، ثم تظاهر بالذهاب الى باب المسرح الخلفى ، وأنا أسير فى اثره . ثم استدار الى منعطف مظلم جانبى وقال لى : انطلق سريعا ورائى الى العائمة متجنباً المنازل . . هيا اسرع كما لو كانت الشياطين تطاردك .

ورحنا نجرى بسرعة . ووصلنا الى العائمة فى وقت واحد ، وفى أقل من ثائيتين كانت العائمة تنزلق فوق صفحة الماء منطلقية الى الجنوب وهى معتمة هادئة . ولقد خيل الى أننا تركنا « الملك » التمس تحت رحمة الجماهير الصاخبة الحائقة ، ولكن شديدا كانت دهشتى حينما رأيته يزحف خارجا من العائمة وهو يقول :

ب حسناً ، ما الذى انتهى اليه الموقف هذه المرة أيها «الدوق» ؟  
لقد كان « الملك » أذكى منا جميعاً . . لم يذهب الى المدينة  
على الاطلاق فى تلك الليلة ! .

ولم نشعل المصباح الا بعد أن أصبحنا على مبعدة عشرة أميال  
من المدينة . . ثم تناولنا طعام العشاء ، وانفجر «الملك» و «الدوق»  
يضحكان وهما يتذاكران خدعتهم للجمهور . .

قال الدوق :

— يا لهم من أغبياء مغفلين . . كنت أعلم أن نظارة الليلة الأولى  
سيعدون غيرهم يقعون فى «الفخ» . . وكنت أعرف أيضاً ما أعدوه  
لنا هذه الليلة للثأر منا . . كم أتمنى أن أعرف كيف تلقوا الصدمة !  
وهكذا استطاع هذان المحتالان أن يجمعا اربعمائة وستة وخمسين  
دولارا فى ثلاث ليال . . والحق اننى لم يسبق لى أن شاهدت كومة  
من النقود كتلك الكومة التى رأيتها أمامهما فى تلك الليلة ! . .

وبعد قليل ، استسلم الاثنان للنوم . .

فقال جيم :

— الا يدهشك مسلك الملوك يا « هاك » ؟

فقلت : كلا . . ان مسلكهم لا يدهشنى !

— لماذا يا « هاك » ؟

— لأن تلك هى طبيعتهم بمولدهم . واكبر ظنى انهم جميعاً  
متشابهون .

— لكن هذين المسكين اللذين يقيمان معنا محتالان عريقان  
فيما أرى .

— هذا حق . . ان جميع الملوك محتالون .

— أحق ؟

— لو انك قرأت عنهم مرة لعرفت الحقيقة . . انظر الى هنرى  
الثامن ، وشارل الثانى ، ولويس الرابع عشر ، ولويس الخامس عشر ،

وجيمس الثانى ، وادوار الثانى، وريتشارد الثالث، وأربعين آخرين من الملوك المحدثين عدا ملوك السكسون الذين اعتادوا أن يعيشوا الفساد فى كل مكان فى العهود القديمة . كان ينبغي لك أن ترى هنرى الثامن وهو فى أوج مجده . لقد اعتاد أن يتزوج زوجة جديدة كل يوم ، ثم يأمر بقطع رأسها فى صباح اليوم التالى . وكان يفعل ذلك ببرود شديد ، كما لو كان يطلب من طاهيه أن يعد له طبقا من البيض . . كان يقول : احضروا لى « مل جوين » فيحضرونها له . وفى صباح اليوم التالى يقول لهم « اقطعوا رأسها » ، فيقطعونها . وعندئذ يقول « احضروا لى جين شور » فيحضرونها ، وفى صباح اليوم التالى يأمرهم بقطع رأسها ! ثم يقول « اصلوا بروزا مان الجميلة » وتجيى روزا مان الجميلة النداء ، وفى صباح اليوم التالى يأمر الملك بقطع رأسها . وكان الملك يطلب من كل واحدة منهم أن تحكى له حكاية فى كل ليلة . واستمر على ذلك النوال الى أن جمع ألف حكاية بهذه الطريقة ، فسجلها كلها فى كتاب أطلق عليه اسم « كتاب دومسداى » وهو اسم طريف ينم عن موضوعه . . انك لاتعرف الملوك يا « جيم » ، ولكنى أعرفهم . و « ملكنا » هذا الذى يقيم معنا من انظف الملوك الذين قرأت عنهم فى التاريخ . . حسنا ، لقد خطر ببال الملك هنرى أن يثير مشكلة فى هذه البلاد ، فكيف يثيرها ؟ هل يلجأ الى انذارها ؟ لا . . لقد أمر فجأة باغراق جميع شحنات الشاى الموجودة فى ميناء « بوسطون » فى البحر . كان هذا أسلوبه . . كان لا يدع لأى انسان فرصة . . بل لقد كان يرتاب فى أبيه دوق ولنجتون . . فماذا فعل ؟ ، هل يتحداه ؟ لا . . لقد أغرقه كما يفرق الانسان قطعة صغيرة ! . . ولنفرض أن الناس تركوا مالا فى أى مكان وكان هو فى هذا المكان ، فماذا تراه كان يفعل ؟ كان يستولى عليه . . ولنفرض انه أبرم عقدا لاداء عمل من الاعمال ودفعت أنت التزامك



المالى ولم تشرف بنفسك على أدائه للعمل المطلوب ، فماذا تظنه  
كان يفعل ؟ كان يفعل العكس دائما ، ولنفرض انه فتح فمه ، فماذا  
يحدث ؟ اذا لم يبادر باغلاقه ، اطلق اكذوبة فى كل مرة .. كان  
هذا هو هنرى الشبيهه بالبقة ، فلو كان يقيم معنا بدلا من ملكينا  
هذين ، لفعل بهذه المدينة أسوأ مما فعل هذان الملكان . أنا لا أقول  
ان هذين الملكين على خلق عظيم ، لأنهما ليسا كذلك ؛ ولكنهما  
فاضلان اذا قورنا بالملك هنرى !! .. الملوك هم الملوك يا «جيم» ..  
انهم قوم جشعون بنشأتهم .

- ولكن هل تبدو رائحة هذا الملك كرائحة أمته يا « هاك » ؟  
- نعم .. فهم جميعا مصنوعون من عجينة واحدة !! .. ونحن  
لا نستطيع أن نغير رائحة الملوك يا « جيم » !  
- ان « الدوق » رجل محتمل من بعض النواحي .  
- نعم ، قد يختلف الدوق عن الملك ، ولكنه اختلاف غير كبير ..  
فهذا « الدوق » رجل صعب المراس ، ولهذا لا يستطيع أحد أن  
ييزه عن « الملك » حينما يكون ثملا ، الا اذا كان بعيد النظر .  
- والحق يا « هاك » اننى لم أعد راغبا فى رؤية مزيد منهم ..  
وحسبنا « الدوق » و « الملك » !

- وهذا هو شعورى أيضا يا « جيم » ... ولكن ما دام  
الاثنان معنا فينبغى أن نتذكر من هما ونوفيهما حقهما .. اننى  
أتمنى أحيانا أن أسمع عن بلد ليس فيه ملوك .  
قلت ذلك للكهل «جيم» لأننى لم أر ثمة فائدة فى اخبار «جيم»  
بأن هذين الرجلين ليسا ملكا ودوقا حقيقيين ، لأننى لم أجد  
فارقا بينهما وبين الملوك الحقيقيين !

ثم استغرقت فى النوم ، فلم يوقظنى عند ما حل موعد قيامى  
بالمراقبة بدلا منه .. وكثيرا ما كان يفعل ذلك . وعند ما  
استيقظت من نومى مع طلوع النهار ، ألقيته جالسا وقد وضع

راسه بين ركبتيه وهو يتأوه ويئن صامتا ، فلم أبال بذلك او  
يتدخل فى الأمر .. فقد كنت أعرف السبب .. كان « جيم »  
يفكر فى زوجته وأطفاله ، فقد غلبه الحنين اليهم والى وطنه ؛  
وخاصة انه لم يبتعد من قبل عن منزله . وانى لأعتقد انه كان  
يعنى بأسرته عناية عظيمة لا تقل عن عناية الجنس الأبيض  
بعائلاتهم ! ورغم أن ذلك قد لا يبدو طبيعيا ، فهذا هو الحق !..  
لقد كان كثير التأوه والائين . وكثيرا ما كنت أسمعته يتأوه فى هداة  
الليل .. كم سمعته يقول : « مسكينة أنت يا اليزابيث ..  
مسكين أنت يا جونى الصغير ، انها حياة شاقة . أكبر ظنى اننى  
لن أراكم ثانية .. ثانية » . ثم يتأوه ويبكى !..  
« جيم » زنجى كريم !..

وعلى الرغم من أننى كنت أـ رص على عدم التدخل فى شئونهِ  
العائلية ، فأننى تحدثت اليه هذه المرة عن زوجته وأطفاله ..  
فلم يلبث أن قال :

— ان ما يجعلنى أشعر بالحزن هذه المرة ، هو أننى سمعت  
صوت باب يغلَق بعنف منذ قليل ، فذكرنى ذلك بالمعاملة السيئة  
التي عاملت بها ابنتى اليزابيث الصغيرة فى أحد الأيام ! لم تكن  
حينذاك قد بلغت الرابعة من عمرها ، وأصيبت بالحمى القرمزية ،  
وكانت اصابتها شديدة الوطأة ولكنها شفيت . واتفق ذات يوم  
ان كانت تقف أمام المنزل فقلت لها :

— اغلقى الباب .

ولكنها لم تفعل ، وابتسمت لى فجن جنونى ، فقلت لها مرة  
أخرى بصوت مرتفع :

— ألا تسمعينى ؟ اغلقى الباب .

فوقفت جامدة فى مكانها ، والابتسامة على شفيتها ، فازددت  
سخطا وغيظا وصحت :

— سأجملك تطيعين ما أقوله لك .

وهويت ييدى فوق رأسها ، فسقطت على الأرض . ثم تركتها ودخلت المنزل وقضيت هناك عشر دقائق . . وعندما خرجت ، كان الباب لا يزال مفتوحا والطفلة واقفة وقد خفضت رأسها والدموع تنهمر من عينيها . . وقد زادنى ذلك جنونا ؛ وهممت بالانقراض عليها ، لولا أن الريح هبت فى تلك اللحظة فأغلقت الباب خلف الطفلة . . ولكنها لم تتحرك من مكانها ، فأحسست بأن قلبى يكاد يفلت من بين ضلوعى ، وتقدمت نحو الباب وفتحته بلطف وهدوء وأبرزت رأسى من خلفه ، فاذا بالطفلة لا تزال واقفة فى مكانها ؛ وعندئذ صحت فيها صيحة مدوية مفاجئة ، ولكنها لم تتحرك . . أو اه يا هاك . . لقد انفجرت باكيا ، وحملت الطفلة بين ذراعى وقلت لها : أيتها الطفلة المسكينة ، فليغفر الله العظيم لجيم المسكين ما أتاه من اثم عظيم ، لأن جيم لن يفتفر لنفسه هذا الاثم طالما بقى على قيد الحياة » . . يا الهى يا « هاك » . . لقد كانت الطفلة التعسة بكاء صماء . . ومع ذلك عاملتها بكل خشونة . !

## الفصل الرابع والعشرون

(جيم) في ثياب ملكية - استقلوا باخرة -  
الحصول على المعلومات - حزن أسرة .

عندما دنا ليل اليوم التالى ، رسونا عند شجرة قنب صغيرة  
فى منطقة تحف بها قرية على كل جانب من جانبى النهر ، وبدأ  
« الدوق » و « الملك » يرسمان خطة للعمل فى هاتين القريتين ؛  
فقال جيم للدوق انه يأمل الا يستغرق تنفيذ هذه الخطة اكثر  
من ساعات قليلة لأنه بدأ يشعر بالضيق لاضطراره الى البقاء  
طوال النهار مشدود الوثاق ، فقد كنا مضطرين الى شد وثاقه  
كلما تركناه وحيدا خشية أن يمر به أحد ويجده طليقا غير مشدود  
الوثاق فيظنه زنجيا هاربا . .

لقد كان هذان المحتالان يضعان خطط مفامرة جديدة تدر  
عليهما مالا كثيرا ، ولكنهما رآيا أن فى ذلك مجازفة كبيرة لاحتمال  
وصول نبا مفامرتهم السابقة الى القرية فى هذا الوقت . ولم  
يستطيعا رسم خطة مناسبة . . واخيرا قال «الدوق» انه سيفكر  
ساعة او اثنتين لعله يستطيع ان يرسم خطة للاحتيال على قرية  
« اركانسو » ، بينما قال « الملك » انه سيذهب الى القرية الثانية  
يلا خطة معينة تاركا للأقدار تحديد نوع المفامرة التى تعود عليه

بالريح . واكبر ظنى انه لم يترك هذا الامر للأقدار ، وانما تركه للشيطان . . وكنا قد ابتعنا كمية كبيرة من ملابس التمثيل من اول مكان صادفنا ، فارتدى « الملك » ثيابه وطلب منى أن ارتدى ثيابى ، ففعلت . وكان ثوب « الملك » أسود اللون ، فأكسبه مهابة ووقارا . والواقع اننى لم أكن أدرك من قبل أن الثياب تستطيع أن تغير من منظر الانسان الى هذا الحد . وقبل أن يرتدى « الملك » هذه الثياب كان يبدو شخصا عاديا ، بل ربما بدا أقل من الشخص العادى ؛ أما الآن ، فانه يبدو مهيب الطلعة عظيما . وأسرع « جيم » ينظف القارب ؛ وأعددت مجدفى للعمل ؛ وكان ثمة قارب بخارى راسيا عند الشاطئ على مبعدة ثلاثة أميال شمالى المدينة . . وكان هذا القارب قد وصل منذ ثلاث ساعات لشحن حمولة .

قال « الملك » : حيث انى ارتدى هذه الثياب ، أرى انه يحسن بى أن أصل الى القرية من ناحية الجنوب كما لو كنت قادما من « سانت لويس » أو « سنسناتى » أو غيرهما من المدن الكبرى . . انطلق الى القارب التجارى يا « هاكبرى » . . وسنعود الى القرية فيما بعد . .

ولم أتردد فى الامتثال لأمره . . فقد كنت شديد اللفتة على ركوب قارب بخارى . . وبلغت الشاطئ عند نقطة تبعد نصف ميل شمال القرية ثم أخذت أتجول به فى الماء الهادى ؛ وسرعان ما التقينا بقروى ساذج جالس فوق كتلة من الخشب ، وهو يجفف العرق الذى انسال فوق وجهه . . فقد كان القيظ شديدا فى ذلك اليوم . . وكانت بجوار هذا القروى حقيبتان كبيرتان من القماش .

قال « الملك » : وجه القارب الى الشاطئ .  
ففعلت .

وعندئذ سأل « الملك » القروى : الى اين انت ذاهب ايها الشاب ؟

— الى الباخرة ؛ لاننى فى طريقى الى « اورليانز » .  
فقال « الملك » : اذن تعال معنا وسيساعدك خادمى فى نقل الحقيبتين . . هيا يا ادولفوس ، ساعد السيد . . قال ذلك وهو يعيننى بالطبع !

وعاونت الشاب ، واتخذنا مجلسنا فى القارب ، وأعرب الشاب الملك عن عميق شكره لما قدمناه له من عون قائلا أن نقل هذه الأمتعة فى مثل هذا الطقس يعتبر عملا شاقا . . ثم سأل « الملك » عن المكان الذى سيذهب اليه ، فأجاب « الملك » أنه جاء من الجنوب ونزل الى البر عند القرية الأخرى هذا الصباح ، وأنه ذاهب الآن شمالا ليزور صديقا قديما يقيم على بعد عدة أميال الى الشمال . . فقال الشاب :

— عند ما وقع بصرى عليك قلت لنفسى « من المؤكد أنه مستر ويلكس ، ولكنه وصل بعد فوات الأوان مع الأسف » . . ثم عدت أقول لنفسى « لا . . أظن أنه ليس مستر ويلكس والا لما ركب قاربا صغيرا . . لا شك أنك لست هو . . اليس كذلك » ؟

— لست مستر « ويلكس » . . ان اسمى بولدجيت — السكندر بولدجيت — القس السكندر بولدجيت من خدم الله الفقراء ، ولكن مهما يكن من أمر ، فاننى سأشعر بعظيم الأسف اذا كان تأخر مستر « ويلكس » عن الحضور سيؤدى الى نتائج غير مستحبة ، وهو ما لا أرجوه !

— حسنا ، انه لم يخسر شيئا ! . . فسيحصل على ما يخصه ما فى ذلك ريب . . ولكن فائته رؤية أخيه « بيتر » وهو على فراش الموت . . مسكين ! ان أخاه كان على استعداد للتنازل عن كل ما يملك فى مقابل رؤيته قبل موته ! ولقد قضى الأسابيع الثلاثة

الأخيرة من حياته وهو لا يتحدث الا عن رغبته فى رؤية أخيه الذى لم يره منذ أن كانا غلامين صغيرين . . كذلك لم ير المسكين أخاه وليم الأصم الأبكم على الإطلاق ! ان عمر وليم لا يتجاوز الخامسة والثلاثين . ولقد كان « بيتر » و « جورج » الوحيدين اللذين جاءا الى هنا . . وكان « جورج » هو الأخ المتزوج ، ومات هو وزوجته فى العام الماضى . . وبهذا أصبح « هارفى » و « وليم » الوحيدين الباقيين على قيد الحياة . . ولكنهما لم يصلا الى هنا فى الوقت المناسب .

— هل بعث أحد فى طلبهما ؟

— نعم . . . منذ شهر أو اثنين ، أى عند ما سقط « بيتر » مريضا ! لقد كان « بيتر » يشعر بدنو أجله هذه المرة . . . كان طاعنا فى السن ، وكانت بنات « جورج » صغيرات لا يصلحن لرعايته ، اللهم الا « مارى جان » ذات الشعر الاحمر . . . لهذا شعر « بيتر » بالوحدة بعد موت « جورج » و « زوجته » ، ويئس من الحياة . . . وكان يتلهم على رؤية « هارفى » و « وليم » أشد الالهفة . . . مسكين ، انه لم يكتب وصية . . . ولكنه ترك رسالة لهارفى أنبأ فيها بالمكان الذى أخفى فيه نقوده ، وكيف انه يرغب فى أن تقسم بقية أملاكه بحيث تحصل بنات « جورج » على نصيبهن بالكامل ، لأن « جورج » لم يترك لهن شيئا بعد موته . . . وكانت هذه الرسالة هى كل ما استطاع الجميع أن يقنعوه بكتابته .

— لماذا لم يحضر « هارفى » ؟ وأين يقيم ؟

— انه يقيم فى انجلترا — فى شيفلد — حيث يعمل وأعظا ، ولكنه لم يأت الى هذه البلاد أبدا لأنه لا يملك من الوقت ما يتيح له ذلك . . . ومن المحتمل أن تكون الرسالة قد ضلت طريقها اليه !

— هذا أمر يؤسف له . . . نعم . . . انه لمن المؤسف حقا ان

الأخ لم يعيش حتى يرى أخويه ... يا له من مسكين ... هل قلت انك ذاهب الى « اورليانز » ؟

— نعم ، ولكن ذلك ليس سوى جزء من رحلتى ... فسوف استقل الباخرة يوم الأربعاء القادم فى طريقى الى « ريوديجانيرو » حيث يقيم عمى .

فقال « الملك » : انها رحلة طويلة ولكنها ممتعة ... ليتنى كنت ذاهبا هناك مثلك ... هل « مارى جان » هى كبرى البنات ؟ وما عمر الباقيات ؟

— ان « مارى جان » فى التاسعة عشرة ... و « سوزان » فى الخامسة عشرة ... و « جوانا » فى حوالى الرابعة عشرة ... و « جوانا » هى التى تقوم بأعمال المنزل !

— يا للمسكينات ... من نكد الدنيا أن يتركن وحيدات فى عالم بارد كهذا .

— هذا حق ... ولكن من حسن الحظ ان اصدقاء « بيتر » كثيرون ، وسيعملون بلا شك على حماية الفتيات ورعايتهن ... فهناك « هوبسون » الواعظ ، و « دنكن لوت هوفى » ، و « بن راكر » ، و « ابشرشكلفورد » ، و « ليفى بل » المحامى ، و « الدكتور روبنسون » وزوجاتهم ، والأرملة « باركلى » ... انهم كثيرون . وكان « بيتر » يحبهم ... وكثيرا ما كان يكتب عنهم فى خطاباتة التى كان يرسلها الى أخويه ... ولا شك ان « هارفى » يعلم من هم الأصدقاء الذين ينبغى له أن يبحث عنهم عند ما يجيء الى هنا .

ومضى « الملك » يستدرج الشاب حتى عرف كل ماكان يريد أن يعرفه ... كذلك استطاع أن يعرف كل ما يمكن معرفته عن المدينة وعن أسرة « ويلكس » ، وأعمال « بيتر » ، فعرف انه كان



صاحب حديقة ، بينما كان « جورج » نجارا ، كما عرف ان  
« هارفى » كان قسيسا . . . . . وهلم جرا . . . . .  
ثم قال : ما الذى يجعلك تقطع كل هذه المسافة لتستقل هذه  
الباخرة ؟

— لأنها باخرة كبيرة داهية الى أورليانز . . . . . وقد خشيت ألا  
تتوقف هنا ، فعندما يكون منسوب الماء منخفضا لا تتوقف  
البواخر هنا . . . صحيح ان باخرة « سنسناتى » تقف هنا ،  
ولكن الباخرة التى أريد أن استقلها ليست باخرة « سنسناتى »  
. . . انها باخرة « سانت لويس » !

— هل كانت حالة « بيترويلكس » المالية حسنة ؟  
— نعم . . حسنة جدا . . انه يملك منازل ومزارع . واعتقد  
انه ترك ثلاثة آلاف جنيهه مخبأة فى مكان ما .  
— ومتى مات ؟

— ليلة أمس .  
— اذن ، فالأرجح أن تشيع جنازته غدا .  
— نعم . حوالى الظهر .

— حقا . . . ان الأمر محزن للغاية ، ولكن هذا مصيرنا جميعا  
وان تفاوتت المواعيد . . . ولهذا يجب علينا أن نستعد دائما  
للملاقاة الموت .

— نعم يا سيدى ، هذا أفضل شئ . . . وكثيرا ما سمعت أُمى  
تقول ذلك .



وعندما وصلنا الى الباخرة ، كانت تتأهب للرحيل فاستقلها  
الشباب القروى . . ثم بدأت الباخرة رحلتها الطويلة ! . . . وعندما

اختفت عن الأنظار ، طلب منى « الملك » ان أمضى بالقارب ميلاً آخر ... وأن أرسو فى مكان منعزل ... تم نزل الى الشاطئ، وقال :

— والآن ، أسرع بالعودة لاحتضار « الدوق » الى هنا ... ولا تنس أن تحضر الحقائق الجديدة معك ... واذا كان « الدوق » قد نزل الى الشاطئ الثانى ، فاذهب فى أثره وأحضره ، وقل له اننى أريد حضوره بسرعة ... هيا اذهب !

وادركت ما يعتزم « الملك » أن يفعل ، ولكنى لم أقل شيئاً بالطبع ... وعند ما عدت مع « الدوق » ، أخفينا القارب ، ثم جلس الرجلان على كتلة من الخشب ، وراح « الملك » يفضى الى « الدوق » بكل ما عرفه من القروى الساذج بدقة مدهشة ، وبدأ « الملك » يحاول أن يتحدث كما يتحدث الانجليز المهذبون ؛ واعتقد أنه أجاد تمثيل دوره !

ثم قال للدوق : هل تستطيع أن تدعى الصمم والبكم يا « بريد جوتتر » ؟ ...

فقال الدوق ، انه قام بتمثيل كثير من أدوار الصمم والبكم حتى أجادها . ثم جلس الاثنان فى انتظار قارب بخارى كبير ! .. وبعد الظهر ، مر قاربان بخاريان صغيران ، لا ينم منظرهما عن قدومهما من مكان بعيد ... وأخيراً أقبل قارب كبير فاستوقفاه وصعدنا الى ظهره .. كان القارب قادماً من « سنسناتى » ... وعند ما علم أصحابه بأن رحلتنا لا تزيد على أربعة أو خمسة أميال جن جنونهم وانهالوا علينا سباً وشتماً قائلين انهم لن ينزلونا على البر ، ولكن « الملك » ظل رابط الجأش ... وأخيراً قال :

— اذا كان فى استطاعتنا أن ندفع لكم ريالاً عن كل ميل ، فلماذا لا ننقلوننا ؟

وهذات نائرة أصحاب القارب البخارى، وقبلوا الوضع ، وعندما

نزلنا عند القرية ، أقبل نحونا حوالى عشرين شخصا ، فقال لهم الملك :

— هل يستطيع أحدكم أن يخبرنا أين يقيم مستر « بيتر ويلكس » ؟

وتبادل الرجال النظرات ، ثم أومأوا بروءسهم وكأنهم يقولون « ألم تكن نتوقع ذلك ؟ » . ثم قال أحدهم بلهجة رقيقة :

— انى آسف يا سيدى . . . ان خير ما نستطيع أن نقوله هو ان نخبرك أين كان يقيم حتى مساء أمس ! . . .

وتظاهر « الملك » بأنه يوشك أن ينهار ، فقد ترنج وسقط فوق محدته ، ووضع ذقنه فوق ظهره ، ثم انخرط فى البكاء وهو يقول :

— انتهى . . . انتهى . . . مات أخونا المسكين . . . مات ولن نراه بعد اليوم . . . أوه . . . يا له من أمر محزن . . .

ثم استدار على عقبيه وهو يتمتم بكلام غير مفهوم ويأبى بإشارات من يديه لأخيه ، فألقى هذا بالحقيبة على الأرض وانخرط فى البكاء . . . والحق اننى لم أر محتالين يجيدان تمثيل دورهما كما أجاده هذان المحتالان !

وتجمع الرجال حولهما وهم يدون أشد العطف عليهما ، ويعربون عن أسفهما ، ثم حطوا حقيبتيهما . . . وأخذنا نرتقى التل ، والمحتالان يستند كل منهما على الآخر ، بينما راح الرجال يحدثون « الملك » بكل ما حدث لأخيه فى لحظاته الأخيرة . . . وكان « الملك » يترجم كل ما يقولونه للدوق بالإشارات ! وكان الحزن الذى أبداه هذان المحتالان غنيفا أليما مؤثرا . . . والحق اننى شعرت بالحجل من الجنس البشرى كله فى تلك اللحظة !

## الفصل الخامس والعشرون

هل هما الاخوان؟ - انشاد « ترنيمة » -  
نسمة طبع الاستغناء عن النقود - عدالة تامة  
- ترانيم جنائزية - استغلال سييء \*

انتشرت الأنباء في المدينة كلها بعد دقيقتين ... وسرعان ما  
تقاطر الناس من كل فجح وصوب ... وسرعان ما ألفينا أنفسنا  
وسط جمهرة كبيرة ... وكان وقع أقدام الناس أشبه بصوت  
زحف عسكري ! وامتلات نوافذ المنازل وأبوابها بالنساء والفتيات  
.... وفي كل لحظة ، كان أحد الأشخاص يطل من فوق السياج  
ويتسائل :

- هل هم هؤلاء ؟

فيجيبه آخر اثناء سيره مع جماعة من الرجال ؛ نعم ...  
انهم هم .

وعند ما وصلنا الى المنزل ، كان الشارع الذي امامه قد اكتظ  
بالناس . وكانت الفتيات الثلاث واقفات على « عتبة » الباب ...  
كانت « ماري جان » ذات شعر أحمر ، ولكن ذلك لم يؤثر في جمالها  
الطاغى . وكان وجهها شديد التألق بينما التمعت عيناها ببريق

يدل على سرورها لوصول عميها ، وبسط « الملك » ذراعيه ،  
فألقت « ماري جان » بنفسها في أحضانه ، بينما وثبت الفتاة  
الأخرى نحو « الدوق » . . . وهكذا عانق المحتالان الدعيان  
الفتاتين . . . وكان الجميع ، رجالا ونساء ، سيكون من الفرح  
لاجتماع شمل الأسرة من جديد ! !

ثم انتحى « الملك » بالدوق جانبا ؛ ولقد رأيته وهو يفعل ذلك  
. . . ثم تلفت حوله ليرى التابوت الممدد فوق مقعدين في ركن  
الغرفة ، ووضع كل من الرجلين ذراعه فوق كتف الآخر ، بينما  
وضعا يديهما الآخرين فوق عينيهما ، ثم تقدما ببطء وحزن  
نحو التابوت ! وتراجع الجميع ليفسحوا لهما الطريق ، وكفوا عن  
الكلام والضوضاء ، بينما خلع جميع الرجال قبعاتهم وخفضوا  
رعوسهم ، حتى لقد كنت تستطيع أن تسمع صوت الدبوس اذا  
سقط على الأرض ! . . . وعند ما وصلا الى موضع التابوت ،  
انحنيا وتطلعا داخله ثم انفجرا باكيين بصوت كان يمكن أن يسمعه  
سكان « أورليانز » ! ثم وضع كل منهما ذراعه حول عنق الآخر ،  
وذقنه فوق كتف الآخر ، وبقيتا على هذه الحال ثلاث دقائق ، وربما  
أربع . والحق اننى لم أر رجلين أبديا مظاهر الحزن العميق مثلما  
أبداها هذان المحتالان . . . وكان الجميع يشاطرونهما حزنهما  
العميق . ثم تقدم أحدهما نحو أحد جانبي التابوت ، بينما تقدم  
الثانى نحو الجانب الآخر ، ثم ركعا والصقفا جبهتيهما فى التابوت ،  
وهما يتظاهران بالصلاة فى صمت . وما كاد الحاضرون يرون ذلك ،  
حتى انفجروا باكيين بصوت مرتفع . . . وبكت الفتيات التمسعات ،  
فاتجهت نحوهن النساء وأخذن يقبلهن فى عطف ، ثم وضعن أيديهن  
فوق رعوسهن وتطلعن الى السماء والدموع تنحدر من عيونهن . .  
والحق اننى لم أر منظرا مثيرا للحنق كهذا المنظر !

وبعد قليل ، نهض « الملك » واقفا ، وتقدم الى الأمام قليلا ،

ورأح يتكلم وهو يتظاهر بالحزن قائلاً أنه لن يكابد أخيه المسكين  
محنة كمحنة فقد أخيهما ، وخاصة انهما لم يتمكنوا من رؤيته حيا  
بعد أن قطعوا رحلة طولها أربعة آلاف ميل ! ثم قال انه لما يهون  
من الفجيعة ، ذلك العطف العظيم من المعزين ... ولهذا فانه  
يشكرهم من قلبه ومن قلب أخيه ، لأنهما لا يستطيعان شكرهم  
بالفم لأن الكلمات تعجز عن التعبير عما يخالجهما من شعور ...  
واستمر « الملك » في هذا الحديث الممل ثم أطلق العنان لدموعه !!  
وما كاد « الملك » يفرغ من حديثه حتى بدأ أحد الحاضرين  
بإنشاد ترنيمة حزينة ، فاشتراك الجميع معه في ابتهاج وضراعة ،  
فكدت أشعر بأننى فى كنيسة ! ... ولا عجب ، فان للترانيم وقعا  
جميلا فى النفس ... والحق أننى لم يسبق لى أن أحسست براحة  
كتلك التى شعرت بها فى هذه اللحظة ، فقد كان أداء الترنيمه  
ينبعث عن شعور واخلاص ،

ثم بدأ فك « الملك » يرتعش ثانية ، وقال انه ليسره ويسر  
بنات أخيه أن يتناول عدد قليل من أصدقاء الأسرة الأخصاء  
الطعام معهم هذا المساء ، وان يساعدوا فى دفن رفاة الميت . ثم  
استطرد قائلاً انه لو كان فى استطاعة أخيه المسكين المسجى هناك  
أن يتكلم لما تردد فى أن يذكر أسماء أصدقائه الذين كان يذكرهم دائماً  
فى رسائله ، ومن بينهم : الكاهن « مستر هوبسون » ، والشماس  
« لوت هوفى » ، ومستر « بن راكر » ، و « ابنر شاكلفورد » ،  
و « ليفى بيل » المحامى ، والدكتور « روبنسون » ، وزوجاتهم ،  
والأرملة « بارنلى » !!

وكان الكاهن « هوبسون » والدكتور « روبنسون » متغيبين فى  
الطرف الآخر من المدينة . أما المحامى « بيل » ، فقد كان متغيباً  
فى « لويسفيل » لبعض شأنه ، ولكن الباقين كانوا موجودين ،  
فتقدموا جميعاً وصافحوا « الملك » وشكروه وتحذثوا اليه ثم

صافحوا « الدوق » ولم يقولوا له شيئاً ، وان كانوا قد ابتسموا له وهم يخنون رءوسهم اعراباً عن العطف ، بينما راح « الدوق » يشير بيديه ويقول « جو - جو - جو - جو - جو - جو - جو - كما يفعل طفل لا يستطيع النطق !

ومضى « الملك » فى حديثه الصاخب ، واستطاع أن يذكر أسماء معظم سكان المدينة ، بل لقد استطاع أن يذكر بعض الأحداث الصغيرة التى وقعت فى المدينة ، وخاصة ما وقع منها لأسرة « جورج » أولبتر . . . وكان يدعى أن « بيتر » كتب له عن هذه الأحداث ، ولكن ادعاءه هذا كان أكذوبة ضخمة ؛ فهو لم يكن يعرف شيئاً عن هذه الأحداث - التى سمع بها لأول مرة - من القروى الساذج الذى نقلناه بقاربنا الى البخرة ! . . .

وبادرت « مارى جان » باحضار الرسالة التى تركها أبوها ، فقرأها « الملك » بصوت مرتفع وهو يبكى ! . . . وكانت الرسالة توصى باعطاء المنزل والآلاف الثلاثة من الدولارات للفتيات ؛ وباعطاء المدبغة (وكانت ناجحة) وبعض المنازل والأراضى (وقيمتها سبعة آلاف دولار ) وثلاثة آلاف دولار لهارفى ووليم . . . كذلك ذكر « الميت » فى رسالته أن أخفى الستة الآلاف دولار ! . . . وبعد فترة قصيرة ، قال « الملك » انه سيذهب لاحضار النقود ووضع الامور فى نصابها على رؤوس الأشهاد احتراماً لوصية « بيتر » المسكين ! وطلب منى أن أحضر شمعة ، ثم أغلقنا باب « البدروم » - الذى توجد به النقود - خلفنا ، وعند ما عثر المحتالان على الحقيبة فتجهاها ، والقبيا بما تحويه من نقود ذهبية على الأرض ! ولقد رأيت عيني « الملك » تلتهمان ببريق عجيب . . . ثم قال للدوق :

- اوه . . . انها ليست مزيفة . . . اوه . . . يا الهى . . . ان هذه الصفقة تفوق كل ما عداها . . . اليس كذلك ؟  
ووافق « الدوق » على هذا رأى ، وأخذ الاثنان يقلبان النقود

وبتركاتها تتساقط من بين أصابعهما على الأرض ، فتحدث  
رئيسنا خلافاً ... ثم قال « الملك » ... :

— لا فائدة من الكلام ! لا شك في أن القيام بدور أخوة رجل  
ميت وممثل ورتته يلائمني ويلائئك .. ان ما صادفناه من حظ  
سعيد مرجعه الى الاعتماد على القدر ؛ فتلك هى خير وسيلة  
للحياة .. لقد جربت جميع الوسائل الأخرى ، فلم أجد خيراً  
من الاعتماد على القدر !

يا لهما من محتالين شريرين ! .. لقد كان حرياً بهما أن يحترما  
جلال الموقف .. ولكنهما أبيا إلا أن يعدا النقود قطعة قطعة ..  
ولقد اكتشفا أن هناك عجزاً قدره أربعمائة وخمسة عشر دولاراً !  
قال « الملك » : لعنة الله عليه .. لشدة ما أعجب ماذا فعل  
بهذه الدولارات المفقودة ! !

وبدا القلق على الرجلين ، وراحا ينقبان فى مختلف أرجاء الغرفة  
بحثاً عن الدولارات المفقودة ، وأخيراً قال الدوق :

— حسناً ، لقد كان الرجل مريضاً .. ومن الجائز أنه أخطأ فى  
ذكر رقم المبلغ ! .. أكبر ظنى أن تلك هى الحقيقة ! ولعل خير  
ما نفعله هو أن ندع الأمور تجري فى أعنتها ، فاننا نستطيع  
الاستغناء عن هذا المبلغ ..  
فقال « الدوق » :

— نعم .. نستطيع الاستغناء عنه .. اننى لا أبالى .. ولكن  
يجب علينا أن ننقل النقود الى الطابق العلوى ونعدها أمام الموجودين  
جميعاً حتى تنتفى كل ريبة ! ولكن ما دام « الميت » قد قال انها  
ستمائة آلاف دولار ، فان ...

ثم قال الدوق : مهلاً لحظة .. دعنا نكمل المبلغ ..  
وأخذ يخرج المبلغ الناقص من جيبه ، فقال الملك :



— يا لها من فكرة رائعة أيها « الدوق » .. الحق انك تتمتع  
بذكاء لا يبارى ..

وأخذ «الملك» يعد النقود ثم حشاها داخل الحقيبة حتى اكتمل  
المبلغ ستة آلاف دولار !!

وقال « الدوق » : عندي فكرة أخرى .. دعنا نصعد الى  
الطابق العلوى ونعد هذه النقود ونعطى الفتيات نصيبهن منها ..  
— فكرة رائعة أيها « الدوق » .. دعنى احتضنك من أجلها ..  
انها أروع فكرة طافت فى رأس رجل .. الحق انك أذكى رجل  
عرفته فى حياتى .. اوه ؛ تلك هى صفات الزعامة ولا شك ...  
ان هذا العمل خليك بأن يقضى على كل ريبة .

وعند ماصعدنا الى الطابق العلوى ، التف الجميع حول المنضدة ،  
وبدأ « الملك » يعد النقود ، حتى اكتمل عددها ستة آلاف دولار !  
فراح الجميع يتطلعون اليها بعيون جائعة ، ويلعقون شفاههم ،  
ثم لم البث أن رايت « الملك » يتحفز لالقاء خطاب آخر قال فيه :  
« أيها الأصدقاء .. لقد أسدى أخى المسكين المسجى هناك  
صنيعا عظيما يدل على السخاء بالنسبة لمن خلفهم يقاسون لوعة  
الأحزان .. أسدى صنيعا عظيما لهؤلاء الفتيات البريئات اللائى  
أحبهن وآواهن بعد أن حرمن من عطف الأب والأم .. نعم اننا ،  
نحن الذين عرفناه جيذا ، نعرف انه كان يود أن يمتد سخاؤه  
معهن أكثر من ذلك لولا خوفه من ايلام أخويه العزيزين « وليم »  
وأنا .. أليس كذلك ؟ اننى لا أرتاب مطلقا فى ذلك .. حسنا  
اذن .. هل هناك أخوان يستطيعان الاعتراض على وصية أخيهما  
فى مثل هذا الوقت ؟ ثم ، هل يمكن لعمين أن يسرقا .. نعم يسرقا  
مثل هؤلاء الفتيات البريئات اللائى أحبهن عمهن الميت مثل هذا.  
الحب العميق ؟ اننى لأعرف أخى على حقيقته .. ولكن .. يجدد  
بى أن أسأله على كل حال ..

وتحول « الملك » الى « الدوق » ، وأخذ يشير اليه بيديه ،  
بينما كان « الدوق » يتأمله بغباء ، ولكنه سرعان ما أتى بإشارة  
تدل على انه فهم مرمى أخيه ، وونب نحو أخيه وهو يردد  
« جو - جو - جو » بكل قوة دلالة على فُزُط سروره ، واحتضنه  
بقوة زهاء ربع ساعة .. وعندئذ قال الملك : « كنت اعرف ذلك ،  
وأعتقد أن ما أبداه أخى كفيل باقناع أى شخص بحقيقة شعوره  
... هيا يا « مارى جان » ويا « سوزان » ويا « جوانا » ..  
خذوا هذه النقود .. خذوها كلها فهى هدية من عمكما المسجى  
هناك .. وأغلب الظن انه يشعر بالسرور الآن رغم انه جنة  
هامدة » .

واحتضنت « مارى جان » الملك ، بينما احضنت اختاها  
« الدوق » ، واستمر منظر العناق والقبل بشكل لم أر له مثيلا ،  
بينما تجتمع الحاضرون حولهم ، والدموع تنحدر من عيونهم ،  
وراحوا يصافحون المحتالين بحرارة قائلين :

— يا لكما من رجلين طيبى القلب !

ثم بدأ الجميع يتحدثون عن الرجل الميت ، ويعددون مناقبه ،  
ومدى حزنهم عليه . وقبل أن يمضى وقت طويل ، رأيت عملاقا  
عريض الوجه يشق طريقه حتى وصل الى الصف الأول ، ووقف  
يصغى وينظر دون أن يتكلم أو يقول له أحد شيئا ، لأن الملك كان  
يتكلم ، ولأن الجميع كانوا يصغون اليه .. كان الملك يقول فى  
حديث كان قد بدأ :

« ... انهم أصدقاء الميت المقربون .. ولهذا السبب دعوناهم  
الليلة لانشاد « الترانيم » .. فانا نريد من الجميع أن يشتركوا  
فى الجنتازة .. الجميع ، لأن الميت كان يحترم الجميع ، ويجب  
الجميع ، ولهذا يجب أن تكون جنازته عامة » .  
واستمر « الملك » فى حديثه هذا وكأنما كان يسره أن يستمع

الى نفسه .. وكان لا يفتأ يردد بعض الترانيم الجنائزية ، حتى ضاق « الدوق » ذرعاً بذلك ! وأخرج « الدوق » ورقة كتب عليها « الطقوس الجنائزية ، أيها الأحمق الكبير » ، وطوى الورقة ، وراح يردد كلمته المألوفة « جو - جو » ، ثم ناول الورقة للملك من فوق رؤوس الموجودين . وبعد أن قرأ الملك الورقة وضعها في جيبه وقال :

— مسكين يا وليامز ! ان قوة سمعه حادة رغم عاهته .. انه يطلب منى أن أدعو كل شخص للاشتراك في الجنازة ، ويريد منى أن أرحب بالجميع .. مسكين ، انه لا يدري إن هذا هو ما أقوله الآن! ...

ومرة أخرى استأنف « الملك » حديثه الذى كانت تتخلله كلمة الترانيم الجنائزية بين الحين والحين ، مثلما كان يفعل من قبل .. وعند ما ردد كلمة « الترانيم » لثالث مرة قال :

— اننى أقول : « ترانيم » لا لأنها الكلمة الشائعة ، فهى ليست كذلك ، وإنما الكلمة الشائعة هى كلمة « طقوس » .. ولكن « ترانيم » هى الكلمة الصحيحة ، فان كلمة « طقوس » لم تعد تستعمل فى إنجلترا الآن .. لقد اختفت .. ونحن فى إنجلترا نقول « ترانيم » لأنها أفضل ، فهى كلمة مستمدة من أصل نصفه يونانى ، ونصفه الآخر عبرى .. ومعناها « خارجى أو عام » .. ومعنى ذلك أن الترانيم الجنائزية تستدعى إقامة جنازة ، مكسوفة ... أو عامة !!

وفى تلك اللحظة ، ضحك الرجل ذو الوجه العريض فى وجه الملك .. فصعق الجميع وقال كل واحد منهم :

— ما هذا يا دكتور ؟ .. ألا تعرفه يا « روبنسون » .. انه « هارفى ويلكس » .

وابتسم « الملك » بلهفة ، وأبعد المنديل عن عينيه وقال :

— هل انت الدكتور الصديق الحميم لأخى المسكين ؟ اننى ...  
فقال الدكتور : ابعد يدك عنى .. انك تتحدث كرجل انجليزى ..  
.. اليس كذلك ؟ انك تقلد الرجل الانجليزى أسوأ تقليد .. هل  
انت شقيق بيتر ويلكس ؟ انك دعى محتال !

وصمت الجميع ، وكان على رؤوسهم الطير ، ثم تجمعوا حول  
الدكتور ، وحاولوا تهدئته ، كما حاولوا أن يشرحوا له الموقف  
ويخبروه كيف أن « هارفى » أثبت شخصيته بأكثر من اربعين  
دليلا ، وانه كان يعرف كل شخص باسمه .. وراحوا يتوسلون  
اليه ويمعنون فى النوسل ألا يسىء الى شعور « هارفى » والفتيات  
المسكينات ، ولكن بدون جدوى ، فقد راح الدكتور يرغى ويزبد  
قائلا : « ان اى شخص يدعى أنه انجليزى ولا يستطيع أن يقلد  
اللهجة الانجليزية خيرا مما يقلدها هذا الرجل ، لهو دعى كاذب » .  
والتفت الفتيات المسكينات حول « الملك » وهن يبكين ، وفجأة  
التفت الدكتور اليهن وقال :

— لقد كنت صديقا لأبيكن ... وانا صديق لكن ...  
اناشدكن كصديق ، وصديق مخلص يريد حمايتكن وابعاد الضرر  
والمتعاب عنكن ، أن تولين ظهوركن لهذا الوغد .. وألا تتعاملن  
معه ، فانه محتال جاهل رغم ما يدعيه من المام سخيف بالفتين  
اليونانية والعبرية ! .. انه أجهل دعى رأيته .. لقد جاء الى هنا  
وهو مزود بعدد من الأسماء والحقائق التى التقطها من مكان ما ،  
فجعلكن تتوهمن أنه عالم بالحقائق ، وساعدته على التفرير  
بكن .. اصغى الى يا مارى جان ويلكس ، انك تعلمين اننى  
صديقك ، وصديقك غير الأنانى أيضا ، فأرجوك أن تطردى هذا  
الوغد الشرير .. أتوسل اليك أن تفعل ذلك .. فهل أنت فاعلته ؟  
فشدت « مارى جان » فامتها ! .. والحق انها كانت جميلة  
جدا ، ثم قالت :

– اليك جوابى .

ثم رفعت حقيبة النقود ووضعتها بين يدى « الملك » قائلة :  
– خذ هذه الآلاف الستة من الدولارات واستثمرها نيابة عنى  
وعن أختى فى أى مشروع تشاء ، ولا تعطنا ايصالا عنها !!  
ثم أحاطت عنق « الملك » بذراعها من جانب ، بينما أحاطته  
« سوزان » وأختها الأخرى بذراعيهما من الجانب الآخر . وعندئذ  
صفق الحاضرون ، وأخذوا يدقون الأرض بأقدامهم ، محدثين  
عاصفة من الضوضاء ، بينما رفع « الملك » رأسه وهو يبتسم  
بكبرياء !

وأخيرا قال الدكتور : حسنا . . اننى أنفض يدى من هذا  
الموضوع ، ولكنى أحذركم جميعا من انه سيأتى وقت تتسعون  
فيه بالأسف كلما طافت برءوسكم ذكرى هذا اليوم !!  
ثم انصرف .

فقال « الملك » ساخرا : حسنا يا دكتور . . سنحاول ان  
نجعلهم يرسلون فى طلبك !!  
وضحك الجميع . . وقالوا انها « نكتة » مدهشة وفى الصميم !:

## الفصل السادس والعشرون

الملك المزيف - كهنسة الملك -  
الصفوح - الاختباء في الغرفة -  
( هاك ) يستولى على النقود .

---

عند ما انصرف الجميع ، سأل « الملك » « ماري جان » عما اذا كانت بالمنزل غرف اضافية ، فقالت ان بالمنزل غرفة اضافية واحدة تصلح للعم « وليام » ، وانها ستتنازل عن غرفتها للعم « هارفي » - الملك ! - لأن هذه الغرفة اكبر قليلا من الغرفة الاضافية . وقالت انها ستنام على فراش صغير في غرفة اختيها . . . ثم قالت ان هناك غرفة فوق سطح المنزل بها فراش من القش ، فقال « الملك » : اذن تخصص هذه الغرفة « لخدمى » . . وكان يعينى أنا طبعا ! !

وتقدمتنا « ماري جان » ، فقادت المحتالين الى غرفتيهما . . وكانت الغرفتان بسيطتى الأثاث ولكنهما كانتا أنيقتين ' . . . وكانت الغرفتين بسيطتى الأثاث ولكنهما كانتا أنيقتين ! . . . اذا كان وجودها يضايق عمها « هارفي » ، ولكن « الملك » قال انه لا ضرورة لذلك ! ! . . كانت في الحجرة بضعة معاطف على الجدار

خلف ستارة من القماش الأبيض . . . وحقيبة عتيقة موضوعة في أحد الأركان . . . وعلبة قيثارة في الركن الآخر . . . بينما انتشرت أشياء أخرى في شتى أنحاء الغرفة كما هي الحال دائماً في غرف الفتيات ! وأعرب « الملك » عن إعجابه بالغرفة ومحتوياتها ، وقال انه لا يريد نقل أى شيء من مكانه فيها ! أما غرفة « الدوق » ، فقد كانت صغيرة ولطيفة . . . كذلك كانت غرفتي فوق السطح لا بأس بها !

وفي تلك الليلة ، أقيمت وليمة عشاء كبرى حضرها جمع كبير من الرجال والنساء . ووقفت خلف مقعدى « الملك » و « الدوق » لأقوم على خدمتهما ، بينما تولى الزوج خدمة الباقين . وكان « مارى جان » تجلس عند رأس المائدة ، وبجوارها « سوزان » . وقالت « مارى » أثناء الطعام انها تأسف لأن « الخبز » ردىء . والطعام المحفوظ سيئ ، ولحم الدجاج نىء ! قالت ذلك وهى تعلم أن الحاضرين جميعاً كانوا يعلمون ان كل شيء على المائدة ممتاز فى نوعه ، فقالوا لها « ان الطعام شهى جداً . . . كيف تصنعين هذا الخبز اللذيذ ؟ . . . ومن أين اشتريت هذا النوع اللذيذ من « المخلل » ؟ » . ومضوا بشون عليها ويمطرونها بعبارات المجاملة التى يوجهها المدعوون الى مضيفتهم فى أمثال هذه الولايم !

وعندما فرغ الجميع من تناول الطعام ، ذهبت الى المطبخ وتناولت عشاءى مع الأخت الصغرى ذات الشفة نامية الشعر ، بينما كانت الأختان الأخريان تساعدان الزوج على تنظيف المائدة . وراحت الفتاة ذات الشفة نامية الشعر تستدرجنى للحديث عن انجلترا ، فشعرت بأن امرى يوشك ان ينكشف !  
قالت : هل رأيت « الملك » ؟

— أى ملك ؟ هنرى الرابع ؟ نعم رأيته . . . انه يتردد على كنيسةنا .

وتذكرت بعد ذلك أن « هنرى الرابع » مات منذ أعوام كثيرة ،  
ولكنى لم أشأ أن أراجع !  
قالت الفتاة :

- ماذا ؟ هل يذهب الملك الى كنيسةكم بانتظام ؟
- نعم . . . بانتظام . . . ان مقعده على عيى المذبح .
- كنت أظن انه يقيم فى لندن ؟
- هذا حق . . . والا فأين تظنينه يقيم ؟
- ولكنكم تقيمون فى « شيفلد » . . . أليس كذلك ؟
- وأدركت اننى « تورطت » ، فأسرعت أتظاهر بأن قطعة من عظم  
الدجاج قد تسربت الى حلقى ، ورحت أسعل كسبا للوقت ، ريشما  
أفكر فى مخرج من هذا المأزق .
- ثم قلت : أعنى أنه يذهب الى كنيسةنا بانتظام كلما جاء الى  
« شيفلد » . وهذا أمر لا يحدث الا فى الصيف عند ما يجىء الى  
« شيفلد » للاستمتاع بالحمامات البحرية .
- ماهذا الذى تقوله ؟ . . ان « شيفلد » ليست على البحر .
- ومن قال انها على البحر ؟
- أنت .
- أنا لم أقل ذلك .
- بل قلت .
- لا . . لم أقله .
- نعم . . . قلت .
- لم أقل شيئاً من هذا القليل .
- اذن . . . ماذا قلت ؟
- قلت ، انه يستمتع بالحمامات البحرية . . . هذا ما قلت .
- وكيف يمكنه أن يستمتع بحمامات بحرية فى مكان لبس به  
بحر ؟ . . .



- هل سبق لك أن رأيت « ماء الكونجرس » ؟
- نعم . . .
- هل يتحتم عليك الذهاب الى الكونجرس للحصول على مائه ؟
- لا . . . بالطبع .
- وبالمثل ليس الملك « وليام الرابع » مضطرا للذهاب الى البحر ليأخذ حمامات بحر !!
- اذن كيف يحصل عليها ؟
- يحصل عليها بالطريقة التى يحصل الناس بها على « ماء الكونجرس » . . . فى براميل !! . . . ولما كان قصر الملك فى « شيفلد » لا يخلو من مواقد كثيرة ، على حين لا توجد مواقد بالقرب من البحر ، فان الملك يذهب الى « شيفلد » حيث يستمتع بحمامات الماء الدافئ! . . .
- آه . . . فهمت . كان ينبغي أن تقول ذلك من بادىء الأمر حتى لا نضيع وقتا كثيرا .
- وعند ما قالت الفتاة ذلك ، أدركت اننى نجوت ، وشعرت بالراحة والسرور .
- ثم قالت الفتاة :
- هل تتردد على الكنيسة بانتظام ؟
- نعم ، بانتظام . .
- وأين تجلس ؟
- فى صالة الكنيسة ،
- أية صالة بالكنيسة ؟
- صالتنا . . . صالة عمك « هارفى » .
- صالته . . . ولماذا تخصص له صالة ؟
- ليجلس فيها .

– ليجلس فيها ؟ ! .. لقد كنت أظن أنه يؤدي شعائره الدينية في الهيكل !

واسقط في يدي ، فقد نسيت أنه واعظ ... وأدركت أنني وقعت في « ورطة » جديدة ، فرحت أفكر سريعا ، ثم قلت :

– وهل تظنين أنه لا يوجد غير واعظ واحد بالكنيسة هناك ؟

– ولماذا يحتاجون الى أكثر من واعظ واحد ؟

– ماذا تقولين ؟ ... واعظ واحد أمام الملك ؟ ! ... الحق أنني

لم أر فتاة ساذجة متلك ... ان عدد الوعاظ هناك سبعة عشر !

– سبعة عشر ؟ يا الهى ... اننى لا أصدق ما تقول ! .. ان

الاستماع الى عظات سبعة عشر واعظا يستغرق أسبوعا !!

– هذا سخف ... انهم لا يلقون عظاتهم في يوم واحد ...

وانما يتكلم واحد منهم فقط !

– وماذا يفعل الباقيون اذن ؟

– لا شيء ... انهم يحضرون الصلاة ، ويتسكعون هنا وهناك .

... ليس لهم عمل خاص !

– اذن ، لماذا يحتفظون بهم ؟

– ان هذا هو النظام المتبع ! .. ألا تعرفين ذلك ؟

– اننى لا أريد أن أعرف .

ثم قالت : قل لى ... كيف يعاملون الخدم في انجلترا ؟ ...

هل يعاملونهم خيرا مما تعامل الزنوج ؟

– لا ... فالخدام هناك لا قيمة له !! ... انهم يعاملون الخدم

كما يعاملون الكلاب !

– ألا يمتحنونهم عطلات أسبوعية كما نفعل نحن هنا في مناسبات

عيد الميلاد ورأس السنة الجديدة واليوم الرابع من يوليو ؟

– أوه ... اصغى الى ... ان سؤالك هذا يدل على أنك لم

تزدري انجلترا أبدا ! ... اننى يا « جوانا » لم أحصل على عطلة

منذ عام ... لم اذهب يوما للسيرك أو المِرح أو استعراضات  
الزئوج أو أى مكان آخر من الأماكن !

— ولا الكنيسة ؟

— ولا الكنيسة ...

— ألا تذهب للكنيسة ؟

وعندئذ أدركت أننى « تورطت » مرة أخرى ! ... فقد نسييت  
أننى خادم « الواعظ » الكهل ! ... ولكننى سرعان ما شرحت لها  
كيف يختلف خادم خصوصى مثلنى عن الخادم العادى ... فالأول  
مضطر للذهاب الى الكنيسة سواء أراد ذلك أم لم يرد ، وهو  
مضطر الى الجلوس مع الأسرة التى يخدمها ، بحكم القانون !

ولكن يبدو أننى فشلت فى اقناعها ... فقد قالت :

— أيها الخادم الأمين ... ألم تسرف فى الكذب على ؟

— كلا ...

— ألم تنطق ولو بكذوبة واحدة ؟

— كلا ، مطلقا ... لم ينطق لسانى بكذوبة !

— اذن ضع يدك فوق هذا الكتاب ... واقسم على ذلك !

— وأدركت أن الكتاب لم يكن الا معجما لغويا ، فوضعت يدي  
فوقه وقلت اننى لم أكذب ؛ فارتاحت نفسها بعض الشيء ثم  
قالت :

— سأصدق بعض ما قلت ولو اننى لا أصدق البعض الآخر .

وفجأة انطلق صوت يقول :

— ما الذى لا تصدقينه يا « جوانا » ؟

كانت المتكلمة « ماري جان » ، فقد دخلت الغرفة فى تلك اللحظة ،  
وسوزان فى اثرها ... ثم قالت ماري : « أليس من الأدب فى شئء  
أن تحدثيه على هذا النحو وأنت تعلمين انه غريب بعيد عن  
أسرته ... هل يعجبك أن يعاملك أحد على هذا النحو ؟

فقال « جوانا » :

— تلك هى طريقتك دائماً يا « ماري » .. تهرعين دائماً لمساعدة من يصيبه أذى ! ... ولكنى لم أصبه بأذى ! ... لقد كان يذكر لى معلومات خيالية فقلت له اننى لا أهضمها ... وهذا هو كل ما فلتسه له . وأكبر ظنى انه يستطيع احتمال قول هين يسير كهذا ... أليس كذلك ؟

فقال ماري :

— لا يعينى أن يكون القول هينا أو صارماً ... فكل ما يعينى هو انه غريب فى منزلنا ، ولهذا ، لم يكن من اللائق ان تقولى له ما يسيئه ... لو اننى كنت فى مكانه لشعرت بالحجل ... ولهذا يجدر بك الا تقولى لأى شخص ما يجعله يشعر بالحجل .

— لقد قال لى يا « ماري » ...

— ليس لما قاله أية أهمية ... ليس هذا بيت القصيد ... انما المهم هو أن تعامله بعطف ، فلا تقولى له أشياء تذكره بأنه ليس فى بلده بين أهله وعشيرته .

وعندئذ شعرت بتأنيب الضمير لاننى سمحت للمحتالين الشريرين بأن يجرذا مثل هذه الفتاة الطيبة من مالها .

وأقبلت « سوزان » وهى تكاد ترقص فى منديتها ، فقلت لنفسى : « هاهى فتاة أخرى سمحت للمحتالين بسرقة نقودها » .

وتدخلت « ماري جان » فى الحديث مرة أخرى بطريقتها الرقيقة الجذابة ... وعند ما فرغت من ذكر ما فى جعبتها ، لم تدع لذات الشفة المغطاة بالشعر ماتقوله ، فصاحت بها « ماري » و « سوزان » :

— اطلبى منه الصفح يا « جوانا » !

فطلبت « جوانا » منى الصفح بطريقة نبيلة ، وبصوت أطربنى حتى لقد تمثيت لو كان فى استطاعتى ان أقول لها ألف أكذوبة لكى اسمع صوتها الحنون مرة أخرى !!

وبدأت الفتيات الثلاث تحاولن اشعارى بأننى بين أهلى وعشيرتى، حتى لقد شعرت بأننى وضيع ونذل ، فقررت ان أفعل شيئا من أجلهن ... قررت أن أبذل كل ما وسعنى من جهد لمساعدتهن على استرداد المال المسروق ...

ثم انصرفت لأوى الى فراشى ... وعند ما اختليت بنفسى ، رحت أفكر فى الموقف مليا ، وأخذت أتساءل : هل أقابل ذلك الطبيب الذى ارتاب فى أمر هذين المحتالين ، وأفصح أمرهما ؟ .. ثم عدلت عن هذا الراى خشية أن يعترف الطبيب بأننى أفضيت له بالسر ، فينتقم منى « الملك » و « الدوق » ! ثم تساءلت :

هل أخبر « مارى جان » بالحقيقة سرا ؟ ... ومرة أخرى عدلت عن ذلك خشية ان تفصح قسمات وجهها البريئة حقيقة ما حدث ، فيهرب المحتالان خلسة حاملين معهما المال ! كذلك خشيت ان تطلب الفتاة النجدة ، فأصبح متهما مثل هذين المحتالين ! وأخيرا أدركت انه لا توجد سوى طريقة واحدة هى أن « أسرق » النقود من المحتالين بطريقة لا تثير الريبة ، ثم أرد هذه النقود للفتيات المسكينات ! ..

ولما كنت أعلم ان المحتالين لم ينتهيا بعد من تمثيل دورهما وانهما لن يبادرا بالفرار قبل ان يستنزفا كل ما يستطيعان استنزافه من الأسرة والمدينة كلها ، أيقنت أنه لا تزال أمامى فسحة من الوقت للتفكير والعمل فى هدوء ...

ورسمت الخطة ... قررت أن « أسرق النقود وأخفيها فى مكان أمين ... وبعد أن نرحل ، أبعث الى « مارى جان » برسالة أذكر لها فيها المكان الذى أخفيت النقود فيه . ولكنى قررت فى الوقت ذاته ، أن أسرق النقود فى تلك الليلة بالذات ، خشية أن يبادر المحتالان بالفرار بعد أن كاد الطبيب يفضحهما . وقررت أن أذهب الى غرفتيهما وأفتشهما ، وكانت ردهة الطابق العلوى مظلمة ،

ولكنى استطلعت العثور على غرفة « الدوق » ، فأخذت أتخسّس أرجاءها بيدي ، رجحت أن « الملك » لم يسمح لأحد غيره بحراسة تلك النقود ، فذهبت الى غرفته ، وبدأت أتخسّس أرجاءها بيدي؛ وسرعان ما تبين لى أننى لن أستطيع أن أفعل شيئاً بدون شمعة ، ولم يكن فى استطاعتى أن أفعل ذلك بالطبع ، فأيقنت أن سبيلى الوحيد هو أن أختبئ فى الغرفة وأسترق السمع لما يقوله الرجلان . وفى تلك اللحظة ، سمعت وقع أقدامهما تقترب من الغرفة ، فأسرعت أحاول الاختباء تحت « السرير » ، وتقدمت نحو شئ اعتقدت انه « السرير » فاذا بى بجوار « الستارة » التى تغطى معاطف مارى جان ، فاخبتأت خلفها بين المعاطف وجمدت فى مكانى كالتمثال .

ودخل الرجلان الغرفة ، ثم أغلقا الباب خلفهما . وكان أول ما فعله « الدوق » هو أن ركع فوق ركبتيه وتطلع تحت « السرير » . . . . . وعندئذ أحسست بالسرير لأننى لم أعثر على السرير عند ما كنت أبحث عنه ، مع انه كان من الطبيعى أن أحاول الاختباء تحته . . . . .

وجلس الرجلان ؛ ثم قال الملك :

— حسنا ، ماذا هناك ؟ أوجز ، لأنه من الأفضل أن نكون هناك ونرحل قبل طلوع النهار ، فهذا خير لنا من أن نبقى هنا ونتيح لهم فرصة الكشف عن حقيقتنا .

— الواقع أننى أشعر بقلق شديد بعد الزوبعة العاصفة التى أثارها الطبيب . . . . . أريد أن أعرف خططك ، فان فكرة ، أظن انها معقولة ، تطوف بذهنى .

— فيم تفكر يا « دوق » ؟

— من الأفضل أن نبادر بالرحيل قبل الساعة الثالثة صباحا ، على أن نبحر مباشرة مكتفين بالغنيمة التى حصلنا عليها ، وخاصة

اننا حصلنا عليها بسهولة . . . فهذه الغنيمة قد هبطت علينا من السماء كما يقول المثل ؛ مع أننا كنا نعتزم سرقتها في بادئ الأمر . . . اننى أفضل الرحيل بلا ابطاء .

وشعرت بقلبي يفوض بين جنبى . لقد أصبح الموقف مختلفا عما كان عليه قبل ساعة أو اثنتين . . . ولهذا شعرت بخيبة أمل مريرة . . .

تم قال « الملك » :

— ماذا تقول؟ أترحل قبل أن نبيع باقى الأملاك؟ انرحل كجماعة من الحمقى ونترك ممتلكات قيمتها ثمانية أو تسعة آلاف دولار؟ . . . انها كلها أملاك قابلة للبيع !

وتذمر « الدوق » وقال ان حقيبة الذهب تكفى ، وانه لا يريد أكثر من ذلك ، كما انه لا يريد أن يسرق كل شىء من ثلاث فتيات يتييمات !!

فقال « الملك » : كيف تقول ذلك ؟ اننا لم نسرق منهم شىئا غير النقود . أما الأملاك ، فان الذين يشترونها لن يلبثوا أن يتبينوا اننا لا نملكها . . . وسيعلمون ذلك بعد رحيلنا بفترة قصيرة ، ومن ثم لن يكون البيع قانونيا ، وعندئذ تصبح الأملاك ملكا للدولة . أما الفتيات اليتيمات فسيسترجعن منزلهن ، وفي هذا الكفاية بالنسبة لهن ! انهن جميلات وصغيرات ، وفي استطاعتهن أن يلتحقن بأى عمل يعشن منه . انهن لن يتعذبن . . . فكر فى الأمر مليا ، فهناك آلاف وآلاف ليسسوا فى موقف حسن كهذا . . . هون عليك يا صديقى فليس هناك ما يدعو الى تدميرهن .

وهكذا استطاع « الملك » التأثير على « الدوق » حتى أقنعه بوجهة نظره . ولكن « الدوق » قال انه يعتقد — مع ذلك — ان البقاء فى المدينة أمر محفوف بالمخاطر وخاصة بعد أن ارتاب « الطبيب » فيهما ، ولكن « الملك » قال :

— لعنة الله على هذا الطبيب . . . ماذا يهمننا منه ؟ ألم ننجح في ضم جميع الحمقى في هذه المدينة الى جانبنا ؟ اليس هؤلاء هم غالبية أهل المدينة ؟

وهكذا تهيأ الاثنان للنزول الى الطابق الأرضي ثانية ، فقال « الدوق » : لا أظن أننا وضعنا النقود في مكان آمن .

وشعرت بالغبطة . . . فقد خيل لى أنهما لن يلبتا أن يذكر اسم المكان الذى وضعنا النقود فيه . قال « الملك » : ولماذا ؟

— لأن « مارى جان » سوف ترتدى ثياب الحداد في هذه الغرفة ، وعندئذ سوف تأمر الزنجى الذى يرتب الغرفة بوضع النقود في مكان آخر . . . وأنت تعلم انه ما من زنجى يعثر على نقود الا و « يقترض » بعضها !

فقال « الملك » : يبدو لى ان عبقرتك بدأت تظهر من جديد !!

وراح يتحسس وراء الستار على مبعدة قدمين أو ثلاثة من مكاني ، فالتصقت بالجدار ، وحبست أنفاسى وتولتني رعشة قوية ، وبدأت أتساءل عما سيفعله الرجلان بى اذا اكتشفا وجودى ! وأخذت أفكر فيما أقوله لهما اذا ضبطانى ، ولكن « الملك » عنر على الحقيقة قبل أن يفتح الله على بفكرة سديدة ، ولهذا لم يشك أحد في وجودى . . . ونقل الاثنان الحقيقة ووضعاهما في قلب كومة القش أسفل حشية السرير ، وقالوا ان لا خطر عليها هناك لأن الزنجى يرتب السرير دون أن يرفع الحشية اللهم الا مرة أو اثنتين كل عام ، ومن ثم فلا خوف على الحقيقة .

أما أنا ، فكنت أخالفهما في هذا الرأى ؛ اذ ما أن هبطا نصف الدرج حتى كنت قد استوليت على الحقيقة بمحتوياتها ، وأسمرت بالصعود الى غرفتى ، وأخفيت الحقيقة فيها ريثما تتاح لى فرصة لاختفائها في مكان آخر . . . فقد قررت نقلها الى مكان آخر خارج



المنزل ، حتى لا يعثر عليها هذان المحتالان اللذان سوف يُقلبان  
المنزل كله رأساً على عقب حينما يتبين لهما ضباغ الحقيقة ! ثم آوينا  
الى الفراش ، ولكنى لم أستطع النوم ، لأننى كنت شديد اللهفة  
على الانتهاء مما أقدمت عليه . وبعد قليل سمعت « الملك »  
و « الدوق » يصعدان الدرج مرة أخرى ، فهبطت من فوق الفراش  
وانبطحت على الأرض ورحت أنصت إليهما ، ولكنهما لم يقولا  
شيئاً !

وظللت منبطحة على الأرض فترة طويلة جداً بعدها كل صوت  
فى المنزل ، فهبطت الدرج حاملاً الحقيقة المحشوة بالنقود الذهبية !

## الفصل السابع والعشرون

الجنّازة - حفّار القبور - ارضاء  
الفضول - بيع سريع وأرباح ضئيلة !

---

رحفت الى بابى غرفتيهما وأصخت السمع ، فاذا بشخيرهما يرتفع من الداخل . ومضيت أسير فوق أطراف أصابعى ، ونزلت الى الطابق الأرضى فبلغته بسلام . . . وكان السكون تاما . واختلست النظر من شق فى باب غرفة المائدة ، فرأيت الرجال الذين يراقبون الجثة وقد استغرقوا فى نوم عميق وهم جلوس فوق المقاعد . وكان باب الغرفة المطل على غرفة الجلوس التى كانت الجثة بها مفتوحا . وكانت هناك شمعة مضاءة فى كل من الغرفتين فمررت بهما . وكان باب غرفة الجلوس مفتوحا ولم أجد بها أحدا غير جثة « بيتر » ، فمررت بها أيضا . ولكن باب المنزل الخارجى كان مغلقا ولم يكن المفتاح موجودا فى القفل ، وفى تلك اللحظة سمعت وقع أقدام تهبط الدرج خلفى ، فركضت فى غرفة الجلوس والقيت نظرة سريعة حولى ، ولم أجد مكانا يصلح لاختفاء الحقيبة فيه غير التابوت . وكان غطاء التابوت مرفوعا قليلا من المقدمة لاطهار وجه الميت ، وقد وضعت فوقه قطعة مبللة من القماش ؛ فادخلت حقيبة النقود من تحت غطاء التابوت ودفعتها الى المكان

الذى عقدت عنده ذراعا الميت . . . وعندئذ سرت فى جسمى رعدة قوية . . . فغادرت الغرفة على الفور واختفيت خلف الباب . كان القادم هو « مارى جان » ! وتقدمت الفناء من التابوت بهدوء شديد ، وركعت أمامه ، ثم تطلعت إليه ، ورفعت منديلها الى عينيه ، وبدأت تبكى . وانتهزت هذه الفرصة فتسللت من مخبأى . وبينما كنت اعبر غرفة المائدة ، تراءى لى ان استوثق من ان احدا من مراقبى الجثة لم يرنى ، فتطلعت من خلال الشق ، فاذا بكل شىء على ما يرام ، فقد كان الجميع نياما .

وتسللت الى غرفتى ، وآويت الى فراشى وانا أشد ما أكون ضيقا بسبب التحول العجيب الذى طرأ على الموقف بعد المتاعب التى كابدها والمخاطر التى تعرضت لها . . . وقلت لنفسى انه اذا بقيت الحقيبة حيث هى ، فلا بأس ، ففى استطاعتى أن أبعث برسالة الى « مارى جان » بعد أن تقطع مائة أو مائتى ميل فى النهر ، فتبادر باخراج الحقيبة وتحصل على النقود ! ثم قلت لنفسى ان هذا لن يحدث ؛ فسوف ينكشف سر الحقيبة أثناء تثبيت غطاء الصندوق توطئة لدق المسامير فيه . وعندئذ يسترد « الملك » الحقيبة ، ويتخذ من ضروب الحيلة ، هذه المرة ، ما يحول دون ضياعها منه ثانية . . . وكنت أتمنى أن أنسل الى الطابق الأسفل نائية لاخراج الحقيبة من التابوت ، ولكنى لم أحاول ذلك . . . وبدأت الدقائق تمر سراعاً والفجر يقترب . . . وخشيت أن يسنيقظ الحراس ويضبطونى حاملا ستة آلاف دولار لم يطلب أحد منى حراستها ، فقلت لنفسى : كلا . . . لست أريد أن أتورط فى أمر كهذا !!

وعند ما هبطت الى الطابق الأسفل فى صباح اليوم التالى كانت غرفة الجلوس مغلقة ، وكان المراقبون قد غادروا الحجرة . . . ولم يكن هناك أحد سوى أفراد الأسرة والأرملة « بارتلى » و « الملك »

و « الدوق » . وتاملت وجهى الملك والدوق لأرى ان كانا قد اكتشفا ضياع الحقيبة ، ولكنى لم استطع ان أثبتن جليلة الأمر .  
وحوالى الظهر ، أقبل حفار القبور ومساعدته ، فوضعا التابوت فوق مقعدين فى منتصف الغرفة ، تم نظما المقاعد فى صفوف واستعارا بعض المقاعد من الجيران فامتلات غرفة الجلوس والردهة بصفوف من المقاعد . ورأيت غطاء التابوت فى الوضع ذاته الذى كان عليه فى الليلة السابقة ، ولكنى لم أحاول النظر داخل التابوت ! وبدأ الناس يغدون ، وجلست الفتيات وارتابهن فى الصف الأول عند رأس التابوت . وكانوا جميعا يتطلعون الى وجه الميت، ويذرف بعضهم دموعا ، ثم يصمتون . . . كان المكان ساكنا يخيم عليه حزن عميق . . . وكانت الفتيات وارتابهن تضعن مناديلهن فوق عيونهن ويخفضن رؤوسهن ثم يبكين ، ولم يكن يسمع سوى صوت احتكاك الأقدام بالأرض وافرغ الأنوف ! . . . فالناس يفرغون أنوفهم فى الجنازات أكثر مما يفرغونها فى أى مكان آخر باستثناء الكنيسة !!

وعندما امتلا المكان ، دار حفار القبور حول التابوت وهو يرتدى قفازه الأسود ويهيم الحاضرين وكل شئ للحظات الأخيرة . . . كان يؤدي عمله بسرعة وخفة عجيبتين ، فيفسح الطريق لمن حضروا متأخرين ويومئ اليهم برأسه أو يشير اليهم بيديه ليجلسوا . والحق اننى لم أر رجلا يؤدي عمله يمثل هذه السهولة والبساطة ! وكانت الأسرة قد استعارت أرغنا عتيقا . وعندما أعد كل شئ ، جلست شابة أمام الأرغن وراحت تعزف عليه ، فارتفع صوت أشبه بالصرير ؛ واشترك الحاضرون جميعا فى الإنشاد ، فارتفع الضجيج والصخب . . . وعندئذ خيل لى ان « بيتر » الميت هو الشخص الوحيد الذى كان ينعم بالهدوء !  
كانت مراسيم الجنازة طويلة ومملة . وعندما انتهت ، نهض

« الملك » وألقى كلمة من كلماته السخيفة المعتادة . وأخيرا انتهى كل شيء ، وبدأ حفار القبور يدور حول التابوت وهو يحمل « المفك » . وعندئذ أحسست بالعرق يبللنى ورحت أراقب الرجل بلهفة ، فرأيتة يشبث الغطاء فى مكانه بالمسامير بسهولة وبسرعة وبدون أن يحرك الجثة من مكانها ! .

وهكذا انتهى الأمر ، ولكنى لم أكن متأكدا من أن النقود مازالت فى التابوت وقلت لنفسى : أكبر الظن أن شخصا ما قد سرق الحقيقة خفية . وتساءلت : كيف يمكننى أن أعرف ذلك ؟ هل أكتب لمارى جان أم لا ؟ ولنفرض انها نبشت التابوت بعد دفن أبيها ولم تعثر على شيء ، فماذا يكون رأيها فى ؟ اليس من المحتمل أن يطاردونى وأن يزجوا بى فى السجن ؟ ومن تم قررت أن ألوذ بالصمت ، والا أكتب الى الفتاة . . فقد كان الموقف غامضا . . . وخيل لى اننى أخطأت حينما وضعت النقود فى التابوت . . وتمنيت لو اننى تركت الأمور تجرى فى أعنتها !

وواروه التراب ، ثم عدنا الى المنزل ، واستأنفت مراقبة الوجوه . . فقد كنت خائفا وقلقا ، ولم يكن فى وسعنى أن أكف عن مراقبة الناس وخاصة « الملك » و « الدوق » . . ولكن المراقبة لم تسفر عن شيء لأن الوجوه لم تحدثنى بشيء .

وزار « الملك » معظم سكان المدينة فى المساء ، وتلطف فى الحديث مع الجميع ، وتودد اليهم ، ثم قال ان المترددين على كنيسته فى انجلترا يتلهفون الآن على عودته ؛ ومن تم فانه مضطر الى بيع الأرض التى خلفها أخوه والاسراع بالعودة الى انجلترا . وأعرب « الملك » عن عميق أسفه لاضطراره الى هذه العجلة ، وشاطره الجميع أسفه ، قائلين انهم كانوا يتمنون لو أنه استطاع اطالة اقامته بينهم ، وان كانوا يعلمون أن ذلك أمر عسير . وقال « الملك » انه و « وليام » سيأخذان الفتيات الثلاث معهما الى

انجلترا ، فسر الجميع أيما سرور لأن مثل هذا القبول كشف عن رغبة قوية في رعاية الفتيات . وشعرت الفتيات أنفسهن بسرور طاع ، حتى لقد بدت عليهن علامات السعادة ، ونسين ما مر بهن من عسر ومتاعب في حياتهن . ومن ثم طالبن « الملك » بالأسراع في البيع والرحيل . . والحق أن ما رأيته من فرحة هؤلاء الفتيات وسعادتتهن جعلني أشعر بكثير من الحزن والأسف لوقوعهن في حبال هذا المحتال الخطير ، ولكنى لم أستطع أن أفعل شيئاً !! . ولم يضع « الملك » وقتاً ، فقرر عقد مزاد لبيع المنزل والزواج وكل شيء على أن يتم البيع بعد يومين وأن كان في استطاعة أى شخص أن يشتري ما يشاء مما سيبيع في المزاد قبل عقده .

وهكذا ، ما أن تم تشييع الجنازة ظهر اليوم التالى حتى بدا الفرح على الفتيات ، وفي هذا اليوم جاء تاجران من تجار الرقيق ، فباع « الملك » لهما الزوج بسعر معتدل ! وهكذا نقل الابن الزوجيان الى بلد بينما نقلت الأم الى بلد آخر . . وكان منظر وداع الفتيات لخدمهن الزوج أليماً حقاً ، حتى لقد خيل الى أن قلوبهن تكاد تنفطر من الحزن . . فقد قالت الفتيات انهن لم يكن يتصورن أبداً أن يأتى يوم تتفرق فيه الأسرة وتباع فيه زوجتها بعيداً عن المدينة . ومنذ ذلك اليوم ، وأنا لا أستطيع أن أنسى منظر الفتيات المسكينات وقد تشبث بهن الزوج في يأس . وما كنت لأستطيع أن أتحمل وقع هذا المنظر على نفسى ، وما كنت لأتزدد في كشف النقاب عن المحتالين ، لولا علمى بأن الاتفاق كان قد تم على أن يدفع تاجر الرقيق ثمن الزوج مؤجلاً ، وأنه من المحقق أن الزوج سوف يعودون الى الأسرة بعد أسبوع أو اثنين ! ولقد أحدث بيع الزوج ضجة في المدينة ، وأقبل الكثيرون ليقولوا ان من العار فصل الزوجين عن أمهما بهذه الطريقة . وتظاهر المحتالان بأنهما متألان . . وراح « الملك » ينفذ خطته

رغم اعتراض « الدوق » الذى كان بادى الاضطراب .  
وفى صباح اليوم التالى - المخصص لعقد المزاد - صعد  
« الملك » و « الدوق » الى غرفتى وايقظانى . وما كادت عينى  
تقعان على وجهيهما حتى أدركت ان فى الأمر شيئاً .

قال « الملك » : هل كنت فى غرفتى ليلة أول أمس ؟  
فقلت : لا يا صاحب الجلالة .

- وهل كنت بها أمس او الليلة الماضية ؟  
- لا يا صاحب الجلالة .

- اقسم .. واحذر الكذب ؟

- يا صاحب الجلالة ، اقسم على اننى أقول الصدق .. اننى  
لم اقترب من غرفتيكما منذ أن رافقتكما الانسية « ماري جان »  
اليهما .

فقال « الدوق » : هل رأيت أى شخص آخر يدخلهما ؟  
- لا يا صاحب السعادة . لست أذكر اننى رأيت أحداً  
يدخلهما .

- فكر جيداً .

فتظاهرت بالتفكير ، وهنأ لاحت لى فكرة ، فقلت :

- رأيت الزنوج يدخلون الغرفتين مرات عديدة .  
واجفل الرجلان ، وبدا عليهما أنهما كانا يتوقعان سماع هذا  
الكلام منى ، فقال الدوق : ماذا تقول ؟ كلهم ؟  
- لا بالطبع .. انهم لم يدخلوهما معا .. ولكنى أذكر اننى  
رأيتهم يخرجون معا من الغرفة ذات مرة .  
- آه ، ومتى كان ذلك ؟

- يوم تشييع الجنائز .. وكان ذلك فى الصباح ، ولكن ليس  
فى ساعة مبكرة .. فقد استيقظت متأخراً فى ذلك اليوم ..  
وبينما كنت أهبط الدرج رأيتهم ..

— استمر .. استمر .. ماذا فعلوا ؟ وكيف كانوا يسلكون ؟  
— لم يفعلوا شيئاً ولم يكن سلوكهم غير عادي ، وإنما كانوا  
يمشون فوق أطراف أصابعهم مبتعدين ، وأدركت أنهم جاءوا  
ليرتبوا غرفة جلالتكم وينظفوها معتقدين أنك استيقظت من  
نومك ، ولكن تبين لهم أنك ما زلت نائماً ، فحرصوا على عدم  
إيقاظكم تجنباً للمتاعب .

فصاح « الملك » غاضباً : يا الله ، لقد ضاع كل شيء .  
وأخذوا يتبادلان النظرات في بلاهة . ثم راحا يحكان رأسيهما  
لحظة ، وسرعان ما انفجر « الدوق » ضاحكاً وقال :

— حقاً ، لقد أجاد الزوج أداء دورهم حينما تظاهروا بالحزن  
لاضطرابهم الى ترك المدينة ، حتى لقد صدقت أنهم كانوا جد  
مثالين .. حقاً انه لمن الغباء أن يظن الانسان ان الزنجم محروم  
من الذكاء .. ان الطريقة التي اتبعها هؤلاء الزوج في تحقيق  
مآربهم تنطلى على أى انسان ، وفي رأى أن هؤلاء الزوج  
يستطيعون أن يجمعوا ثروة كبيرة .. ولو كنت أملك رأس المال  
ومسرحاً لما تمكنت أكثر من أن تكون فرقتى من هؤلاء الزوج ..  
ومع ذلك فقد بعناهم بأبخس الأثمان .. ولكن ما زال في الوقت  
متسماً .. أين الكمبيالة ؟

— فى المصرف لتحصيلها .

— شكراً لله .

فقلت فى شىء من الجبن : هل حدث شىء ؟

فالتفت « الملك » الى قائلاً :

— ليس هذا من شأنك ، فامسك لسانك . وحذار أن تنسى  
هذه النصيحة طيلة اقامتك فى هذه المدينة .. هل فهمت ؟  
ثم قال للدوق : علينا أن نتقبل ما حدث ونلوذ بالصمت .



وعند ما هما بهبوط الدرج ، قهقه « الدوق » ضاحكا مرة أخرى وقال :

— بيع سريع وأرباح ضئيلة ، يا لها من صفقة مذهشة ، نعم !  
فزمجر « الملك » قائلا : لقد كنت أنشد ما فيه خيرا حينما  
قررت بيع الزوج بسرعة . . . فاذا لم نربح شيئا فلبس الذنب  
ذنبى . . . انه ذنبنا نحن الاثنين !!  
— كان من الممكن أن يبقى الزوج هنا لو انك استمعت الى  
نصيحتى .

وتراجع « الملك » الى الوراء ثم استدار الى وصب جام غضبه  
على ، فأخذ يقرعنى لأننى لم أخبره اننى رايت الزوج يخرجون  
من غرفته على أطراف أصابعهم ! . . . ثم قال انه كان بوسع اى  
أحمق ان يدرك قطعا ان فى الأمر شيئا غير عادى ! ثم انجى على  
نفسه باللائمة لأنه لم يسهر فى تلك الليلة . ثم انصرف الرجلان وهما  
يرغيان ويزبدان . أما أنا فكنت سعيدا أشد ما تكون السعادة ،  
فقد القيت عبء المسؤولية كله على الزوج وأنا أعلم ان ذلك لن  
يسئ اليهم فى الوقت الحاضر على الأقل !

## الفصل الثامن والعشرون

الرحلة الى انجلترا - (( الوغد )) - المسرحية  
الملكية - ماري جان تقرر الرحيل - (( هالك ))  
يودع ماري جان - التهاب الغدة النكفية

---

وبعد دقائق قليلة ، هبطت الى الطابق الأرضي ؛ وما كدت أصل الى غرفة الفتيات حتى وجدت بابها مفتوحا ، ورأيت «ماري جان» جالسة أمام حقيبتها القديمة المفتوحة وهي تضع ثيابها فيها استعدادا للرحيل الى انجلترا ... ثم توقفت عن العمل ووضعت الثوب الذي كانت قد طوته في حجرها ، وأسندت ذقنها الى يديها ، ثم انخرطت في البكاء . وكان هذا المنظر مؤلما حقا ، فكادت نفسى تنفطر ... وبعد ان استجمعت رباطة جأشى قلت لها :

- أعلم انك لا تطيقين ان ترى الناس غارقين في المتاعب ...  
وأنا أيضا لا أطيق ذلك ... فحدثيني عما يؤلمك يا سيدتى ...

فقالت انها حزينة من أجل الزنوج ... ثم قالت ان الرحلة الجميلة الى انجلترا قد فقدت روعتها بالنسبة اليها ، وانها لا تعلم كيف يمكن أن تشعر بالسعادة ثانية هناك وهي تعلم ان الزنجيين الصغيرين لن يريا أهمها ثانية ... وراحت تبكى ، ثم رفعت يديها في الهواء وقالت :

— أو اه ، أو اه لن يرى أحد منهم الآخر ثانية .  
فقلت : بل سيجتمع شملهما ثانية خلال أسبوعين ، فأنا أعلم ذلك ...

— يا الهى ! لقد زل لسانى ! وفجأة أحاطت الفتاة عنقى بذراعيها وطلبت منى أن أكرر ما قلت ثانية وثالثة ...  
وأيقنت انى تسرعت فى الكلام ، واننى تماديت فيه ، وبذلك أصبحت فى موقف شديد الحرج ، فطلبت اليها أن تدعنى أفكر قليلا . وظلت جالسة حيث كانت وقد بدا عليها الضيق والقلق . ومع ذلك بدت سعيدة بعض الشيء . وكانت سعادتها تلك أشبه بسعادة شخص خلع ضرسا كان يسبب له ألما شديدا !! . ورحت أفكر فى الأمر ، قائلا لنفسى ان الانسان الذى يعترف بالحقيقة حينما يجد نفسه فى مركز حرج يقدم على مجازفة كبيرة لا مهرب منها ؛ وما دمت ازاء حالة يبدو ألا مخرج منها الا بقول الحقيقة ، فمن الخير لى أن أقدم على المجازفة وقول الحقيقة رغم ما فى ذلك من خطورة . . وهكذا قررت أن أصارحها بكل شىء .

قلت لها : أخبرينى يا آنسة « مارى جان » ؛ هل هناك مكان خارج هذه المدينة ولكنه قريب منا ، تستطيعين أن تذهبنى اليه وتقيمى فيه ثلاثة أيام أو أربعة ؟

— نعم ... هناك منزل أسرة « لاثروب » ... لكن لماذا ؟

— لا تسألى عن السبب الآن ... هل اذا قلت لك اننى أعرف أن الزوج سيعودون الى هنا ثانية ، فى خلال أسبوعين ، وأثبت ذلك لك ، تذهبين الى منزل أسرة لاثروب وتمكثين به أربعة أيام ؟  
— أربعة أيام ؟ اننى مستعدة للبقاء فيه عاما كاملا اذا صح ما تقوله ....

— لست أريد منك الا « كلمة شرف » ، فإبنى أثق بها كالتقسم على الانجيل !

فابتسمت ، وتورد خذاها فى حمرة زادتها جمالا . .  
قلت لها : أرجو أن تسمحى لى باغلاق الباب بالمزلاج . . .  
ثم عدت الى الفتاة ، وجلست بجانبها ، وقلت لها :  
- اجلسى هادئة ، واحتملى الصدمة بشجاعة ، فاننى مضطر  
للافضاء اليك بالحقيقة . . . نمالكى رباطة جأشك يا آنسه مارى  
لأن الحقيقة مرة وقاسية ، وان لم يكن هناك مفر من قبولها . . .  
ان هذين العمين ليسا عميك . . . انهما دعيان محتلان محترقان . .  
ها قد سمعت أسوأ ما فى الموقف ، ولا شك أنه فى استطاعتك أن  
تتحملى ما سيأتى بعد ذلك فى شجاعة .

وعندئذ قلملت الفتاة فى جلستها . . . ولكنى أدركت اننى  
تجاوزت مرحلة الخطر فمضيت فى حديثى . ولاحظت أن بريقا  
خاطفا كان ينبعث من عيني الفتاة كلما مضيت فى الحديث ،  
فحدثتها بكل شئ ابتداء من اللحظة التى التقينا فيها بذلك القروى  
الأحمق الذى كان يريد السفر بالباخرة ، حتى اللحظة التى ألت  
الفتاة بنفسها بين ذراعى « الملك » عند باب المنزل الخارجى فقبلها  
ست عشرة أو سبع عشرة مرة . . . وهنا وثبت الفتاة واقفة وقد  
تطاير شرر الغضب من عينيها وتوهج وجهها وتوهج وجه الشمس  
عند الغروب وقالت :

- يا للوغد ، تعال . . . لا تضيع دقيقة واحدة ، بل ولا ثانية  
واحدة . . . فسنبضح أمرهما ونلقى بهما فى النهر .  
فقلت : بالطبع ، ولكن هل تعنين أنك ستفعلين ذلك قبل الذهاب  
الى منزل أسرة لوثرروب ، أم . . .  
فقلت : اصفح عنى . . . أرجوك .

ووضعت يدها الناعمة كالحرير على يدي ثم أردفت :  
- لم أكن أعتقد اننى سأثور الى هذا الحد . . . والآن استمر

فى حديثك ... أعدك أننى أن أفقد سيطرتى على نفسى ثانية ...  
قل لى ما ينبغى لى أن أفعل ، وسأفعله على الفور .

— أن هذين الوغدين الدعيين يكونان عصابة خطيرة ، وانى مضطر  
الى البقاء معهما فترة أطول ، سواء أردت ذلك أم لم أرده — ولكنى  
أفضل ألا أذكر السبب ... فاذا أثرت المدينة عليهما وأمكن  
انقاذى من أنيابهما ، فهذا هو الخير كل الخير ... ولكن ذلك خليق  
بأن يخلق متاعب لا حصر لها لشخص آخر لا تعرفينه ... وهو  
شخص حبيب الى نفسى ... ومن ثم ، لن نفضح أمر هذين  
الدعيين الآن ! ...

وما كدت أنطق بهذه الكلمات حتى خطرت لى فكرة جعلتنى  
أعتقد أن فى استطاعتى و « جيم » أن نتخلص من هذين الدعيين ،  
وهى أن أعمل على زجهما فى السجن ثم نرحل أنا وجيم .  
ثم قلت للفتاة :

— سأقول لك ما ينبغى لنا أن نفعله يا آنسه مارى جان ، حتى  
لا تضطرى الى البقاء بمنزل أسرة لوثرروب طويلا ... أين يوجد  
منزل مستر لوثرروب هذا ؟  
— على مبعده أربعة أميال ... جنوبا .

— إذن اذهبى الى هناك وامكثى فى المنزل حتى الساعة التاسعة  
أو التاسعة والنصف مساء ، ثم اطلبى من واحد منهم أن يعود بك  
الى هنا ، فاذا عدت قبل الساعة الحادية عشرة ، ضعى شمعة موقدة  
فى هذه النافذة . فاذا لم أحضر ، انتظرى حتى الساعة الحادية  
عشرة ، فاذا لم أحضر أيضا ، فمعنى ذلك أننى رحلت وأصبحت  
بأمن ؛ وعندئذ يمكنك المبادرة بكشف أمر هذين الدعيين المحتالين  
والزج بهما فى السجن .

فقلت : سأفعل ذلك .

فقلت لها :

— أما اذا لم أستطع الرحيل ، واضطرت الى البقاء معهما ، فعليك أن تقولى اننى أفضيت اليك بالحقيقة كلها من قبل ، على أن تشدى أزرى ما وسعك ذلك .

— بالطبع ، سأشد أزرک ، انهما لن يقدرآ على لمس شعرة من رأسک .

نطقت الفتاة بهذه العبارة بحماس شديد وقد انتفخت أوداجها وانبعث من عينيها بريق خاطف .

فقلت : اذا نجحت فى الفرار ، فمعنى ذلك اننى لن أكون هنا لأثبت ان هذين الوغدين ليسا عميك . . . بل اننى لن أستطيع ان اثبت ذلك اذا بقيت هنا . . . وكل ما أستطيعه هو أن أقسم انهما دعيان محتالان ولو ان ذلك قد لا يحسم الأمر . . . وعلى أية حال هناك من يستطيعون اثبات ذلك خيرا منى — وهم أشخاص آخرون لا تتطرق الريبة الى أقوالهم . وسأقول لك كيف تعثرين عليهم : اعطنى ورقة وقلما . . . وكتبت هذه الكلمات « المسرحية الملكية — بريكسفيل » ثم أعطيتها الورقة قائلآ لها : خذى هذه الورقة وحذار من فقدها . . . وعند ما تبدى المحكمة رغبتها فى معرفة بعض المعلومات عن هذين الرجلين ، دعيها ترسل الى « بريكسفيل » من يقول انكم قبضتم على الرجلين اللذين قاما بتمثيل المسرحية الملكية ، وأن المحكمة تطلب حضور بعض الشهود ، وعندئذ ستهرع المدينة كلها الى هنا فى ملح البصر . . .

وأيقنت أننا انتهينا من جميع التفصيلات . . . فقلت :

— دعى المزاد يعقد . . . ودعى المحتالين يفعلان ما يريدان فان أحدا لن يدفع ثمن ما يشتريه فى المزاد قبل اليوم التالى لانتهاء المزاد ، لأن الناس لا يستطيعون تدبير المال فى وقت قصير ، كما أن الدعيين لن يرحلا من هنا قبل الحصول على المال . . . ثم ان الخطة التى رسمناها ستقضى على احتمال حصولهما على المال ، كما

حدث فيما يتعلق بصفقة بيع الزوج ، فان هذه الصفقة لم تكن صفقة رابحة على الإطلاق ... وسيعود الزوج الى هنا قبل انقضاء وقت طويل ... ان المحتالين لم يحصلوا بعد على ثمن الزوج ، ولهذا فانهما فى أخرج مأزق يا آنسة مارى .

ف قالت ... سأناول طعام الافطار الآن ، تم اذهب الى منزل مستر لوثرروب .

— ليس هذا اجراء سليما يا آنسة « مارى جان » ... يجب ان تبادرى بالرحيل قبل الافطار .

— لماذا ؟

— ماذا تظنين السبب الذى اطلبك بالرحيل من أجله ؟  
— الواقع اننى لم أفكر فى ذلك . ومع ذلك فانا لا أعلم السبب ... فما هو ؟

— لأنك لا تجيدين اخفاء مشاعرك ... ان وجهك أشبه بكتاب مفتوح يستطيع أى انسان أن يقرأه بسهولة ويستشف منه ما يعتمل فى أعماقك . هل تعتقدين انك تستطيعين مواجهة عميك عند ما يجيئان لتقبيلك قبلة الصباح دون أن ....

— كفى ... كفى ... سأذهب قبل الافطار ... بل انه ليسرنى أن أرحل الآن ... ولكن هل أترك أختى معهما ؟

— نعم ، لا تقلقى فانى أخشى أن يرتاب المحتالان فى الأمر اذا رحلتن جميعا . اننى لا أريد أن تقابليهما ، ولا أن تقابلهما اختاك ولا أى شخص فى المدينة ... واذا سألك جار كيف حال عميك هذا الصباح فيجب أن يظل وجهك جامدا لا ينبىء بشىء ... بادرى بالرحيل يا آنسة « مارى جان » . وسأندبر الأمر بالنسبة للجميع . سأطلب من الآنسة « سوزان » أن تبلغ تحيتك لعميك وأن تقول لهما انك اضطررت للتغيب ساعات قليلة لتحصلنى على

بعض الراحة ، أو لرؤية احدى صديقاتك ، وانك ستعودين الليلة  
أو في صباح الغد الباكر .

— ان القول بأننى ذهبت لزيارة احدى الصديقات لاغبار عليه ،  
ولكنى لا أوافق على أن تبلغ أختى تحيتى لهذين الوغدين !  
— اذن ... لن يحدث ذلك .

ثم قلت لها : هناك شيء واحد ... حقيبة النقود .  
— لقد استوليا عليها ، وانى لأشعر بالغباء كلما تذكرت ذلك .  
— لا ... ليست الحقيبة فى حوزتهما .  
— وكيف ذلك ؟ انها معهما .

— الحقيقة يا آنسه « مارى » هى ان الحقيبة كانت فى حوزتى  
لأنى سرقتهما منهما ... سرقتهما لأعطيها لك ... وأنا أعلم أين  
خبأتها ... ولكنى أخشى أن تكون قد اختفت مرة أخرى من  
المكان الذى وضعتها فيه ... اننى جد آسف يا آنسه مارى جان  
... آسف كل الأسف ... ولكنى أؤكد لك اننى بذلت قصارى  
جهدى ... لقد كدت أضبط بها ، فاضطرت الى وضعها فى أول  
مكان صادفنى ، والمبادرة بالهرب ... ولم يكن المكان الذى خبأتها  
فيه ملائماً .

— أوه ... كف عن لوم نفسك ، فاننى لن أسمع لك بذلك ..  
انك لم تكن لتستطيع تجنب ما فعلت ، ولم يكن الخطأ خطأك ...  
أين أخفيتها ؟

لم أكن أرغب فى تذكيرها بمتاعبها مرة أخرى ... لم أكن أرغب  
فى القول بأننى وضعت الحقيبة فوق بطن « بيتر » الميت ، حتى  
لا تتذكر مصابها الأليم ... فقلت لها :

— أفضل ألا أقول لك أين أخفيتها يا آنسه « مارى جان » اذا  
لم يكن لديك ثمة مانع ... ولكنى سأكتب لك كل شيء فوق رقعة



من الورق تستطيعين أن تقرأيها وأنت في طريقك الى منزل مستر  
لوثرروب ان شئت ... فهل توافقين على ذلك ؟

— نعم ...

فكُتبت على ورقة أقول « لقد وضعت الحقيبة في الثابوت ،  
وكانت به عند ما كنت تبكين هناك في تلك الليلة ... أما انا فكنت  
واقفا خلف الباب ... ولكم شعرت بالأسف من أجلك يا آنسة  
ماري جان » ..

واغرورقت عيناى بالدموع حينما تذكرتها وهى تبكى وحيدة  
في جوف الليل ، بينما هذان الشيطانان يفرران بها ويسرقانها  
تحت سقف منزلها . وعندما طويت الورقة وأعطيتها لها ، لاحظت  
أن عينيها قد اغرورقتا بالدموع أيضا ... وصافحتنى الفتاة  
بقوة ، ثم قالت :

— الوداع ... سأفعل كل ما طلبته منى بدقة . فاذا لم أرك  
بعد الآن ، فأننى لن أنساك ، وسأفكر فيك دائما ... وأصلى من  
أجلك أيضا .

ثم انصرفت ....

وبدأت أستعيد ما قالته ... لقد قالت انها ستصلى من  
أجلى ! وشعرت بالسعادة ... وأيقنت انها ستصلى من أجلى .  
فهى فتاة طيبة . ولست أتملقها بهذا القول ... فأننى لم أرها  
منذ خرجت من ذلك الباب ، ولكنى فكرت فيها أكثر من مليون  
مرة ، وفكرت في قولها انها ستصلى من أجلى ... وإذا جال  
بخاطرى يوما أن من الخير أن أصلى من أجلها فلن أتردد في الصلاة .  
ولا شك في أن « ماري جان » سلكت الطريق الخلفى عند انصرافها ،  
لأن أحدا لم يرها وهى تنصرف . وعندما التقيت بسوزان وأختها  
الأخرى قلت لهما :

- ما اسم الأسرة التى تقيم على الجانب الآخر من النهر وتذهبن جميعا أحيانا لزيارتها ؟
- فقالتا : هناك أسر عديدة ، أهمها أسرة بروكتور .
- آه ، هذا هو الاسم . . . لقد كدت أنساه . . . لقد طلبت منى الأنسة « مارى جان » أن أخبركما انها ذهبت الى هناك لأمر جد عاجل . . . فان هناك مريضا !
- ومن هو ؟
- لست أعلم . . . لقد نسيت الاسم . . . ولكنى أظن . . .
- يا الهى ، أرجو ألا تكون « هانار » .
- يؤسفنى أن أقول لكما ان « هانار » هى المريضة .
- رباه . . . لقد كانت أتم ما تكون صحة فى الأسبوع الماضى ، وهل مرضها خطير ؟
- لقد قالت الأنسة « مارى جان » ان الأسرة ظلت ساهرة مع المريضة طوال الليل ، وهم يعتقدون انها لن تعيش ساعات كثيرة .
- ترى ماذا دهاها ، بماذا هى مريضة ؟
- ولم أستطع أن أفكر فى اجابة معقولة على هذا السؤال ، فقلت : التهاب الغدة النكفية ! !
- هذا سخف ، ان الناس لا يسهرون مع المرضى بالغدة النكفية .
- أحقا ؟ يمكننى أن أؤكد لك انهم يسهرون مع أمنال هؤلاء المرضى . . . فمرضها من نوع مختلف عن المألوف . وقد قالت الأنسة « مارى جان » انه نوع جديد من المرض !
- وما هو هذا النوع الجديد ؟
- انه نوع من المرض يصحب حالات أخرى .
- حالات أخرى ؟
- نعم . . . الحصبة ، والسعال الديكى ، والتهاب الاذن ، والسل ، والحمى المخية ، وأمراض أخرى لا أعرفها .

وهنا قالت الفتاة الصغرى ذات الشفة المغطاة بالسعر : انه  
لأمر مخيف فيما اظن .. سأذهب الى العم « هارفى » و ...  
فقلت لها : لست أنصح لك بأن تخبرى العم « هارفى » بهذا  
الأمر ...

فقالت : لماذا ؟

فأجبت قائلاً : تأملى الموقف لحظة واحدة لعله ينجلى أمام  
عينيك .. ان عمكما مضطربان للعودة الى انجلترا بأسرع  
ما يستطيعان .. وهما ليسا من الضعة بحيث يسافران وينركانكن  
وحدكن .. ولما كان « العم هارفى » قسيساً ، فانه لن يحاول  
أن يخدع كاتب احدى البواخر بأن يجعله يقبل نقل الأنسة  
« مارى جان » على الباخرة الآن .. فالآنسة « مارى جان » قد  
تكون مصابة بمرض « الغدة النكفية » هى الأخرى نتيجة لمخالطتها  
للشابة المريضة التى نزورها .. ولهذا ، فانه من المحتمل أن  
يضطرب « العم هارفى » وشقيقه الى البقاء هنا ثلاثة شهور ريثما  
يتأكد من ان الآنسة « مارى جان » ليست مريضة ! .. وبذلك  
سوف يتأخر سفركن الى بريطانيا ثلاثة شهور .. هذا هو  
الموضوع .. فهل انت مصممة على مصارحة «العم هارفى» بالأمر ؟  
فقالت الفتاة : وهلبقى جميعاً هنا لنستونق مما اذا كانت  
مارى جان مريضة بالتهاب الغدة النكفية أم لا ، بينما كان فى  
استطاعتنا أن نستمتع بوقت لطيف فى انجلترا ؟  
فقلت : هذا ما سيحدث اذا صمت على مصارحة « العم  
هارفى » بالأمر ..

فقالت الفتاة : اذن لن نقول شيئاً للعم هارفى !!  
نم استدركت قائلة : ولكنى اظن انه يجدر بنا أن نقول لعمنا  
هارفى انها ذهبت لأمر من الأمور وانها ستتأخر بعض الوقت ،  
فان ذلك كفىل باراحة باله .

فقلت : نعم ، ان الآنسة « مارى جان » تريد منكما أن تفعل  
ذلك . . . قالت لى « قل لهما أن يقدمتا تحيتى للعم هارفى ووليام  
مع قبلة لكل منهما ، وأن تخبراهما اننى عبرت النهر لمقابلة  
مستر . . . مستر . . . ما هو اسم الأسرة الثرية التى كان عمكما  
« بيتر » يحبها كثيرا ؟ أعنى الأسرة التى . . .

— اوه ، لا ريب انك تعنى أسرة « لوثرروب » ؟

— بالطبع . . . يا لها من أسماء مربكة . . . نعم . . . قولان  
« مارى جان » ذهبت الى هذه الأسرة لتطلب اليها أن تأتى  
لخضور المزاد وشراء المنزل ، لأنها تعتقد أن عمها « بيتر » يفضل  
أن تشتريه هذه الأسرة على أن يشتريه أى شخص آخر . . .  
واذا لم تكن متعبة فستعود الليلة ، والا فانها ستعود فى صباح  
الغد . وطلبت منى أن أطلب اليكما ألا تقولوا شيئا عن أسرة  
بروكتور . . . لا تذكرنا الا اسم أسرة « لوثرروب » . . . فهذا هو  
الاسم الصحيح !

فقالتا الفتاتان : سوف نفعل ذلك . . .

ثم انصرفتا للبحث عن عميهما وابلغهما تحيات أختهما  
وقبلاتها ورسالتها .

كان كل شىء على ما يرام ! فالفتاتان لن تقولوا شيئا لانهما  
ترغبان فى الذهاب الى انجلترا . . . ولا شك فى أن « الملك »  
و « الدوق » يفضلان أن تكون « مارى جان » بعيدة عن المنزل  
أثناء عقد المزاد حتى لا يؤثر عليها « الدكتور روبنسون » . . .  
وشعرت باننى أجدت تمثيل دورى . . . ولست أظن أن « توم  
سوبر » كان يجيد الدور خيرا منى مع أنه أقدر منى على ذلك !  
وأقيم المزاد فى الساحة العامة قبل المساء بوقت قصير . . .  
فاستمر فترة طويلة . وكان « الملك » يسير بين « المزايدين »

وهو لا يفتأ يردد بعض آيات من الكتاب المقدس . . . أما «الدوق» فكان يردد « جو - جو - جو » استدرارا للعطف .  
وبينما كان خبير المزاد يحاول بيع الأشياء القليلة الباقية ،  
أقبل قارب بخارى رسا عند الشاطئ . وبعد دقيقتين أقبلت  
جماعة من الناس كانوا يصيحون ويضحكون ، وظلوا يتقدمون  
منا ، ثم صاحوا :  
- هاكم مجموعة ثانية من ورثة « بيتر ويلكس » العجوز ! . . .  
فلأى المجموعتين سوف تعطون النقود ؟ !

## الفصل التاسع والعشرون

قراءة متنازع عليها - « الملك » يشرح  
الموقف - رسالة بخط الميت - الوشم -  
اخراج الجثة - « هالك » يهرب .

---

كانت الجماعة المقبلة تفقد أمامها كهلا ، وشابا وسيم الطلعة  
شد ذراعه الى صدره بضمادة ولقافة . وراح الناس يصخبون  
ويضحكون رغم اننى لم أجد مبررا للضحك ، فأدركت أن موقف  
« الملك » و « الدوق » قد ساء فجأة ، وأن لونهما لن يلبث أن  
يصفر . . . ولكن شيئا من ذلك لم يحدث . فقد ظل الدوق  
طبيعيا في حركاته وكأنه لم يكن مرتابا في حدوث شيء غير عادى ،  
فقد ظل يردد كلمته الماثورة « جو - جو - جو » وهو بادى  
السعادة والارتياح . . . أما « الملك » ، فقد راح يحدق ويحدق  
في القادمين الجديدين بعينين تعربان عن الأسف ، وكانت تبدو  
عليه علامات من يستنكر امكان وجود مثل هذين الدعين  
القادمين ! ! وكان تمثيله رائعا كل الروعة ، فالتف حوله كثيرون  
من كبار شخصيات المدينة ليشبثوا له انهم مستعدون لشد أزره .  
أما الكهل الذى جاء فجأة ، فقد بدا عليه الاضطراب والحيرة ،  
وسرعان ما بدا يتكلم . . . وفي التوتبينت أن نطقه يشبه نطق

الانجليز ، وانه مختلف عن نطق « الملك » ، وليس فى استطاعتى ان اذكر نص كلمات الكهل ولا أن أقلده فى حديثه ... ثم تحول الى الجمع وقال ما معناه :

— انها مفاجأة لم أكن أتوقعها ... واننى لأعترف لكم بصراحة اننى لم أكن مستعدا لمواجهة مثل هذا الموقف الحرج ؛ وخاصة ان سوء الحظ لازمنا فى الطريق ... فأخى قد كسر ذراعه ، كما أن حقائبنا نقلت — خطأ — الى مكان آخر بالمدينة ليلة أمس ... وهذا هو أخوه « ويليام » الذى لا يسمع ولا يتكلم ... ها أنذا قد قلت لكم من نحن ؛ وبعد يوم أو اثنين سأسترد أمتعتنا ، وعندئذ أستطيع أن أبرهن لكم على صدق قولى ... أما الآن فلن أقول شيئا ... سنذهب الى الفندق وننتظر !  
ثم انصرف الكهل والشاب الوسيم ... وعندئذ ضحك « الملك » وقال :

— كسر ذراعه أ؟... هذا محتمل .. أليس كذلك ؟... انها حيلة مكشوفة !...

وضحك « الملك » ثانية ، فضحك جميع الحاضرين الا ثلاثة أو أربعة أو ربما ستة .. وكان الدكتور « روبنسون » أحد الذين لم يضحكوا .. كذلك لم يضحك رجل بادى الصرامة كان يحمل حقيبة عتيقة مصنوعة من السجاد القديم ، كان قد وصل لتوه بالباخرة ... وكان يتحدث الى الدكتور « روبنسون » بصوت منخفض ، وهما يتطلعان الى « الملك » بين الحين والحين . كان هذا الرجل هو « ليفى بل » المحامى الذى كان قد ذهب الى « لويز فيل » . وكان هناك رجل آخر ضخيم الجسم خشن المنظر قدم بدوره بالباخرة وأصفى لكل ما قاله الكهل ... وكان يصفى للملك فى تلك اللحظة ... وعندما فرغ « الملك » من الكلام قال هذا العملاق :

— اصغ الى يا هذا . . اذا كنت « هارفى ويلكس » فمتى جئت الى هذه المدينة ؟  
— فى اليوم السابق للجنائز يا صديقى .  
— وفى أية ساعة من النهار جئت ؟  
— فى المساء — قبل غروب الشمس بساعة أو اثنتين .  
— وكيف جئت ؟  
— جئت على الباخرة سوسان باول من « سنسنانى » .  
— كيف اتفق اذن انك كنت فى « بنيت » فى الصباح ...  
وكنت تركب قارباً ؟  
— لم أكن فى « بنيت » فى الصباح .  
— هذا كذب .

واندفع كثير من الحاضرين نحو الرجل العملاق وتوسلوا اليه  
ألا يتحدث بهذه الطريقة الى « هارفى » الكاهن!  
فصاح الرجل : فليذهب الكاهن الى الشيطان ... انه محتال  
كاذب ... لقد كان فى « بنيت » فى ذلك الصباح ... أننى أقطن  
هناك كما تعلمون ... ولقد كنت عند الخليج وكان هو هناك  
أيضاً ... ولهذا رأيته ... كان يستقل قارباً مع « تيم كولنيتر »  
وغلام آخر .

وانبرى الدكتور « روبنسون » يقول : هل تستطيع أن تعرف  
الغلام اذا رأيته ثانية يا هاينز ؟  
— أعتقد ذلك ، ولو أننى لست واثقاً منه ... آه ، ها هو  
الغلام ... اننى أعرفه !  
وأشار الى ... وقال الطبيب :

— أبها الجيران ... لست أدري ان كان القادمان الجديدان  
محتالين أيضاً أم لا ... ولكن اذا لم يكن هذان الرجلان الموجودان  
هنا دعيين محتالين ، فاننى أكون رجلاً غيبياً ... هذا هو كل



شيء . . . واعتقد أن واجبنا يقتضينا إلا نسمح لهما بالفرار من هنا قبل أن نفرغ من دراسة الموقف دراسة شاملة . . . تعال يا « هاينز » . . . بل تعالوا جميعا . . . سنذهب بهذين الرجلين إلى الفندق ونواجههما بالرجلين الآخرين . . . وفي رأيي أننا سوف نستطيع ، بهذه الطريقة ، الوقوف على الحقيقة !

واستحسن الجميع هذا الرأي باستثناء أصدقاء « الملك » . . . وهكذا سرنا جميعا إلى الفندق . . . وكان ذلك عند غروب الشمس تقريبا . . . ولقد أخذني الدكتور « روبنسون » معه وكان يمسك بيدي . . . وكان شديد التلطف معي ، ولكنه لم يترك يدي مطلقا . ودخلنا إلى ردهة كبيرة في الفندق . . وأضئ عدد من الشموع ، وأرسل الدكتور « روبنسون » في طلب القادمين الجديدين . . . وافتتح الدكتور الحديث قائلا :

— اننى لا أريد أن أقسو على هذين الرجلين . ولكنى أظن أنهما محتالان ، وربما كان لهما شركاء لا نعرف شيئا عنهم . . . فإذا كان الأمر كذلك ، أفلا تظنون أن هؤلاء الشركاء سيبادرون بالفرار حاملين الحقيبة التى تحتوى على نقود « بيتر ويلكس » ؟ ليس هذا غير محتمل . وإذا لم يكن هذان الرجلان دعيين ، فإنهما لن يعترضا على احضار هذه النقود والسماح لنا باستبقائها حتى نبشيتا لنا أنهما بعيدان عن كل شك . . . ألا توافقون على ذلك ؟

ووافق الجميع على ذلك . وعندئذ أدركت أن العصابة أصبحت فى مركز خطر ، ولكن « الملك » أبدى الأسف وقال :

— أيها السادة . . . وددت لو كانت النقود موجودة ، فأنا لا أحب عرقلة بحث عاجل فى هذا الموقف المؤسف . ولكن النقود غير موجودة للأسف . . . ويمكنكم أن ترسلوا واحدا منكم إلى المنزل ليستوثق من ذلك !  
— إذن أين النقود ؟

— عند ما أعطتها لى ابنة أخى للمحافظة عليها أخفيها داخل الحشية المصنوعة من القش الموضوعة فوق فراشى ... ذلك اننى لم أشأ أن أودعها المصرف مدة الأيام القليلة التى سنقضها هنا ، ولأننى كنت أعتقد أن هذا المخبأ آمن ... فنحن كنا نعتقد أن الخدم هنا أمناء كالخدم فى إنجلترا ... لقد سرق الزوج النقود فى صباح اليوم التالى بعد أن غادرت غرفتى ... وعند ما بعثهم لتجار الرقيق لم أكن قد اكتشفت ضياع النقود . وهكذا استطاعوا الافلات بها ... وفى استطاعة خادمى الموجود هنا أن يحدثكم بكل شىء أيها السادة .

وأعرب الدكتور « روبنسون » وكثيرون غيره عن ربيتهم ، وبدا لى أن أحدا من الحاضرين لم يصدق « الملك » ...

وسألنى أحد الرجال ان كنت قد رأيت الزوج وهم يسرقون الحقيبة ، فقلت ان كل ما أعرفه هو أننى رأيتهم يخرجون خلسة من الغرفة ويهرولون مبتعدين ، ولم يخطر ببالى شىء مريب ، فقد ظننت انهم كانوا يخشون إيقاظ سيدي ... وكان هذا هو كل ما سألونى عنه . وعندئذ سألنى الدكتور « روبنسون » :

— هل أنت انجليزى أيضا ؟

فأجبت « نعم » . وعندئذ ضحك هو وآخرون وقال : حديث خرافة !

وبدأوا تحقيقا عاما . ومضت ساعات طويلة ... فقد كان الدكتور « روبنسون » يطلب من الفريقين أن يسردا قصتهما . وكان من الواضح أن أى شخص غير متحامل لا ريب يدرك أن الكهل الذى وفد على المدينة فى ذلك اليوم لم يذكر الا الصدق ، وإن قصة « الملك » كانت أكذوبة مفضوحة . ثم طلبوا منى أن أدلى بما أعرفه . ورأيت « الملك » يغمز لى بعينه اليسرى خلسة فأدركت نوع الحديث الذى ينبغى لى أن أدلى به . وبدأت أحدث

الحاضرين عن « شيفلد » وكيف كنا نعيش هناك ، وأفضيت اليهم بكل شيء عن ويلكس الانجليزى ... وهلم جرا - ولكنى لم أسترسل فى حديثى لأن الدكتور « روبنسون » انفجر ضاحكا بينما قال المحامى « ليفى بيل » :

- اجلس يا بنى ... لو كنت مكانك لما أجهدت نفسى هكذا...  
أعتقد انك لم تتعود الكذب لأنك لا تجيده ... انك مازلت بحاجة الى المران عليه ، لأن كذبك مفضوح .

ولم أعبأ بهذا المديح بقدر ما سرنى أنهم تخلوا عن اسسجوابى .  
وبدأ الدكتور يقول شيئا ، ثم التفت الى المحامى وقال :  
- اسمع يا « ليفى بيل » ...

فقاطعه « الملك » قائلا وهو يبسط يده :

- آه ، هذا هو الصديق الحميم للمرحوم أخى ! لطالما كتب لى عنه ... عن « ليفى بيل » !

وتصافح المحامى و « الملك » ... وابتسم المحامى وبدأ عليه السرور . وأخذ الرجلان بتبادلان الحديث فترة طويلة ، ثم انفردا فى أحد الأركان وراحا يتحدثان بصوت خفيض ... وأخيرا رفع المحامى صوته وقال :

- اكتب طلبا بخط يدك ... ودع أخاك يكتب سطرًا أو اثنين أيضا !

وأحضروا ورقا وقلمًا ، وجلس « الملك » ثم مال برأسه جانبا وأخذ يلوك لسانه فى فمه ... ثم كتب شيئا ... ثم أعطى القلم للدوق ... ولأول مرة بدأ الضيق يظهر على وجه « الدوق » .. ولكنه التقط القلم وكتب ... وعندئذ التفت المحامى الى الكهل الذى قدم أخيرا وقال :

- أرجو أن تكتب وأخيك سطرًا أو اثنين وتوقعانهما أيضا !

فكتب الكهل ما طلب منه ، ولكن احدا لم يستطع أن يقرأ ما كتبه الرجل ! ... وعندئذ بدت الدهشة على وجه المحامى فقال :  
- يا لله ... ما هذا ؟ لست أستطيع قراءة شيء مما كتبت !

وأخرج المحامى عددا من الرسائل القديمة من جيبه وتأملها مليا ،  
ثم تأمل كتابة الكهل ، وعاد وتأمل الرسائل ثم قال :

- ان هذه الرسائل القديمة من « هارفى ويلكس » ... وها هو  
خط الاننين اللذين يقولان انهما هارفى ويلكس ! وعندئذ أدرك  
« الملك » و « الدوق » ان المحامى استطاع أن يوقعهما فى فخ !

واستطرد المحامى يقول : ان أى انسان سستطيع أن يجزم  
بسهولة ان خط الكهل الوافد الجديد أبعد ما يكون عن الخط الذى  
كتبت به الرسائل التى أحملها ... فالحقيقة ان ماكتبه هذا الكهل  
ليس « كتابة » !

وهنا قاطعه الكهل قائلا : دعنى أفسر لك الحقيقة ... ان أحدا  
لا يستطيع أن يقرأ خطى سوى أخى الموجود هنا - فهذه الرسائل  
كان ينقلها أخى بخطه !

فقال المحامى : حسنا ... ان معنى بعض رسائل « وليام »  
أيضا ، فاذا أمكنك أن تجعل أخاك يكتب سطرًا أو اثنين ،  
فسنتمكن من ...

فقال الكهل : انه لا يستطيع أن يكتب بيده اليسرى . ولو كان  
فى استطاعته أن يكتب بيده اليسرى لتبين لك انه يكتب رسائله  
ورسائلى أيضا ... أرجو أن تتأمل الاثنين ، وسيتضح لك انهما  
مكتوبان بخط واحد .

ففعل المحامى ذلك وقال : اعتقد ذلك .. وإذا لم يكونا مكتوبين  
بخط واحد ، فان هناك تشابها عجيبا فى الخط لم أنبينه من قبل !!  
لقد كنت أظن اننا سائرون فى الطريق الصحيح ، ولكن يبدو اننى  
مخطىء ! .. وعلى أية حال ، فقد اتضح لنا الآن أن هذين السيدين

ليسا من أسرة « ويلكس » . . . قال ذلك وهو يتسیر الى « الملك »  
و « الدوق » !

ثم قال المحامى : ولقد فكرت فى شىء آخر . . . هل يوجد هنا  
من ساهم فى اعداد جثة المرحوم « بيتر ويلكس » للدفن ؟  
فقال أحد الأشخاص : نعم . . . أنا و « آبتيرنر » فعلنا ذلك  
. . . وكلانا هنا .

وعندئذ تحول الكهل - الوافد الجديد - الى « الملك » وقال  
له : هل تستطيع أن تصف لنا الوشم الذى كان مرسوما على صدر  
المرحوم !!

وكان على « الملك » ان يتمالك رباطة جأشه بسرعة عظيمة والا  
ضاع ، فقد أخذه هذا القول على غرة . . . والحق ان المأزق كان  
شديد الحرج ، اذ من أين له أن يعرف الوشم الذى كان مرسوما  
على صدر الميت ! واصفر لونه قليلا ، وساد سكون شامل ، تماما ،  
بينما أخذ الحاضرون جميعا يحدقون فى وجهه . . . وعندئذ قلت  
لنفسى ان « الملك » قد سقط فى الفخ ولم يعد له مفر من-  
الاستسلام . . . فهل تراه فعل ؟ ان أحدا لا يمكن ان يصدق  
ما فعله . . . لم يتخاذل أو يستسلم ! لقد ظل الملك ملازما مكانه ،  
ولم يلبث أن ابتسم وقال :

- انه سؤال عويص . . . أليس كذلك ؟ نعم يا سيدي ، فى  
استطاعتى أن أقول لك ما هو الوشم الذى كان مرسوما على  
صدره . . . كان سهما صغيرا رفيعا أزرق اللون . . . وما لم تنظر  
اليه عن قرب ، فلن تستطيع رؤيته . . . والا مارأيك فى ذلك ؟ . .  
قال ذلك بصفاقة أدهشتنى !

وهنا تحول الكهل ( الوافد الجديد ) الى « آبتيرنر » وزميله،  
وقد تألقت عيناه بالقوز ؛ فقد ظن انه استطاع أن يوقع بالملك هذه.

المرّة ، وقال : هل سمعتم ما قاله ؟ هل كانت هناك آية علامة كهذه  
مرسومة على صدر « بيتر ويلكس » ؟  
وتكلم الرجلان معا ... قالوا : لا ... لم نر مثل هذه العلامة .  
فقال الكهل : أما أنا فأقول لكما ان الوشم كان يتكون من حرفين  
هما : « ب . ب » ( وهما أول حرفين من الاسم الذى اتخذه بيتر  
في شبابه ) كذا حرف « و » وبينهما فواصل هكذا : « ب - ب - و »  
وكتب الرجل الحروف بهذا الترتيب على رقعة من الورق وهو  
يقول : ألم تكن هذه هى الحروف التى رأيتها ؟  
فقال الرجلان : لم نر مثل هذه الحروف ... بل لم نر شيئا  
على الاطلاق ... لم نر أى وشم !  
وهكذا تكهرب الجو . وسرعان ما انطلق الحاضرون يصيحون :  
- انهم جميعا ادعياء ... دعونا نفرقهم فى النهر ... دعونا  
نجعل القطار يمر فوقهم ويقتلهم ...  
ولكن المحامى أسرع يثب فوق المنضدة وصاح بأعلى صوته :  
- أيها السادة ... أيها السادة ... اسمحوا لى أن أقول  
كلمة ... كلمة واحدة فقط ... أرجوكم ... ما زالت هناك  
طريقة أخرى ... دعونا نذهب ونخرج الجثة لنفحصها .  
ووافق الجميع بلا ابطاء ... واشتد صخبهم ، وتهيأوا للذهاب  
الى المقابر على الفور ؛ ولكن المحامى والطبيب قالوا :  
- مهلا ، مهلا ... اقبضوا على هؤلاء الرجال الأربعة والفلام  
واحضروهم معنا ؛ فصاحوا جميعا : سنفعل ذلك ، وإذا لم نجد  
الوشم فسنشنق العصابة كلها !!  
وتملكنى الفرع ففكرت فى الفرار ... ولكن كيف ؟! ... وقبضوا  
علينا ، ثم قادونا أمامهم الى المقابر التى كانت على مبعدة ميل  
ونصف ميل الى الجنوب ... وخرجت المدينة كلها فى هذا الموكب  
الرهيب .

وبينما كنا نمر بالمنزل ، تمنيت لو اننى لم ارسل « مارى جان » خارج المدينة ، فلو اننى استطعت أن اتصل بها لعمدت الى نجدتى فى هذه اللحظة الحرجة وقضت على هؤلاء الادعياء المحتالين !

ومضينا نتقدم على طريق النهر كالقطط البرية . وزادنى فزعاً أن السماء تلبدت بالسحب . . وبدأ البرق يلمع ، وراحت الريح تئن بين أوراق الأشجار . . وكان هذا الموقف هو اكثر المواقف التى تعرضت لها خطورة ، ولهذا كنت فى شبه ذهول ، فقد كانت الأمور تجرى على غير ما كنت أتوقع . فبدلاً من أن أكون منفرجاً يضحك ملء شذقيه حيث تقف « مارى جان » ورائى لتشد أزرى وتنفذنى ، تعقد الموقف من حولى ، وأصبحت فى مازق خطير ، واقترب منى الموت الذى لن يبعده عنى سوى ذلك الوشم الأزرق على صدر الميت ! فرحت أتمنى أن يجد الناس وتسا كهذا على صدر الميت !!

ولم استطع احتمال وقر التفكير فى نتائج هذا الموقف الرهيب ، ولكننى لم أكن أستطيع أن أفكر فى أى شىء آخر . . وظلت الدنيا تظلم أمامى ، وخيل الى اننى أستطيع أن أتسلل خلسة من بين الجماهير ؛ ولكن ذلك العملاق « هاينز » كان يقبض على يدى ؛ وكان انتزاع يدى من يده أشبه بالتخلص من قبضة ماردي جبار . . فقد كان يجذبنى وهو يسير سريعاً ، حتى لقد كنت مضطراً الى الركض حتى الحق به !

وعندما بلغ الموكب المقابر ، بدأ الناس يتدققون كالفيضان ، ولما بلغوا المقبرة ، بدأوا يحفرون بلا إبطاء مستعينين بالضوء الذى كان يلمع مع البرق ، وأرسلوا رجلاً الى اقرب منزل ، وكان يبعد حوالى نصف ميل ، ليستعير مصباحاً . ومضوا يحفرون بهمة وعزم ، وازداد الظلام حلكة ، بينما بدأ المطر يهطل . واشتد عصف الريح ، كما ازداد لمعان البرق ، وأعقبه قصف

الرعد بعنف . ولكن هؤلاء القوم لم يعيروا هذا كله اهتماما أو التفاتا . . لقد كانوا مستغرقين في العمل . وفي بعض هذه اللحظات كنت أرى كل شيء ، وكل وجه في هذا الجمع الخاشد كما ترى المجارف خارج القبر ، ثم لا تلبث الدنيا أن تغلم في اللحظة التالية فلا أستطيع أن أرى شيئا .

وأخيرا أخرجوا التابوت ، وبدأوا يفتحون غطاءه . . وعندئذ أخذ الجميع يتدافعون بالمناكب حتى يلقوا نظرة على صدرالميت . . كان المنظر مخيفا في هذا الظلام الدامس ، فقد شدد « هاينز » الضغط على معصمى فألمنى أشد الألم ، وهو يتدافع بالمناكب . . واكبر الظن انه نسى وجودى ، لأنه كان يلهث بشدة وانفعال . . وفجأة لمع البرق بشدة فصاح أحدهم :

— يا للسماء : ها هى حقيبة الذهب موضوعة فوق صدره !!!  
وأطلق « هاينز » صيحة ناقبة ، وترك معصمى ، ثم اندفع الى الأمام ليلقى نظرة على التابوت . . وعلى الفور تسالت من بين الجماعة وانطلقت أعدو فى الطريق المعتم بسكل لا يمكن أن يتصوره أو يصفه أحد .

كان الطريق خاليا ، فأطلقت ساقى للريح بكل ما استطعت من قوة . . وكان البرق يلعب بين حين وآخر ، والمطر يهطل ، والريح تقصف ، فلم يفزعنى ذلك بقدر ما بث الطمأنينة فى نفسى . . فحسبى أن الطريق كان خاليا من السابلة !

وعندما وصلت الى المدينة ، لم أجد أحدا فى الشوارع ؛ فقد كانوا جميعا فى منازلهم . . ولهذا لم أجا الى الطرقات الخلفية ، وإنما مضيت فى الشارع الرئيسى . وعندما بدأت أتجه صوب المنزل ، تطلعت اليه ، فألفيته معتما . . فشعرت بالأسف وخيبة الأمل . . وأخيرا ، وبينما كنت أمر بالمنزل ، رأيت ضوءا ينبعث من نافذة غرفة « ماري جان » ، فقفز قلبى بين ضلوعى حتى كاد



ينفجر . وفى اللحظة التالية ، كنت قد تجاوزت المنزل ؛ ومضيت فى طريقى لا الهى على شىء .

وحينما تجاوزت المدينة ، وأدركت اننى أستطيع الذهاب الى حيث تركنا العائمة ، رأيت قارباً صغيراً مربوطاً بحبل فجذبته نحو الماء . ولم أضع لحظة واحدة . وعندما وصلت الى العائمة كان الشعب قد نال منى كل منال ، فارغيت فوق سطحها ورحلت الهث بشدة ، تم صحت :

— اسرع يا « جيم » .. فك العائمة .. يا الهى اننا فى مركز جد خطير .

. وأوقد « جيم » الصباح ، وأقبل نحوى وقد فتح ذراعيه ، واستخفه الطرب ، ولكنى ما كدت الملح وجهه حتى كاد قلبى بكف عن الحركة ، وتراجعت الى الوراء حتى سقطت فى الماء .. لقد نسيت انه كان يرتدى ملابس الملوك .. ملابس « الملك لير » !! وبادر « جيم » باخراجى من الماء ، وهو يضمنى الى صدره اعراباً عن فرط سروره بعودتى وبالتخلص من « الملك » و « الدوق » ، ولكنى قلت له :

— هيا يا « جيم » .. اطلق العائمة !!

واخذت العائمة تنساب فوق صفحة الماء . وشعرنا بسمادة غامرة لتحررنا ثانية وانفرادنا بأنفسنا فوق صفحة النهر الكبير بغير ان يضايقنا أحد .. ولكنى سرعان ما سمعت صوتاً أعرفه جيداً ، فحبست أنفاسى ، وأصخت السمع ، وانتظرت . وعندما ومض البرق ثانية فوق صفحة الماء عرفت كل شىء .. كان « الملك » و « الدوق » يستقلان زورقاً وهما يجدفان بقوة فى طريقهما إلينا ...

ولم أتمالك نفسى من التهالك فوق سطح العائمة ، وقد تملكنى اليأس . ثم لم البث أن انفجرت باكياً !!

## الفصل الثلاثون

الملك يشور - معسرة  
ملكية - تراخ شديد .

---

عندما صعد « الدوق » و « الملك » الى العائمة ، انقض الملك على ، وهزنى من ياقتى ، وقال :

— اتحاول أن تهجرنا أيها الجرو ، هل سئمت رفقتنا .. تكلم ؟  
فقلت : لا يا صاحب الجلالة .. أرجوك يا صاحب الجلالة .

— اذن أسرع وقل لنا لماذا هربت ؟ .. قل لنا والا فتكت بك !!  
— سأقول لك كل شيء بصدق يا صاحب الجلالة .. لقد كان الرجل الذى أمسك بى لطيفا جدا معى .. كان لا يفتأ يقول لى انه فقد ابنا مثلى فى العام الماضى ، ولهذا فانه آسف لأن يرى غلاما مثلى فى مثل هذا الموقف الخطير . وعندما تولت الدهشة الجميع بسبب العثور على الذهب ، واندفعوا الى التابوت ترك يدى وهمس قائلا « بادر بالفرار والا شنقوك » ، فانطلقت كالسهم .. فلم يكن من الخير لى أن أبقى .. لم يكن فى استطاعتى أن أفعل شيئا .. كما اننى لم أكن أريد أن أشنق . ولهذا لم أكف عن العدو الى أن عثرت على القارب ، وعند ما صعدت فوق سطح العائمة طالبت « جيم » بالاسراع والا قبضوا علينا وشنقونى ،

وقلت له انك والدوق قد هلكتما .. والحق اننى كنت شديد الحزن من اجلكما .. وكذلك كان «جيم» .. ولهذا سررت اشد السرور عند ما رأيتهما مقبلين .. ويمكنك ان تسال « جيم » عن ذلك .

وأمن جيم على قولى ، وعندئذ نهره « الملك » مطالباً اياه بالسكوت نم قال : آه ، هذا محتمل جداً !

وهزنى مرة أخرى وقال انه يفكر فى اغراقى ، ولكن الدوق قال : — دع الغلام وشأنه أيها الغبى الكبير .. هل كنت تفعل غير ما فعل ؟ هل بحثت عنه عند ما استطعت الفرار ؟ اننى لا اذكر انك فعلت ذلك .

وأطلق « الملك » سراحي ، وبدأ يلعن المدينة وكل من فيها . ولكن « الدوق » قال له :

— يحسن بك أن تلعن نفسك لأنك تستحق هذه اللعنات .. انك لم تفعل شيئاً معقولاً منذ البداية غير طلوعك علينا بأسطورة الوشم الخيالية !! . ولكنها كانت فكرة رائعة حقاً ، واليها يرجع الفضل فى نجاتنا ، اذ لولاها لزوجوا بنا فى السجن ريثما يحضرون أمتعة الرجلين الانجليزيين . وعندئذ كان من المحقق أن يحكم علينا بالسجن مع الأشغال الشاقة ، ولكن هذه الحيلة جعلتهم يذهبون الى المقابر . وليس من شك فى ان العشور على حقيبة الذهب فى التابوت قد أفادنا كثيراً ، فلولا ما استولى على هؤلاء الحمقى من هياج ، ولولا تدافعهم لالقاء نظرة على الحقيقة ، لكان من المحقق أن نقضى الليلة ورباطات العنق ملفوفة حول عنقينا !! وصمت الرجلان لحظة وهما يفكران ، ثم قال «الملك» بسرود :

— كنا نظن أن الزوج هم الذين سرقوا الحقيقة !

وأجفلت ...

فقال « الدوق » بلهجة بطيئة تدل على التفكير والسخرية :  
هذا ما ظنناه !!

وبعد حوالى نصف دقيقة قال « الملك » : على الأقل هذا  
ما ظننته أنا !

فقال « الدوق » بنفس الطريقة : بالعكس ، هذا ما ظننته أنا !  
فقال « الملك » بلهجة غاضبة : اصغ الى يا هذا .. ما الذى  
تعنيه ؟

فأجاب « الدوق » بلهجة حازمة : ما دام الأمر كذلك ، فدعنى  
أسألك بدورى ، ماذا تعنى ؟

فقال الملك بسخرية لاذعة :  
— لا تظن اننى لا أعرف ، من الذى أخفى النقود فى ذلك  
التابوت ؟ .. أنت الذى أخفيتها !

فانقض « الدوق » عليه قائلا : هذا كذب .  
فصاح « الملك » : ارفع يدك عنى ، أترك عنقى ، اننى أسحب  
كل ما قلت .

فقال « الدوق » : حسنا ، اعترف أولا بأنك أنت الذى أخفيت  
النقود لكى تحصل عليها وحدك فيما بعد !

— مهلا ، لحظة يا « دوق » ، أجبنى على السؤال التالى بأمانة  
وعدالة : اذا لم تكن أنت الذى وضعت النقود هناك ، فقل ذلك ،  
وأنا مستعد ان أصدقك ، وأسحب كل ما قلته .

— اننى لم أفعل ذلك أيها الوغد ، وانت تعلم ذلك ...  
— انى أصدقك ، لكن أجب عن هذا السؤال أيضا بدون ثورة ..  
ألم تكن تفكر فى الاستيلاء على النقود وإخفائها ؟

فلم يجب الدوق على الفور ثم قال :  
— وهل فى هذا ما يستحق المؤاخدة ؟ وعلى أية حال ، فان

شيئا من ذلك لم يخطر ببالي .. أما أنت فلم تفكر في ذلك فحسب ،  
وانما نفذته أيضا .

— أصدقك القول اننى لم أفعل ذلك يا دوق ، ولست أزعم  
اننى لم أفكر في سرقة الحقيبة .. فقد فكرت في ذلك فعلا .  
ولكنك ، أعنى شخصا آخر ، سبقنى الى ذلك .

— هذا كذب ، لقد سرقت أنت الحقيبة فعليك ان تعترف  
بذلك والا ...

وقبض « الدوق » على عنق « الملك » ، فصاح الملك : كفى  
انى أعترف .

وسررنى أن أسمعه يقول ذلك ؛ فقد شعرت براحة لم أشعر  
بها من قبل .. وعلى الفور رفع الدوق يديه عن عنق الملك وقال :  
— اذا أنكرت ذلك مرة أخرى فسأغرقك .. من الخير لك أن  
تجلس هناك وتبكي كالطفل .. فان ذلك أنسب شيء لك .. انك  
طماع تريد أن تلتهم كل شيء . ومع ذلك ، كنت أتق بك دائما  
... الحق انه كان يجدر بك أن تخجل من نفسك وأنت تسمع  
الاتهام يوجه الى الزوج المساكين دون أن تحرك ساكنا .. اننى  
أشعر بالحجل من نفسى كلما تذكرت اننى كنت من السذاجة  
بحيث صدقت كل هذا السخف .. عليك اللعنة .. لقد تبينت  
الآن لماذا كنت تتلف على التلكؤ .. لقد كنت تريد الاستيلاء على  
كل شيء !!

فقال « الملك » بخوف ، وبصوت مختنق : ولكنك كنت تريد  
ذلك يا دوق !

فقال « الدوق » : اصمت ، فاننى لا أريد أن اسمع شيئا ..  
والآن ، ها أنت ترى ما آل اليه الموقف .. لقد استردوا جميع  
نقودهم ، كما استولوا أيضا على كل ما كان معنا اللهم الا بنسات

قليلة . . . هيا ، اذهب للنوم واحذر أن تعترض طريقى مرة  
أخرى ما دمت حيا .

فتسلل « الملك » الى داخل العائمة وأخذ يعب الويسكى طمعا  
فى الراحة . . وبعد قليل ، أخرج « الدوقى » زجاجته أيضا وبدأ  
يجرع ما فيها . . وبعد نصف ساعة كان المحتالان يغطان فى  
نومهما ، وقد احتضن كل منهما صاحبه . . وما أن استغرقا فى  
النوم حتى رحت أروى لصديقى « جيم » كل شئ !

## الفصل الحادي والثلاثون

خطط جهنمية - اختفاء « جيم » -  
أخبار من « جيم » - ذكريات  
قديمة - معاولات مفيدة - الجنوب \*

---

ظللنا مبحرين أياما وأياما دون أن نقف عند أية مدينة . .  
وراحت العائمة تنساب فوق صفحة النهر . وكنا في ذلك الوقت  
نعبر ماء الجنوب الدافئ ، وقد أصبحنا بعيدين جدا عن وطننا  
الأصلي . . . وبدأنا نرى أشجارا يتدلى منها طحلب اسباني أشبه  
بالدقن الطويلة التي وخطها الشيب . وأدرك الدعيان أنهما أصبحا  
الآن بمأمن من الخطر ، فاستأنفا الاحتيال على القرويين هناك !!

واستهلا عملهما بالقاء محاضرة عن العفة ، ولكنهما لم يصيبا  
نجاحا يذكر . . وافتتحا مدرسة للرقص في قرية أخرى ، ولكنهما  
لم يكونا يعلمان عن الرقص شيئا . فما أن افتتحا حلبة الرقص  
وراحا يقفزان هنا وهناك حتى طردهما الناس من القرية ، وحاولا  
بعد ذلك أن يحتالا على الناس عن طريق التنويم المغناطيسي  
والتطبيب ، ولكن الحظ تخلى عنهما . وأخيرا اضطرا الى البقاء  
على العائمة وهي منطلقة مع التيار ، وراحا يقدحان زناد فكرهما . .  
كانا يستغرقان في التفكير نصف يوم كل مرة . . وارتسمت على

وجهيهما علامات اليأس المرير ، وأخيرا راحا يعقدان اجتماعات طويلة كانا يتحدثان أثناءها بصوت خفيض ، ساعتين أو ثلاث ساعات كل مرة ، فانتابني أنا و « جيم » القلق ، فقد بدأنا نشعر أن اللعينين يدبران خطة جهنمية ، ورحنا نقلب الأمر على جميع وجوهه ، وأخيرا اعتقدنا أنهما لا بد يعتزمان السطو على منزل أو حانوت أو تزييف النقود ، فانتابنا ذعر شديد ، واتفقنا على ألا نشترك معهما في مثل هذه الأعمال ، وأن ننتهز أول فرصة تسنح لنا للهرب . . وذات صباح ، رسونا في ساعة مبكرة في مكان آمن على مبعدة ميلين جنوبى قرية كالحة اسمها «بايكسفيلى» ، ونزل « الملك » الى النشاط وطلب منا جميعا أن نظل محتبئين ريثما يذهب الى القرية ليستوثق مما اذا كان قد بلغها أى نبأ عن أعمالهما ؛ فقلت لنفسى : لا شك انه يريد أن يزور القرية ليرى ان كان هناك منزل يصلح للسطو عليه ، فاذا ما انتهى من سرقاته عاد الى هنا « ! تم قلت لنفسى « ولكنه حين يعود لن نجدنا ! ! » وافقت من تأملاتى على صوته يقول : « اذا لم أعد عند الظهر ، فليعلم الدوق أن كل شىء على ما برام ، ومن ثم نلحق به أنا والدوق ! !

وبقينا حيث نحن . وكان « الدوق » كثير التملل والتجهم . . كان ينهرنا لانفقه الأمور ، فأدركت أن هناك شيئا ، ولهذا سرنى أن « الملك » لم يظهر له أى أثر حتى الظهر . . فقد كان ذلك خليفا بأن يغير الموقف الراهن على الأقل ، وبأدركت أنا و « الدوق » بالذهاب الى القرية . ورحنا نجوب فى أرجائها بحثا عن «الملك» . وسرعان ما عثرنا عليه فى غرفة خلفية من حانة وضيعة بها كثير من المتسكعين بضايقونه عابثين . أما هو فكان يسبهم ويشتمهم بكل قوته ! وانفجر « الدوق » يسبه ويصفه بالحماسة ، فبدأ « الملك » يتراجع ثم هجم على «الدوق» . وما كاد الاثنان



يشتبكان معا حتى أخذت أراجع نحو الباب ، ثم تسلمت منه ، وأطلقت ساقى للريح فى طريقى الى السائمة كفضال شارد ، لقد أيقنت أن فرصتنا قد حانت ، وفررت أن ابادر بالرحيل حتى يعجزا عن اللحاق بنا ثانية . وبلغت الشاطيء ، وأنا الهت من التعب . ولكنى كنت مسرورا مرحا وصحت :

— أطلق العائمة بلا ابطاء يا « جيم » ، فاننا بأمن الآن .

ولكنى لم أتلق ردا . . . . لقد اختفى جيم ! . . . ورفعت عفىرتى مناديا مرة ، ثم اثنتين ثم ثلاث مرات ، واخذت اركض فى هذا الاتجاه وذلك وأنا أصرخ وأصيح ولكن دون جدوى . . لقد اختفى « جيم » العجوز . . ولم اكف عن النداء . . تم عدت الى الطريق محاولا التفكير فيما يحسن بى أن افعله . وصادفت غلاما سائرا فسألته ان كان قد رأى زنجيا غريبا يرتدى كذا وكيت فأجاب :

نعم . . .

فسألته : أين ؟

— هناك عند مزرعة « سيلاس فيلبس » على مبعدة ميلين جنوبا . . . انه زنجى هارب . . . ولقد قبضوا عليه ، هل تبحث عنه ؟ . . .

— لا . . . لقد قابلته فى القابة منذ ساعة أو اثنتين فهددنى بقطع رأسى اذا صحت ! وأمرنى بالبقاء حيث كنت فامتثلت لأمره وبقيت هناك منذ ذلك الحين . . . فقد تملكى الخوف وخشيت الخروج من القابة .

فقال : حسنا ، ليس هناك ما يدعوك للخوف بعد الآن . . وقد قبضوا عليه . . انه هارب من مكان ما فى الجنوب .

— لقد أحسنوا صنعا بالقبض عليه .

— اعتقد ذلك ، فان هناك مكافأة قدرها مائتا دولار لمن يقبض

عليه ... لقد كان العثور عليه بمثابة العثور على نقود في عرض الطريق .

— نعم ... هذا صحيح ... كان في استطاعتي ان أحصل عليها لو أنني تغلبت عليه ... لقد كنت أنا أول من رآه ... لكن من الذي قبض عليه ؟

— كهل غريب باع المكافأة بأربعين دولارا ، لأنه كان مضطرا الى الرحيل عبر النهر ، ولا يستطيع الانتظار ... لو أنني كنت مكانه لانتظرت ولو أدى الأمر الى الانتظار سبع سنوات .

فقلت : لعل فرصته في الحصول على المكافأة لم تكن كبيرة ، مادام قد باع الزنجى بهذا السعر ... ولعل في الأمر شيئا ! ..

— ليس في الأمر شيء ... لقد رأيت الاعلان بنفسى ... كانت الأوصاف تنطبق عليه تماما . وقد جاء بالاعلان انه هارب من مزرعة في جنوب « نيو اورليانز » ... اخبرنى ، هل معك مضغطة طباق ؟ ولما لم يكن معى طباق ، فقد انصرف الغلام . أما أنا ، فقد عدت الى العائمة ورحت أفكر ، ولكننى لم أستطع ان أصل الى قرار ، فمضيت فى التفكير حتى أعيانى ... وانتابنى حزن قاتل ... فها هى جهودنا كلها تبوء بالفشل ، بعد هذه الرحلة الطويلة ، وبعد كل الذى فعلناه من أجل هذين الوغدين ! ... يا لهما من وغدين حقيرين ! ... لقد باعا « جيم » المسكين الذى سيعود رقيقا كما كان ... باعا بأربعين دولارا ... ولقوم غرباء أيضا ! !

وبكيت ... بكيت لما وشفقة على « جيم » ... لقد كان من الأفضل ألف مرة أن يكون جيم رقيقا فى وطنه حيث أسرته وفكرت فى أن اكتب رسالة لصديقى « توم سوير » أطلب اليه فيها أن يبلغ « الأنسة واطسون » أين يوجد جيم ، ولكنى سرعان ماتخليت عن هذه الفكرة لأمرين ، أولهما أن « الأنسة واطسون » سيجن جنونها بسبب ندالة « جيم » ونكرانه للجُميل وفراره منها ، ولن تتردد

في أن تبيعه ثانية ؛ وحتى إذا لم تفعل ذلك ، فإن الجميع سيحتقرونه لأنه برهن على أنه زنجى جاحد ناكِر للجميل ، وبهذا يظل جيم موضع الازلال والمهانة ... والأمر الثانى هو موقفى أنا ... فسيحتقرنى الجميع لأننى ساعدت الزنجى على الهرب !! .

وهكذا تبلبل تفكيرى ، ولم أعد أعلم ماذا أفعل ، وأخيرا قررت أن اكتب الرسالة ... فالتقطت ورقة وقلما وأنا أشعر بأعظم السرور والانفعال ، وجلست أكتب ما بلى :

« يا آنسة واطسون ، ان زنجيك الهارب جيم موجود هنا على مبعدة ميلين جنوبى «بايكسفيل» لدى مستر «فيلبس» الذى لن يتردد فى اعادته لك اذا أرسلت المكافاة اليه - هاكبرى فن » .

وشعرت براحة عظيمة ، ولكن راحتى لم تستمر طويلا ... فقد عاودتنى الذكريات ... ذكريات رحلتنا الطويلة فى النهر ، ورأيت فى موكب الذكريات « جيم » المسكين يغنى ويضحك معى ونحن طافيان فوق صفحة الماء ! وتذكرت كيف كان يقود العائمة بدلا منى حتى أنعم بالراحة والنوم ... وتذكرت سعادته حينما عدت فى قلب الضباب وعند ما عدت اليه ثانية فى ذلك المستنقع حيث وقعت معركة الثأر . كما تذكرته فى مناسبات كثيرة مماثلة ينادينى يا « حبيبى » ، ويدللى ، ويفعل ما يستطيع من أجلى . وأخيرا تذكرت كيف أنقذته حينما قلت للشرطيين ان بالعائمة رجلا مريضا بالجدرى ، وكيف أعرب لى عن عميق شكره قائلا اننى أفضل صديق عرفه فى حياته ، واننى الصديق الوحيد الذى بقى له ... وعندئذ حانت منى التفاتة فرأيت الورقة التى كتبت عليها الرسالة !

كان موقفا حرجا ، فالتقطت الورقة وظللت ممسكا بها فى يدى وأنا أرتعش ... كنت مضطرا الى أن اختار - والى الأبد - بين

أمريين ... وكنت أعرف سلفا القرار الذى سبأئخذه ؛ ولكننى مضيت أفكر وأنا أحبس أنفاسى ، ثم لم ألبث ان قلت لنفسى :  
- لن أبعث بالرسالة !! ... لن يعود « جيم » رقيقا كما كان !!  
ثم مزقت الورقة .

وأخذت أفكر فى وسيلة أحرر بها « جيم » المسكين ... وطافت  
بذهنى أفكار كثيرة . وأخيرا استطعت أن أرسم خطة تلائمنى .  
وعلى الفور قررت الذهاب الى جزيرة كثيفة الأشجار فى الجانب  
الجنوبى من النهر . وفى هدأة الليل ، مضيت الى الجزيرة وعند ما  
بلغتها أخفيت العائمة هناك ، ثم قضيت الليل نائما ، واستيقظت  
مع الفجر فتناولت طعام افطارى وارتديت أفخر مالدى من ثياب .  
وحزمت أمتعئ القليلة ، ثم ركبت القارب ومضيت الى الشاطئ ،  
حيث نزلت فى بقعة رجحت انها مزرعة « فيلبس » ، ثم أخفيت  
حزمتى فى الغابة ، وملأت القارب بالصخور حتى غطس الى القاع  
فى مكان أستطيع العثور عليه فيه عند ما تدعو الضرورة الى ذلك !  
ثم مضيت فى الطريق . وعند ما مررت بمصنع أخشاب مستر  
« فيلبس » رأيت لافتة فوقه تحمل كلمات « مصنع فيلبس لنشر  
الأخشاب » فلما أشرفت على منازل المزرعة على مسيرة مائتى أو  
ثلثمائة ياردة أخرى ، حرصت على مراقبة الطريق بدقة ، ولكننى  
لم أر أحدا ، رغم ان النهار كان قد تقدم . ثم انطلقت الى المدينة  
رأسا . وكان « الدوق » أول رجل صادفته عند ما وصلت الى  
المدينة ... كان يلصق اعلانا عن التمثيلية الملكية معلنا تمثيلها  
ثلاث ليال ، كما حدث فى المرة السابقة ... فبالصفقة هذين  
المحتالين الدعيين ! ولم أستطع التراجع أو الانسحاب ، أما هو ،  
فقد بدت عليه الدهشة وقال :

- من أين جئت ؟

ثم أردف بلهجة تنم عن لهفة شديدة : أين العائمة ؟ هل أخفيتها  
في مكان آمن ؟

فأجبت : هذا هو السؤال الذي كنت سألقيه على سعادتكيم .  
فاختفى الفرخ من فوق صفحة وجهه وقال : ماذا ؟ !

فقلت : عند ما رايت « الملك » في تلك الحانة أمس ، أيقنت انه  
مخمور وأنه لا يستطيع أن يسير على قدميه واننا لن نستطيع  
العودة به الى العائمة قبل عدة ساعات ، فأخذت أتسكع في المدينة ،  
وصادفني رجل وعرض على عشرة سنتات مقابل مساعدتي له في  
جذب قارب الى النهر ثم اعادته لنقل شاة ، فمضيت معه ، وما ان  
جذب الشاة الى القارب تاركا لي زمام الحبل الذي يشدها حتى  
جذبت الشاة الحبل بقوة لم أستطع مقاومتها ، وانطلقت تعدو  
فاضطررنا الى مطاردتها ، ولما لم يكن معنا كلب ، فقد اضطررنا  
الى مطاردة الشاة في جميع أرجاء المدينة حتى تملكها الاعياء ، ولم  
نستطع الامساك بها الا بعد وقت طويل . . . ثم ذهبت الى العائمة ،  
فلما بلغت المكان الذي تركناها فيه لم أجد لها أثرا ، فقلت لنفسي  
« لعل بعض المتاعب واجهتهم فاضطروا للرحيل ، ولكنهم أخذوا  
جيم ، الزنجي الوحيد الذي بقي لي في هذا العالم ، وها انذا في  
بلد غريب ، وجلست أبكي ثم نمت في الغابة طوال الليل . . . والآن  
ماذا حدث للعائمة ؟ ولجيم . . . جيم المسكين ؟ »  
فقال الدوق :

— لست أدري . . . ما الذي حدث للعائمة ؟ أن صديقي الكهل  
كسب أربعين دولارا أنفقها في الحانة ! وعندما عدنا الى مكان العائمة  
في ساعة متأخرة من الليل تبين لنا أن العائمة قد اختفت ، فظن كل  
واحد منا انك سرقت العائمة وتنكرت لنا ! ! وعندما ضاع كل أمل  
في العثور على العائمة ، لم نجد مفرا من اعادة تمثيل المسرحية

الملكية ... ومنذ ذلك الحين لم أذوق طعاما ... هات السنتات  
العشرة التى معك ... هاتها ..

وكانت معى نقود كثيرة فأعطيته عشرة سنتات توصلت اليه  
أن ينفقها فى شراء الطعام وأن يعطينى بعضه ، بحجة أن هذا المبلغ  
هو كل ما أملك وأننى لم أتناول طعاما منذ أمس .  
ثم قال « الدوق » فجأة :

– هل تعتقد أن ذلك الزنجى سيتبى بنا ؟ سوف نسلخ جلده  
إذا فعل ذلك .

– وكيف يستطيع أن يشى بكما ؟ ألم يهرب ؟  
– كلا ... ان صديقى الكهل الأحمق باعه ولم يقاسمنى ثمنه ،  
وبدد النقود فى الحانة ! !

فقلت : باعه ! ! .. باع « جيم » ؟ !!  
ثم انفجرت باكيا وصحت : كيف يبيع « جيم » ؟ ... ان  
« جيم » ملك لى ... أريد « جيم » !  
– لا تصرخ يا غلام ... لن تستطيع الحصول عليه ... حذار  
أن تفضح أمرنا أو تشى بنا ؟ الحق اننى لا أنق بك ، لكن اذا سولت  
لك نفسك الوشاية بنا ...  
وكف عن متابعة الحديث وانطلقت من عينيه نظرات وحشية ،  
فقلت له :

– لست أريد أن أشى بأحد ... وليس عندى من الوقت ما  
أنفقه فى الوشاية بأحد ؛ فاننى مضطر الى البحث عن « جيم » .  
فبدا عليه القلق ووقف فى مكانه والاعلانات تتأرجح فوق ذراعه ،  
وراح يفكر وهو مقطب الحاجبين .  
وأخيرا قال : سأقول لك شيئا – اننا مضطرون للبقاء هنا ثلاثة  
أيام ، فاذا وعدتنى بألا تشى بنا ، وإلا تدع الزنجى يشى بنا ،  
فسأقول لك أين تعثر عليه .

فوعده بذلك ... فقال :

— ان فلاحا اسمه سيلاس قد ...

وكف «الدوق» عن الكلام ... كان قد سرع يقص على الحقيقة ولكنه حين كف عن الكلام على هذا النحو أيقنت انه عدل عن رأيه ! لم يكن الرجل يتق بى ، وكان يريد أن يتأكد من ابعادى عن طريقهما طوال الايام الثلاثة فقال :

— ان الرجل الذى اشتراه يدعى « ابرام »وسنر» — ابرام .  
ج . فوستر وهو يقيم على مسافة اربعين ميلا جنوبى هذه القرية على طريق لافايت .

فقلت : فى استطاعتى ان أقطع هذه المسافة سيرا على الاقدام فى ثلاثة أيام ... وسأبدأ رحلتى بعد ظهر اليوم .

— لا ... ابدأ رحلتك الآن ، واياك واضاعة الوقت ، أوالتسكع فى الطريق ... وحذار من التحدث مع أحد . امسك لسانك وامض فى رحلتك حتى تأمن الوقوع فى مشاكل معنا ... هل سمعت ؟ ...

وكان هذا هو كل ما أريد ... كنت أريد ان يتركنى وسأنى لأنفذ خطتى ...

قال : هلم انصرف ... فى استطاعتك ان تقول لمستر فوستر ما تشاء ، فقد تستطيع أن تجعله يصدق ان جيم زنجيك — فان البلهاء لا يطالبون برؤية الوثائق ، وخصوصا أهل الجنوب ... ولعله يصدقك اذا قلت له ان الاعلان عن المسكافة مزيف ... اذهب الآن وقل له ما تشاء ، ولكن حذار ان تفتح فمك بكلمة واحدة وانت فى طريقك الى هناك !

وانصرفت قاصدا الى الجنوب ، ولم اتلفت حوالى لائنى كنت أشعر بان الدوق يراقبنى ... ومضيت فى سبيلى قرابة ميل

قبل أن أكف عن السير . ثم عدت من حيث أتيت مخترقا الغابة  
في طريقى الى مزرعة « فيلبس » ، فقد رأيت أن من الأفضل أن  
أنفذ خطتى بلا إبطاء حتى أقنع « جيم » بأن يمسك لسانه ريثما  
يتمكن هذان الرجلان من الرحيل ، حتى أتجنب إثارة أية متاعب  
معهما ، فقد ضقت ذرعا برؤيتهما ، وكنت أشد ما أكون لهفة على  
التخلص منهما .



## الفصل الثانی والثلاثون

هدوء شبيه بهدوء يوم الأحد - خطأ  
في معرفة الشخصية - موقف حرج

---

عند ما بلغت المزرعة ، كان كل شيء هادئاً هدوء يوم الأحد ، وكان اليوم حاراً والشمس ساطعة . وكان طنين الذباب يملأ الهواء فيزيد من وحشة المكان وكأنما مات جميع سكان المنطقة . فاذا هبت نسمة من هواء وداعبت أوراق الشجر ، جعلتك تحس بالحزن وتشعر كأن أرواح أشخاص ماتوا منذ أعوام طويلة تهمس حولك وتتحدث عنك !

كانت مزرعة « فيلبس » من مزارع القطن الصغيرة الكثيرة التي تشبه بعضها البعض . . . . فهناك سياج من القضبان حول ساحة سعتها فدانان ، ودرج مصنوع من كتل خشبية منشورة تستعمل في تسلق السياج ، كما تقف النساء فوقها حينما يحاولن الوثوب فوق ظهور الجياد . . . . وكان في الساحة الكبيرة منزلان كبيران لسكنى القوم البيض ، وهما مصنوعان من كتل خشبية منحوتة بها شقوق سدت بالملاط وطليت بالجير . وكان المطبخ الخشبي المستدير عبارة عن مبنى كبير يصله بالمنزل دهلز واسع مكشوف من الجانبين ولكنه مسقوف . وكان هناك ثلاثة أكواخ متجاورة

للزئوج ، مصنوعة من الكتل الخشبية أيضا على الجانب الآخر من المطبخ . . . كما كان هناك كوخ صغير مستقل مشيد عند مؤخرة السياج وبعض أبنية أخرى مشيدة فوق قطعة من الأرض على الجانب الآخر من السياج ؛ أحدهما مخزن للخشب والآخر به جهاز لصنع الصابون . . . ورأيت كلبا نائما فى الشمس ؛ وكلابا أخرى نائمة فى أماكن متفرقة تحت ظل ثلاث أشجار بعيدة عن ركن السياج . . . وكانت هناك حديقة ، ورقة من الأرض مزروعة بطيخا ، وبعدهما تبدأ حقول القطن . . . وبعد الحقول توجد الغابة .

ودرت حول السياج ، وتسقلت الدرج الخلفى المجاور لمخزن الخشب ، ثم انطلقت نحوالمطبخ . وعندما قطعت مسافة قصيرة ، سمعت طنين مغزل آلى رتيب . ومضيت فى طريقى تاركا للقدر توجيهى ! وعند ما قطعت نصف المسافة الى المطبخ ، أقبل أول كلب ، ثم أقبل كلب آخر ، وتحفز كلاهما ، فاضطرت الى الوقوف ومواجهتهما بالطبع ، وبقيت جامدا فى مكانى ، وكان الكلبان يزجران بشكل نحيف ، وبعد لحظات ألفتينى وسط حلقة تتكون من خمسة عشر كلبا مدت أذيالها وانوفها نحوى، وانطلقت تعوى وتزجر ، ثم لم ألبث ان رأيت مزيدا من الكلاب فى طريقها الى . واقبلت زنجية مهرولة من المطبخ وهى تحمل عصا وصاحت : « انصرفوا . . انصرف يا «نايج» وأنت يا «سبوت» . وهوت على أولهما ، ثم على الثانى بعصاها ، فانسحبا وهما يصرخان ، وأعقبهما الجميع ، وفى اللحظة التالية كان نصف الكلاب قد انسحب ، ثم عاد البعض يهز ذيله ويلتف حولى محاولا أن يبدى صداقته لى . . والحق أن الكلب حيوان أليف غير مؤذ . وخلف المرأة جاءت فتاة زنجية صغيرة وغللمان زنجيان لا يرتديان شيئا سوى قمصان من الكتان المغزول ، وتشبثوا

جميعا بثوب أهمهم ، وأخذوا يختلسون النظر الى في خجل كما يفعل الزوج . ثم جاءت امرأة بيضاء اللون في الخامسة والأربعين أو الخمسين من عمرها . . جاءت تركض من داخل المنزل ، عارية الرأس ، حاملة عصا الغزل في يدها . وأقبل وراءها أطفالها الصغار البيض . . وكانت المرأة تبتسم لى . . كانت الفرحة تنطلق من عينيها . . ثم قالت :

— آه ، أهذا انت أخيرا ، أليس كذلك ؟

وقبل أن أفكر في الأمر ، فلت : « نعم يا سيدتى » .

فجذبتنى إليها واحتضنتنى بشدة ، تم أمسكت بيدي وأخذت تهزهما . وغرورقت عيناها بالدموع ، ثم انحدرت الدموع من عينيها . ثم قالت :

— انك لا تشبه أمك الى الحد الذى تخيلته . . رباه ، كم أحب أمك . . اننى مسرورة . . أريد أن التهمك التهاما .

ونظرت الى أطفالها ثم قالت : « ها هو ابن عمكم نوم . . . قولوا له : كيف حالك ؟

ولكن الأطفال اشرأبوا بأعناقهم ووضعوا أصابعهم فى أفواههم ثم اختبأوا خلفها ، فقالت :

— هيا يا ليزا ، أعدى له افطارا ساخنا بلا إبطاء . . أم هل تناولت طعام افطارك على الباخرة ؟

فقلت لها اننى تناولته على الباخرة ، وعندئذ قادتنى من يدي الى المنزل والأطفال يسرون خلفها . وعند ما بلغناه ، أجلستنى فوق مقعد ذى قاعدة محطمة ، وجلست فوق مقعد منخفض قبالتى وقد أمسكت بكلتا يدي وقالت :

— أستطيع الآن أن أتأملك جيدا . . يا الهى . . كم كنت تواقا لرؤيتك طوال هذه السنين . . وها قد تحققت أمنيته أخيرا . .

لقد كنا نتوقع قدومك منذ يومين أو أكثر .. ماذا أعالك ؟ هل اضطررتم للارساء ؟

— نعم يا سيدتي .. انها ...

— لا تقل نعم يا سيدتي .. قل يا « خالتي سالى » .. أين وصلتيم ؟

ولم أدر بماذا أجيب لأننى لم أكن أعلم أكانت الباخرة قادمة من جنوب النهر أو من شماله ، فقلت :

— لم تضطر للرسو فى مكان معين .. فقد انفجر « صمام » من صمامات الباخرة !

— يا الهى ، وهل أصيب أحد ؟

— لا يا سيدتي .. فقط قتل زنجى من الزنوج ! ..

— الحمد لله .. فعند ما انفجر صمام من الصمامات يصاب أشخاص كثيرون .. فمئذ عامين وفى عيد الميلاد ، كان عمك سيلاس قادما من نيواورليانز على الباخرة « لالى روك » ، فانفجر أحد صماماتها وأصاب رجلا .. وأظن أن هذا الرجل مات بعد ذلك .. نعم لقد مات .. أصيب بنزيف حاد واضطروا الى بتر أحد أطرافه ولكن ذلك لم ينقذه .. نعم كان نزيفا شديدا ، ولقد تسمم الرجل فازرق لون جسمه كله ومات ، وسمعت أن منظره كان مخيفا .. ان عمك يذهب الى المدينة كل يوم للبحث عنك ، وقد ذهب اليها اليوم أيضا منذ أقل من ساعة ، وسيعود حتما فى أية لحظة الآن . لا شك أنك صادفته فى الطريق .. أليس كذلك ؟ انه كهل له ...

— لا ... لم أر أحدا يا خالتي سالى ، فقد رست الباخرة عند الفجر ، فتركت أمتعتى عند مرسى القوارب وتجولت فى المدينة وصواحيها حتى لا آتى الى هنا فى ساعة مبكرة ؛ ولهذا جئت عن طريق جانبى .

— عند من تركت أمتعتك ؟  
— لم أتركها عند أحد .  
— كيف أيها الطفل ؟ .. ستسرق الأمتعة .  
— لا لن يسرقها أحد من المكان الذى أخفيتها فيه .  
فقالت : اذن كيف تناولت طعام افطارك على الباخرة فى مثل  
هذا الوقت المبكر ؟

وأدركت اننى وقعت فى مازق فأسرعت أقول :  
— رأتى الربان أنسكع على سطح الباخرة فقال لى أنه يحسن  
بى أن اتناول شيئاً من الطعام قبل أن أهبط الى البر ، ورافقنى  
الى المطعم وقدم لى طعاما .  
وبدأت اشعر بالقلق ، حتى لقد صرفنى ذلك عن الاصغاء الى  
محدثتى ... كنت أفكر فى وسيلة استدرج بها الأطفال الى الحديث  
حتى أعلم من أنا !!  
تم قالت السيّدة :

— ولكن ما لنا ولهذا الحديث .. انك لم تقل لى كلمة واحدة  
عن أختى أو عن أى فرد من أفراد الأسرة .. ساكف عن الكلام  
الآن لتتحدث أنت ، حدثنى عن كل شيء .. حدثنى عنهم جميعا ،  
كل واحد منهم .. كيف حالهم وماذا يعملون ، وماذا طلبوا منك  
أن تبلفه لى ؟

وأدركت أننى وقعت فى مازق خطير .. لقد شد القدر ازرى  
حتى هذه اللحظة ، ولكنه تخلى عنى أخيرا ، وتركنى .. وخيل  
الى ألا جسدوى من المداورة ؛ فقلت لنفسى : « انه موقف حرج  
لا مخرج منه الا بذكر الحقيقة » .. وفتحت فمى لأتكلم ، ولكنها  
جذبتنى ودفعتنى خلف الفراش وهى تقول :  
— ها هو قد جاء .. اخفض رأسك حتى لا يراك ... نعم ،  
هكذا ... انه لا يستطيع أن يراك الآن فلا تكشف عن وجودك

هنا ، فاننى أريد مداعبته .. وأنتم أيها الأطفال ، حذار أن تقولوا كلمة واحدة .

واستطعت أن المح الكهل عند دخوله .. ثم حجبته الفراش عن عيني .. وقامت السيدة لاستقباله قائلة :

— هل أتى ؟

فأجاب زوجها :

— لا .

فقلت : يا الهى .. ماذا بحق السماء يمكن أن يكون قد حدث له ؟

فقال الكهل : لست أدري .. الحق اننى شديد القلق .

فقلت : قلق ، اننى أكاد أفقد عقلى .. لا بد انه جاء ولكنك

أخطأته فى الطريق .. اننى واثقة من ذلك ، فان قلبى يحدثنى به .

— ما هذا يا « سالى » ؟ من المستحيل أن أخطئ رؤيته على

الطريق ، وأنت تعلمين ذلك .

— ماذا تقول أختى ؟ لا ريب انه وصل وأنتك أخطأته ..

— الواقع اننى قلق .. « سالى » ، ان الموقف خطير .. لا بد

أن شيئاً ما حدث بالباخرة .

— ما هذا يا سيلاس ؟ أنظر هناك الى الطريق .. ألا ترى

شخصاً قادماً ؟

ووثب الكهل نحو النافذة عند رأس الفراش ، وبذلك أتاح

لزوجه الفرصة التى تنشدها .. فقد مالت الى الامام بسرعة

وجذبتنى من خلف الفراش . وعندما استدار الرجل بعد أن

تطلع عبر النافذة ، وجد زوجته تبسم ، بينما كنت أقف بجوارها

والعرق يتصبب منى .. فحدق الكهل فى وجهى وهتف :

— من هذا ؟

— من تظنه ؟

— لست أدري ... من هو ؟

— انه « توم سوير » !! . ابن أختى « توم سوير » !!  
وكدت أسقط على الأرض ، ولكن الوقت لم يتسع لذلك !  
فقد جذبني الكهل اليه وأخذ يهز يدي . أما زوجته ، فكانت  
ترقص طربا وتضحك وتبكي في وقت واحد . ثم راح الاثنان  
يمطرانى ببوابل من الأسئلة عن « سيدنى » و « مارى » وشتى  
أفراد أسرة « توم سوير » !!

واذا كان الزوجان قد استخفهما الطرب ، فاننى لم أكن أقل  
طربا منهما . فقد شعرت بأننى ولدت من جديد . . . كنت أشد  
ما أكون سرورا لأننى عرفت من أنا !! ورحت أحدثهما عن أسرتى  
— أعنى أسرة « توم سوير » وأسهب في الحديث ثم شرحت لهما  
كيف انفجر أحد صمامات الباخرة عند مدخل نهر هوايت، وكيف  
استغرق إصلاحها ثلاثة أيام ، استأنفت بعدها رحلتها !!

وكننت نهبا لهواطف متضاربة . . . أشعر بالطمأنينة حينما  
وبالخوف أحيانا . فعلى الرغم من أن تقمصى لشخصية «توم سوير»  
كان أمرا يبعث على الطمأنينة ، فاننى ارتعشت عند ما سمعت  
صوت باخرة تسير فى النهر ، فقلت لنفسى « لنفرض أن توم سوير  
جاء على هذه الباخرة ؟ ولنفرض انه جاء الى هنا فى أية لحظة ونطق  
باسمى قبل أن أفلح فى حمله على الصمت !! » . وأخيرا قررت  
أن اتربص له فى الطريق لأروى له حقيقة ما حدث . . . وقلت  
للزوجين اننى سأذهب لاحضار أمتعنى من المدينة ، فقال الكهل  
انه سيأتى معى ، ولكنى رفضت قائلا اننى أستطيع قيادة الجواد  
بنفسى واننى أفضل ألا يزعج الرجل نفسه من أجلى ! . . .  
ثم خرجت أبحث عن « توم سوير » !!

## الفصل الثالث والثلاثون

سارق الزنجى - كرم أهل  
الجنوب - القار المزركش بالريش

---

بدأت رحلتى الى المدينة مستقلا المركبة التى يجرها الجواد .  
وعند ما وصلت الى منتصف الطريق رايت مركبة مقبلة ، وكان  
« توم سوير » احد ركابها ، وناديت « توم سوير » فنزل من  
المركبة ، وعند ما رآنى فتح فمه كالبله وازدرد لعابه مرتين أو  
ثلاث مرات شأن انسان جف حلقه . تم قال :

— اننى لم أسىء اليك يا شبح « هاكلبرى فن » ... وأنت تعلم  
ذلك ... فلماذا تلاحقنى وتطاردنى ؟

فقلت : اننى لست شبح « هاكلبرى فن » ... اننى « هاك »  
نفسه !

وعند ما سمع « توم » صوتى اطمأن قليلا ، ولكنه لم يكن  
مطمئنا تماما ، فقال :

— لا تخدعنى لأننى لن أخدعك ... أخبرنى بأمانة ... الست  
شبحا ؟

— الحق اننى لست شبحا .

— اننى ... اننى ... اننى لا افهم شيئا ... اصغ الى ...  
الم تمت ؟ الم تقتل ؟



— كلا . . . لم أقتل . . . تعال تحسننى ان كنت لا تصدقنى فتحسننى . وعندئذ اطمأن قلبه وتهللت أساريره . . . لقد كان يظن كما ظن الجميع أننى قتلت ، ولهذا استبد به الفرح حينما وجدنى حيا ، فقد أدرك ان فى الأمر مغامرة ! . . . وطلب منى أن أشرح له كل شئ عن تلك المغامرة الفامضة التى أثارت ضجة كبرى فى مدينتنا ؛ فطلبت الى سائق المركبة أن ينتظر قليلا ريثما يعود اليه « توم » . . . وابتعدنا عن المركبة ، ورحت أروى لصديقى « توم » ما حدث . ثم طلبت اليه أن يبحث عن مخرج من « الورطة » التى وقعت فيها . . . ففكر هنيهة ثم قال :

— لقد وجدت الحل . . . خذ حقيبتى فى مركبتك وتظاهر بأنها حقيبتك ، ثم عد الى المزرعة ببطء حتى تصل إليها فى الوقت الذى كان ينبغى أن تصل فيه . . . أما أنا ، فسأعود الى المدينة ثم ألحق بك فى المزرعة بعد موصولك إليها بنصف ساعة تقريبا . . . وعند ما أصل الى منزل مستر « فيلبس » ، حذار أن تسلك سلوكا يدل على انك تعرفنى !

فقلت له : سأفعل ما تريد . . . ولكن مهلا . . . هناك أمر آخر لا يعرفه أحد سواى . . . هناك زنجى أحاول أن أسرقه لأعتقه . . . هذا الزنجى هو « جيم » خادم الأنسة واطسون .

فقال : ماذا تقول ؟ جيم . . . انه . . .

وكف عن الكلام واستغرق فى التفكير . فقلت له : أعرف ما ستقوله . . . ستقول ان سرقة الزنجى عمل غير شريف . . أرجو أن تدعنى أنفذ خطتى . . . هل تفعل ؟  
وومضت عيناه وقال : سأساعدك فى خطتك .

وشهقت ، فقد كان ذلك أعجب ما سمعت . . . لم أكن أتوقع ان يشترك « توم » الأبيض فى سرقة زنجى وتحريره ! . . . والحق ان « توم » سقط من نظرى !!

فقلت : كفى دعابة ... اننى اعلم أنك لن تساعدنى !

— بل اننى جاد فيما اقول .

— سواء كنت ساخرا أم جادا ، فاننى اطلب اليك ألا تتحدث عن هذا الزنجى ... المفروض اننى .. وأنت أيضا لانعلم شيئا عنه .  
ونقلنا حقيبة « توم سوير » الى مركبتى ، بينما استقل هو مركبته وعاد بها الى المدينة . أما أنا ، فقد ركبت مركبتى وقدتها الى المزرعة ... وكنت مسرورا فلم أحسب حساب الوقت الذى كان ينبغى أن تستغرقه الرحلة ... ولهذا وصلت الى منزل مستر « فيلبس » . مبكرا ... وكان مستر « فيلبس » واقفا عند الباب فهتف :

هذا مدهش .. لقد قطع الجواد تلك الرحلة الطويلة بسرعة ! ..  
ليس كذلك ... هذا مدهش ... مدهش ... لن أبيع هذا الجواد ! ... لن أقبل مائة دولار ثمنا له ... لن أقبل ، مع اننى كدت أبيعته بخمسة عشر دولارا ... وياله من ثمن زهيد كنت اعتقد ان الجواد لا يساوى أكثر منه !!

وبدت أمارات السرور على وجه مستر « فيلبس » ... لقد كان رجلا طيب القلب ... انه لم يكن مزارعا فحسب ، وانما كان واعظا أيضا ... كان يدير شئون كنيسة صغيرة عند مؤخرة مزرعته أنشأها على حسابه الخاص لتكون مكانا للعبادة والتعليم ... ولم يكن يتقاضى أجرا أو مكافأة على مواعظه ... والحق ان أهل الجنوب كرام ... فهناك كثيرون مثل مستر « فيلبس » هناك ! ...

\*\*\*

وبعد حوالى نصف ساعة أقبلت مركبة « توم » ووقفت أمام الباب ، فرائتها الحالة « سالى » من النافذة ... فقد وقفت المركبة على مبعدة خمسين ياردة من النافذة !

ثم قالت الخالة « سالى » : ها قد جاء شخص آخر ... شد ما أعجب من يكون ؟ أكبر الظن انه غريب .  
وطلبت الى أحد ابنائها أن يأمر الخادمة بأن تضع « طبقا » آخر على المائدة للضيف الجديد !

واندفع الجميع نحو الباب الخارجى ليروا الزائر الجديد ! ..  
كان « توم » يرتدى أفخر ثيابه ، وكان يمشى بخطى متزنة هادئة . وعند ما وقف أمامنا ، رفع قبعته بحركة لطيفة أنيقة ثم قال :

— أكبر الظن أنك مستر آرشيبالد نيقولاس يا سيدى ؟

فأجاب « فيلبس » الكهل : لا يا بنى ... يؤسفنى أن أقول لك ان حوذى مركبتك خدعك ... ان مزرعة نيقولاس تبعد عن مزرعتنا بثلاثة أميال ... تفضل ... تفضل .

وتطلع « توم » إلى الوراء من فوق كتفه وقال : لقد سبق السيف العزل ، فقد اختفت المركبة .

— نعم ... صدقت يا بنى ... تفضل ... تناول الطعام معنا ... وسأعد لك مركبة تذهب بك الى مزرعة « نيقولاس » !

— اوه ... لست أريد أن أثقل عليكم ... شكرا ... شكرا ... سأقطع هذه المسافة سيرا على قدمى !

— ولكننا لن نسمح لك بالسير على قدميك ، فليس هذا من قواعد الضيافة عند أهل الجنوب ... تفضل ... أدخل .

وقالت الخالة سالى : اوه ، أدخل ... فان ذلك لن يسبب لنا أية مضايقة ... يجب ان تدخل ... ان الرحلة طويلة والطريق مملوء بالتراب ... ونحن لن نسمح لك بالسير على قدميك ... ولقد طلبت فعلا من الخدم أن يعدوا لك « طبقا » على المائدة بمجرد أن وقع بصرى عليك ... ادخل واعتبر نفسك فى منزلك .  
وشكرهما « توم » بحرارة ولطف ، ثم دخل . وعند ما استقر

به المقام قال انه غريب من مدينة بولاية « أوهايو » وان اسمه « وليام نومبسون » .

ومضى « توم » يتحدث ويسرف في الحديث عن « هيكسفيل » وكل انسان زعم انه يقيم هناك ، حتى بدأت أشعر بشيء من القلق ، وأتساءل كيف يمكن أن ينقذني حديثه هذا من ورطتي ! وأخيرا ، وبينما هو منطلق في الحديث ، انحنى فجأة الى الأمام وراح يقبل الخالة « سالى » فوق شفيتها ... ثم جلس في مقعده وكأنه لم يفعل شيئا ...

أما الخالة « سالى » فقد انتصبت واقفة في لمح البصر ، ومسحت شفيتها بظهر يدها وصاحت :

— أيها الجرو الجرىء ... لماذا قبلتني هكذا ؟ ... ماذا تعنى؟

— لا أعنى شيئا يا سيدتى ... لم أقصد الاساءة اليك ... لقد ظننت أن ذلك سيعجبك ويرضيك .

فقالت وهى تلتقط عصا المفزل : أيها الغبي الأحمق . ما الذى جعلك تظن ان تقبيلك اياى سيعبجنى ؟

— لست أدرى ... لقد قالوا لى ذلك ... كلهم قالوا لى ذلك .

— قالوا لك ذلك ؟ ان من قال لك ذلك مجنون ... يا لله ...

أننى لم أسمع مثل هذا السخف من قبل ... ولكن من هم أولئك الذين قالوا لك ذلك ؟

— الجميع ... الجميع قالوا ذلك يا سيدتى .

وحاولت المرأة أن تتمالك أعصابها ولكنها لم تستطع ... لقد التمعت عيناها ببريق الغضب وأخذت أصابعها تتحرك بتشنج كما لو كانت تتحفز لتنشب أظفارها فى عنقه وقالت : من هم « الجميع » ؟ ... اذكر لى أسماؤهم والا قتلتك !

فنهض « توم » واقفا وقد ارتسم الجزع على وجهه ، وأخذ يبحث عن قبعته ، ثم قال :

— انى آسف ... لم أكن أتوقع ذلك ... لقد طلبوا منى أن أقبلك ... قالوا لى : قبلها ... قبلها ... انها ستحب هذه القبلات ... هكذا قالوا لى ... قالها كل واحد منهم ... ولكنى آسف يا سيدتى ، ولن أفعل ذلك مرة أخرى ... نعم لن أفعل ذلك مرة أخرى !

— لن تفعله ... أليس كذلك ؟

— نعم يا سيدتى ... لن أفعل ذلك إلا اذا طلبت منى أن أقبلك مرة أخرى !!

— لن تفعل ذلك إلا اذا طلبت منك أن تقبلنى ... يا لله ... اننى لم أر مثل هذه الوقاحة من قبل !

— ان قولك هذا يدهشنى يا سيدتى ... لقد قالوا لى انك ستبتهجين بتقبلى اياك ... ولقد كنت أظن ذلك ... ولكن .. وكف توم عن الكلام ، وتلفت حوله ببطء لعله يرى من يعطف عليه ، ثم تحول الى الكهل « فيلبس » وقال :

— ألم تكن تعتقد أنها تحب أن أقبلها يا سيدى ؟

— كلا ... اننى ... اننى ... لا أعتقد ذلك .

فمضى « توم » يتلفت حوله حتى وقع بصره على ، فقال :

— « توم » ... ألم تكن تعتقد أن الخالة « سالى » سوف تفتح

ذراعها وتقول « تعال يا سيدنى ... تعال بين أحضانى ... »

فصاحت المرأة : يا الهى ... سيدنى ! ... سيدنى !

ثم جرت نحو « توم » وهى تقول : أيها الشرير الأحمق الذى سخر من الجميع !

ثم همت باحتضانه ولكنه منعها من تقبيله قائلا :

— لا .. لن أسمح لك بذلك إلا اذا طلبت منى أن أدعك تقبلينى .

وطلبت اليه أن تحتضنه ، ثم احتضنته وقبلته عشرات المرات

... وعند ما فرغت من تقبيله ، تلقفه الكهل « فيلبس » وراح يقبله بدوره ...

ثم قالت الخالة « سالى » :

— يا لها من مفاجأة لم نكن نتوقعها ... نعم لم نكن نتوقع مجيئك .. كنا نتوقع زيارة « توم » فقط .. أن أختى لم تكتب لى أن أحدا غيره سيحضر .

فقال « توم » :

— لا تدهشى يا سيدتى .. لقد توسلت إليها أن تسمح لى بالحضور مع « توم » فسمحت لى فى اللحظة الأخيرة .. وعندما كنت مع « توم » على ظهر الباخرة ، فكرنا فى هذه المفاجأة ! .. لقد اتفقنا على أن نتظاهر بأن أحدا لا يعرف الآخر .. ولكن يبدو أننا أخطأنا يا خالتي « سالى » ... فأنتم على ما يبدو لا تمزحون مع الغرباء !

— نعم ... نحن لا نمزح مع الغرباء الوقيين يا « سيدنى » .. لقد شعرت بالفزع عندما رحت تقبلنى فجأة .. كنت أحسبك غريبا كما زعمت لنا !!



وتناولنا الطعام فى الممر الفسيح المسقوف الواقع بين المطبخ والمنزل . وكانت المائدة حافلة بألوان شتى من الأطعمة تكفى لأطعام سبع عائلات !! .

وتحدثنا طويلا بعد أن فرغنا من تناول الطعام . وكنا نتوقع أن يتحدث أحد أفراد الأسرة عن الزنجى الهارب ، ولكن أحدا لم يقل شيئا !! .. وأخيرا ، بعد أن تناولنا طعام العشاء فى تلك الليلة ، قال أحد الصبية :

— أمى ، هل تسمحين لى بأن اذهب أنا و «نوم» و «سبدنى» لمشاهدة « المسرحية » التى تعرض الليلة ؟  
فاجاب الكهل : لا تذهبوا .. اعتقد ان هذه المسرحية ان تعرض الليلة .. لا تذهبوا .. لقد روى لى الزنجى الهارب كل شىء عن فضائح المحتالين اللذين يعرضان المسرحية .. كذلك روى الزنجى الهارب لى ولصديقى « برتون » ما فعله هذان المحتالان فى مدن أخرى .. ولقد أقسم « برتون » بأن يفضح سرهما .. سوف يطرد هذان المحتالان من مدينتنا شر طردة !!  
وأدركت على الفور أن الواقعة قد وقعت .. أدركت أن «جيم» قد فضح سر هذين المحتالين فقررت أن أعمل بسرعة قبل فوات الوقت !!

وتظاهرنَا — أنا ونوم — بعد العشاء بأننا نريد أن ننام .. وذهبنا الى غرفتنا .. وبعد أن أغلقنا بابها ، تسللنا من النافذة وهبطنا من فوق السياج ، وانطلقنا صوب المدينة .. لقد كنت أريد أن أروى للمحتالين « الملك » و « الدوق » ما حدث حتى لا يقعَا فى « ورطة » خطيرة !!

وبينما نحن سائران فى الطريق أخبرنى « نوم » بكل شىء عن صدى مغامرتى !.. كيف اختفى أبى بعد اختفائى مباشرة ، وام بعد ثانية .. وكيف أثار فرار « جيم » ضجة عظيمة ،.. وكيف اعتقد الجميع اننى هلكت . وحدثت « نوم » بدورى عن « الملك » و « الدوق » ، ورحلتنا فى العائمة ..

وكنا قد وصلنا الى المدينة فى ذلك الوقت وتقدمنا حتى قلبها .. وكانت الساعة قد بلغت الثامنة والنصف مساء .. وهناك رأينا كثيرا من الناس مقبلين نحونا وهم يحملون المشاعل .. وكانوا يصخبون ويصيحون ويدقون على بعض الأوانى النحاسية ، وينفخون فى الأبواق !.. ولذا بمكان اختبأنا فيه .. وعندما مرت

المظاهرة الصاخبة أمامنا ، رأيناهم يحملون « الملك » و « الدوق »  
وقد أوتقوهما وأحكموا وثاقهما . . ولقد عرفت انهما « الملك »  
و « الدوق » رغم انهما كانا ملطخين بالقار المزركش بالريش . .  
لقد كانا أشبه بوحشين ممسوخين . وعندئذ أحسست بأن قلبي  
يفوص بين جنبى كما أسفت من أجل هذين التعسفين ، فقد كان  
منظرهما مؤلما حقا !

وأخيرا أدركت أننا جئنا متأخرين ، واننا لا نستطيع أن نفعل  
شيئا لانقاذ هذين الرجلين التعسفين . . وعندما سألنا الناس عن  
حقيقة ما حدث ، قالوا لنا انهم كانوا يعرفون ان الرجلين محتالان ،  
وانهم ذهبوا لمشاهدة العرض وهم يتظاهرون بأنهم لا يعرفون  
شيئا . . ولكن ما أن بدأ « الملك » و « الدوق » يؤديان أدوارهما  
على المسرح حتى أتى أحد الحاضرين بإشارة متفق عليها ، فانقض  
جميع النظارة على المحتالين وأحكموا وثاقهما وشيعوهما بهذه  
المظاهرة !!

ثم عدنا الى المنزل . . ولم اكن أشعر بالسرور . . لقد كنت  
حزينا من أجلهما ، رغم اننى لم أرتكب اثما أو ذنبا !!



## الفصل الرابع والثلاثون

الكوخ المجاور لمخزن الخشب -  
خطة ساذجة - متاعب السحر .

---

كنا نريد أن نعرف أين يوجد « جيم » الزنجى الذى نريد أن  
نحرره ! .. ورحنا نفكر .. وأخيرا قال « توم » :

- اصغ الى يا « هالك » .. لقد كنا حمقى ، لأننا لم نفكر فى  
ذلك من قبل .. اننى أعرف أين يوجد جيم .

- أحقا ؟ أين ؟

- فى الكوخ المجاور لمخزن الخشب .. اصغ الى .. ألم تلاحظ  
ونحن نتناول طعام الغداء أن زنجيا دخل هذا الكوخ وهو يحمل  
بعض العظام ؟

- نعم .

- لمن تظنه حمل هذه العظام ؟

- لكلب .

- هذا ما خطر ببالي أيضا .. ولكنه لم يكن لكلب .

- لماذا ؟

- لأن الزنجى كان يحمل أيضا قطعة من البطيخ .

— لقد لاحظت ذلك .. انه لأمر غريب حقا ، أننى لم أفكر فى أن الكلاب لا تأكل البطيخ .

— على كل حال ، لقد فتح الزنجى القفل بالمفتاح قبل أن يدخل ؛ ثم عاد فأغلقه عندما خرج منه .. ثم أعطى المفتاح للعم «سيلاس» عندما كنا نغادر المائدة بعد انتهائنا من تناول الطعام .. ولست أشك فى أن هذا المفتاح هو مفتاح باب الكوخ .. ان وجود البطيخ معناه وجود انسان فى الكوخ .. ووجود المفتاح معناه أن شخصا ما سجين فى الكوخ . ولما كان من غير المحتمل أن يكون هناك سجينان فى مزرعة صغيرة كهذه تسود فيها الألفة بين الناس ، فالأرجح أن « جيم » هو هذا السجين .

— ما دام الأمر كذلك ، هيا بنا نضع خطة لاطلاق سراحه .. فكر أنت فى خطة .. وسأفكر أنا فى خطة أخرى ..  
يا لعقلية هذا الغلام « توم » .. انه يتمتع بعقلية ممتازة ، لو كنت أتمتع بها أنا لما نزلت عنها حتى لو جعلوني دوقا ، أو ضابطا فى باخرة أو بهلوانا فى سيرك !

ورحت أفكر فى خطة .

وبعد قليل ، قال لى « توم » :

— هل أنت مستعد ؟

— نعم .

— هات ما عندك .

فقلت : اليك خطتى ، ان فى استطاعتنا أن نعرف بسهولة ان كان « جيم » مسجوناً فى الكوخ أم لا . ففدا ، نحضر زورقى أثناء الليل ، كما نحضر العائمة من الجزيرة .. وفى إحدى الليالى المظلمة نسرق مفتاح الكوخ من « العم سيلاس » بعد نومه ، ثم نطلق سراح جيم ؛ ونستقل العائمة ، ونرحل ليلا .. أليست هذه الخطة معقولة ؟

فقال « توم » :

— معقولة !! انها خطة بسيطة لا اتر فيها لابتكار .. ماجدوى  
خطة بسيطة كهذه لا غموض فيها ؟ .. انها لا تثير ضجة !! ..  
ولم أقل شيئا لأننى لم أكن أتوقع منه غير ما قال .. ولأننى  
كنت أعلم أنه قد وضع خطة أفضل من خطتى !

ولقد صح ما توقعت .. وذكر لى « توم » تفصيلات خطته ..  
وسرعان ما تبينت انها خطة مثيرة مبتكرة قد تحرر « جيم »  
ولكنها قد تنتهى بمصرعنا جميعا !!

وكانت خطته مثيرة حقا .. فما أن عدنا الى المنزل حتى ذهبننا  
الى الكوخ المجاور لمخزن الخشب لفحصه .. وشرنا عبر الساحة  
لنرى ما استفعله بنا الكلاب . وعرفتنا الكلاب فلم تثر من الصخب  
أكثر مما تنيره كلاب الريف كلما مر عابر سبيل .. وعندما وصلنا  
الى الكوخ القينا نظرة على واجهته وجانبيه ، ثم على الجانب الذى  
لم أكن أعرف شيئا عنه .. أى الجانب الشمالى الذى كانت توجد  
به نافذة مربعة عالية ، فى منتصفها لوح عريض من الخشب مثبت  
بالمسامير .

فقلت : آه .. ان هذه النافذة كبيرة الى درجة يستطيع  
« جيم » معها ان يتسلل منها اذا انتزعنا اللوح الخشبى .

فقال « توم » : ان هذه الخطة بسيطة غاية البساطة ، وسهلة  
غاية السهولة .. نريد خطة أكثر تعقيدا من هذه يا « هاكلبرى » ! .  
فقلت له : اذن نأتى بمنشار « نشتر » به أحد الجوانب ونخرج  
« جيم » منه .. فهذا هو ما فعلته أنا حينما حبسنى أبى فى  
الكوخ الخشبى !

فقال : هذه الخطة أكثر غموضا بعض الشيء .. ولكننى أريد  
خطة أخرى مثيرة .. لا تتعجل .. دعنا نفكر فى خطة أخرى !!

ثم أسرعنا عائدين الى المنزل فدخلناه من الباب الخلفى ! وذهبنا الى غرفتنا واستغرقتنا فى النوم .

واستيقظنا مع الفجر . . فذهبنا الى أكواخ الزوج لنداعب الكلاب ونتودد الى الزنجى الذى يطعم « جيم » - اذا صح أن « جيم » كان سجيناً فى هذا الكوخ - وكان الزوج قد فرغوا من تناول طعامهم فى تلك الآونة وتهيأوا للذهاب الى الحقول . أما الزنجى الذى اعتقدنا انه هو الذى يطعم « جيم » ، فقد كان يوشك أن يحمل « طبقاً » كبيراً به خبز ولحم وأطعمة أخرى .

كان هذا الزنجى لطيف المعشر ، ضاحك الوجه . . وكان نوبه كله مملوءاً بعقد صغيرة من الخيط الرفيع لكى تطرد السحرة ! فقد كان يقول دائماً ان السحرة يطاردونه ويضايقونه ، حتى بات يرى أشياء غريبة ويسمع كلمات وضوء لم يسبق له بها عهد فى حياته ! وكثيراً ما حدثنا عن متاعبه ومشاكله وما جره عليه السحر من وبال .

وقال له « توم » :

— لمن هذا الطعام ؟ هل ستطعم الكلاب ؟

فابتسم الزنجى . . وقال :

— نعم أيها السيد « سيدنى » . . سأطعم كلباً ، ولكنه كلب

عجيب أيضاً . . هل تحب أن تراه ؟

— نعم .

وقرصت « توم » ، وهمست : هل سندهب فى وضوح النهار ؟ ليست هذه هى الخطة التى اتفقنا عليها .

— انها خطة جديدة !

وذهبنا مع الزنجى ، ولكنى لم أكن مرتاحاً لذلك . . وعند ما دخلنا لم نستطع أن نتبين شيئاً . . فقد كان الظلام يلف الكوخ

كله . . ولكنى رأيت « جيم » هناك . . . وكان فى استطاعة « جيم » أن يرانا فهتف قائلاً :

— يا الهى ، هذا « هاك » . . اليس هذا هو مستر « توم » ؟  
وكنت أعلم أن شيئاً كهذا سيحدث فلم أدر ماذا أفعل . . .  
فقد قال الزنجى الحارس :

— يا للسماء ! هل تعرف هذين السيدين يا « جيم » ؟  
وتطلع « توم » الى الزنجى الحارس بنظرة تاقبة وقال له :  
— عمن تتحدث ؟ من الشخص الذى تعنيه بحديثك هذا ؟  
— الزنجى الهارب .

— انه لا يعرفنا . . ولكن ما الذى جعلك تعتقد انه يعرفنا ؟  
— ما الذى جعلنى أعتقد ذلك ؟ ألم يقل الزنجى الآن ما يوحى  
بانه يعرفكما ؟

— وهل تحدث الزنجى الهارب ؟ ومتى سمعته يتكلم ؟ وماذا  
قال ؟

ثم نظر « توم » الى حيث أقف وقال : هل سمعت أحداً يتكلم لا  
بالطبع لم يكن هنا ما يقال غير شىء واحد ، فقلت :  
— لا . . لم أسمع أحداً يقول شيئاً .  
ثم نظّر « توم » الى « جيم » وهو يتظاهر بأنه يراه للمرة  
الأولى . . وقال له :

— هل تكلمت ؟  
فقال « جيم » : لا يا سيدى . . لم أقل شيئاً .  
— ألم تنطق بأية كلمة ؟  
— لا . . لم أنطق بأية كلمة يا سيدى .  
— هل سبق لك أن رايتنا من قبل ؟  
— لا يا سيدى . . لا أنذكر اننى رايتكما من قبل . .

وعندئذ تحول « توم » الى الزنجى الحارس الذى كان بادى  
الجزع والحيرة وقال له برفق :

— ماذا دهالك ؟ ما الذى جعلك تظن أن شخصا قد تكلم ؟  
— أوه .. انه السحر اللعين يا سيدى .. ليتنى أموت حتى  
أستريح من هذا العناء .. انه يزعجنى دائما على هذا النحو  
يا سيدى ، ويكاد يقتلنى .. انه يفزعنى .. أرجو ألا تقولوا شيئا  
لأحد يا سيدى والا أساء الى السيد سيلاس .. فهو يقول دائما  
انه ليس هناك سحر ولا سحرة !!

وأعطاه توم قطعة من النقود ووعده بأننا لن نذكر لأحد شيئا  
عما حدث .. ثم نصح « توم » الزنجى الحارس بأن يشتري مزيدا  
من الخيط يصنع منه مزيدا من العقد .. ثم تطلع الى « جيم »  
وقال له .

— الحق انه زنجى ناكِر للجميل !! .. ترى ماذا سيفعل به  
« العم سيلاس » !! .. ليتة يشنقه ! .. فلو اننى قبضت على  
زنجى ناكِر للجميل كهذا الزنجى الهارب لما ترددت فى شنقه !!  
وبينما كان الزنجى يخرج من الباب ليتأمل قطعة النقود  
ويعرضها ليستوتق من انها ليست زائفة ، همس « توم » قائلا  
لجيم :

— تظاهر بأنك لا تعرفنا .. واذا سمعت صوت معول يحفر  
الأرض بالقرب من الكوخ ، لا تجزع .. فسوف نحفر « سردابا »  
نحررك عن طريقه !!

وضغط « جيم » على يدينا اعرابا عن شكره .. وفى تلك  
اللحظة عاد الزنجى الحارس ، فقلنا له اننا نريد أن نأتى معه الى  
الكوخ كلما ذهب اليه ، اذا سمح لنا بذلك ، فقال انه يود ذلك  
وخاصة فى الليالى المظلمة ، لأن السحرة لا ينشطون الا فى الظلام ..  
ولانه يريد ان يرافقه أحد حتى لا يدهمه السحر وهو وحيد ! !

## الفصل الخامس والتلاتون

### خطة الهرب - خطط منظمة - الخندق والسرداب !

كان « توم » يريد أن يجعل من تحرير « جيم » الزنجى مفامرة مشيرة .. وفكر فى أكثر من خطة ولكنه لم يرض عن واحدة منها .. كان يقول كلما بحثنا احدى الخطط :

— يا الهى .. انها خطة غير مشيرة .. فليس هناك حارس نخدرة ! .. وليس هناك كلب نقدم له جرعة منومة ! .. ان « جيم » ليس سجيناً بمعنى الكلمة .. فالقيد الحديدي الذى غلّوه به مثبت بأحد قوائم الفراش الحديدي الذى ينام عليه ، فاذا ما رفع الفراش وقع القيد .. وعدا ذلك ، فان « الهم سيلاس » يأتمن الحارس الزنجى على مفتاح الكوخ ، ولا يرسل فى أثر هذا الحارس شخصا آخر يراقبه ! .. كذلك يستطيع « جيم » أن يهرب من الكوخ عن طريق النافذة متى شاء ! .. الحق ان هذا الكوخ ليس سجيناً ! .. ولذلك يجب علينا أن نخلق مزيدا من الصعاب حتى يصبح تحرير « جيم » مفامرة تستحق القيام بها .. هلم بنا نبحث عن شيء نصنع منه منشارا !

— ولماذا تريد أن نصنع منشارا ؟

— لماذا نريده؟! .. السنا مضطرين الى « نشر » قائم فراش « جيم » حتى نخلصه من القيد الحديدي ؟  
— ولكنك قلت منذ لحظة أن رفع الفراش بكفى لوقوع القيد الحديدي على الأرض !

— يا لك من غبى يا « هاك » .. انك تريد تحرير « جيم » بسهولة! .. ألم تقرأ الكتب التى تروى قصص المغامرات ... مغامرات السجناء الذين هربوا من السجون؟ .. ان السجن الذى يريد أن يهرب يفعل الأعاجيب! .. انه « ينشر » قوائم الفراش ويبتلع « النشارة » الحديدية حتى لا يبقى لها أثر! .. ويصنع سلما من الحبال يستخدمه فى التسلق والهبوط! .. ويتفق مع رجال أشداء ينتظرونه فى الظلام ليضعوه فوق جواد ينطلق به بعيدا على أثر هروبه! .. ولهذا يجب أن نحصل على منشار ، وأن نصنع سلما من الحبال ! كذلك يجب أن نحفر خندقا حول الكوخ !

— ولماذا نحفر خندقا حول الكوخ ما دمنا نستطيع أن نحفر « جيم » عن طريق سرداب ضيق ؟  
— انها مغامرة يا صديقى ! فلنجعلها مغامرة بمعنى الكلمة ... والآن كيف نصنع سلما من الحبال يستخدمه « جيم » أثناء هروبه؟  
— ولماذا نحتاج لمثل هذا السلم ؟

— اننا نحتاج لسلم من الحبال ، لأن جميع السجناء الذين تحدثت عنهم كتب المغامرات استخدموا سلما من الحبال !  
— ولكن « جيم » لا يحتاج الى سلم من الحبال ! .. ألم نتفق على حفر سرداب يخرج من الكوخ عن طريقه ؟  
— ومع ذلك ، فاننا نحتاج الى سلم من الحبال ! .. وفى مقدورنا ان نمزق اغطية فراشنا لنصنع منها سلما نرسله لجيم داخل



« فطيرة » ! ... فهذه هى الطريقة التى تحدثت عنها كتب المغامرات .

— ولماذا كل هذا التعقيد يا « توم » ؟

— انك تجهل كل شىء عن المغامرات يا « هاك » ... اننا نريد ان نضع خطة منظمة ... وخير لك ان تقرأ كتب المغامرات وببل ان تتحدث .

— ما دام هذا هو ما يحدث دائما ، فاننى لا أمانع فى ذلك ... ولكننى أخشى أن تغضب الحالة « سالى » اذا نحن مزقنا اغطية فراشنا لنصنع منها سلما من الجبال ... ولهذا اعتقد انه من الخير لنا أن نحصل على سلم « جاهز » نخفيه داخل « فطيرة » كما تقول ...

— اصمت يا « هاك » ! انك جاهل ... هل سمعت ان سجبنا فى أحد سجون الدولة استخدم سلما « جاهزا » ؟ .. أنك تشرضحكى يا « هاك » ! ..؟

— اذن افعل ما تريد ... ولكننى ما زلت اوصيك بنجنب المشاكل ... لماذا لا « نستعير » أحد اغطية الفرائس المعلقة على جبل الفسيل ؟

— انها فكرة لا بأس بها ... وهى توحى الى بفكرة أخرى ... علينا أن « نستعير » قميصا أيضا !

— لماذا ... يا « توم » ؟

— ليكتب عليه « جيم » مذكراته .

— تعنى انك تريد أن يكتب « جيم » مذكرات على القميص ؟

— نعم ....

— ولكن « جيم » لا يعرف الكتابة !

— لنفرض انه لا يعرف الكتابة ... الا يستطيع ان يضع

علامات على القميص اذا صنعنا له قلما من ملعقة قديمة أو قطعة من الحديد ؟ !

— ولماذا لا نعطيه « ريشة » أوزة يتخذ منها قلما ؟ ... ان هذا أفضل وأسرع !

— ان السجناء لا يجدون الأوز في متناول أيديهم ، أيها القبي !  
... انهم يصنعون أقلامهم من أصلب وأقدم الشمعدانات النحاسية ! ... وقد يستغرق ذلك أسابيع وأسابيع وشهوراً وشهوراً ! ... انهم « يبردون » هذه الأقلام على الجدران ! ...  
لقد كان « ذو القناع الحديدي » يفعل ذلك دائماً ! !

— ولكن ماذا سيكتب « جيم » ؟

— يكتب أى شيء ... ان السجين يكتب رسالة فوق طبق من النحاس يلقيه من النافذة ليعرف أعوانه أين هو !

— ولكن « جيم » لا يملك أى طبق من النحاس .. انهم يطعمونه فى « مقلاة » !

— على أية حال نستطيع أن نحصل على بعض الأطباق ! ...

نم كف « توم » عن الكلام فقد سمعنا صوت البوق ينفخ ايذاناً بحلول موعد تناول العشاء

## الفصل السادس والثلاثون

جهد كبير - حفر السرداب -  
( استعارة ) أشياء - بين الكلاب !

---

عند ما اعتقدنا أن الجميع قد ناموا ، تسللنا الى الحظيرة وبدانا  
نعمل ! ... رحنا نحفر بمديتين صغيرتين حتى انتصف الليل .  
وشعرنا باعياء شديد ، والتهبت يدانا ، فقلت لصديقي « توم » :  
- يبدو ان الحفر بالمديتين سوف يستغرق ثمانية وتلاتين عاما !  
ولم يقل « توم » شيئا ... لقد تنهد وكف عن الحفر وراح  
يفكر ! ...  
ثم قال :

- لا فائدة يا « هاك » ... لقد التهبت يدانا ولن نستطيع ان  
نمضى فى العمل طويلا .

- وماذا نفعل يا « توم » ؟

- ليست هناك سوى طريقة واحدة ... هى ان نحفر السرداب  
بالفؤوس ، ونتظاهر بأننا حفرناها بالمديتين الصغيرتين ! !  
وأحضرنا فأسين رحنا نحفر بهما سردابا ... وظللنا نعمل  
زهاء نصف ساعة ... ولم نعد قادرين على العمل فعدنا الى  
المنزل .

\*\*\*

وفي اليوم التالي « استعار » توم ملعقة من الصفيح وشمعدانا نحاسيا ليصنع منها أقلاما حديدية يكتب بها « جيم » الزنجي رسائله على أطباق من الصفيح ! ... أما أنا ، فقد رحت أنسكع حول أكواخ الزوج وأترقب فرصة تسنح لى ! .. وحانت الفرصة فاستعرت ثلاثة أطباق من الصفيح قال « توم » أنها لا تكفى ! ولكنى قلت له ان أحدا لن يرى هذه الأطباق ، لأنها ستقع فى حظيرة الكلاب أو بين الأعشاب عند ما يلقيها « جيم » من النافذة بعد ان يكتب عليها رسائله ! ... ومن تم ، نستطيع أن نستعيدها مرة ثانية ونقدمها للزنجى الهارب ليستخدمها مرة أخرى ! ! ..

وأعجب « توم » بهذه الفكرة ... تم قال :  
— المشكلة الآن ، هى كيف نرسل هذه الأشياء الى « جيم » ؟  
فقلت له : عند ما نفرغ من حفر السرداب ، ندخل الكوخ ، ونعطيه هذه الأشياء .

فبدت أمارات السخرية على وجه « توم » ... وتمتم بعبارة معناها اننى أبله !

واستغرق فى التفكير تم قال انه فكر فى وسيلتين أو ثلاث وسائل ، وأنه يجب علينا أن نتصل بالزنجى الهارب « جيم » قبل اتخاذ القرار النهائى ! .

رئى تلك الليلة ، حملنا احاسى الشموع ووقفنا تحت نافذة الكوخ الذى يوجد به « جيم » ورحنا نصيخ السمع ، فطرق آذاننا صوت شخص « جيم » . وعندئذ دخلنا الحظيرة ورحنا نحفر من جديد ... وظللنا نحفر حوالى ساعتين ونصف ساعة . ثم تسللنا عبر السرداب الى الكوخ . وأوقدنا الشمعة ووقفنا نتأمل وجه « جيم » وهو نائم فى سكون وسلام ... وعندما أيقظناه ، استبد به السرور وكاد يبكى من الفرح . وراح يدللنا ويمطرننا بوابل من عبارات التدليل والشكر . ثم طلبَ اليّنا أن نأبى بأزميل نقطع به

القيد الحديدى الذى يشده الى الفراش ، ولكن « توم » رفض الاستماع اليه بحجة أن ما يطلبه « عمل غير مشروع » ! ... ثم شرح للزنجى الهارب كيف أننا سنحرره ، ولكن فى الوقت المناسب !!



وفى صباح اليوم التالى ، راح « توم » يقطع الشمعدان النحاسى ليجعل منه أقلاما حديدية ... ثم ذهبنا الى أكواخ الزوج . وبينما انهمكت فى حديث طويل مع الزنجى الحارس الذى يطعم « جيم » ، انتهز « توم » الفرصة ودس قطعة من الشمعدان فى رغيف كان على صفحة الطعام الذى يقدم للزنجى الهارب «جيم» ! . وحمل الزنجى الحارس الطعام الى « جيم » ، وذهبنا معه . وما أن بدأ « جيم » يقضم الرغيف بأسنانه حتى تعثرت أسنانه فى قطعة النحاس ، فتظاهر بأنها حصاة ، وأخرجها من فمه وأخفاها . وعندئذ استبد السرور بصديقى « توم » . فقد أدرك أن « جيم » بدأ يفهم !!

وفجأة برز كلبان من تحت فراش « جيم » ! . ثم جاءت كلاب كثيرة أخرى بلغ عددها أحد عشر كلبا ! وأدركنا على الفور أننا لم نغلق باب الحظيرة بالأمس عند ما فرغنا من حفر السرداب، وأن الكلاب جاءت الى الكوخ عن طريق هذا الباب !

وعند ما رأى الزنجى الحارس الذى يطعم « جيم » هذه الكلاب الكثيرة . صاح وركع على الأرض وراح يتأوه وهو يقول « السحرة ... السحرة ... أنه السحر » ! ... ثم أغمض عينيه وراح يبكى . وتسلسل « جيم » الى خارج الكوخ وألقى قطعة من اللحم فاندفعت الكلاب فى أثرها ... وأغلق « توم » باب الحظيرة ثم عاد ... وكان الزنجى الحارس لا يزال يبكى ، فحاول « توم » أن

يهدىء من تأثرته ، وسأله عما حدث وعما اذا كان قد تخيل وجود أشياء تزعجه ، فقال الزنجى :

— يا سيدي ... لن تصدقنى لقد رأيت مليون كلب ... مليون شيطان ... انها سحرة ! ... سحرة ! ... ليتنى قبضت على واحد من هؤلاء السحرة ! !

فقال له « توم » : لابد ان هذه الكلاب المسحورة جاءت فى نفس الوقت الذى يتناول فيه « جيم » طعامه ، لأنها جائعة ! ... انها جائعة ... فلماذا لا تعد لها « فطيرة » مسحورة ؟ نعم ... هذا هو ما يجب عليك أن تفعله !

فقال له الزنجى : ولكنى لا أعرف كيف أعد « فطيرة » مسحورة ! ...

فقال له « توم » : سأعدها لك بنفسى .

فقال الزنجى : ليتك تفعل ذلك ... هات قدميك أقبلهما !! فقال « توم » : سأعدها لك ... انك زنجى لطيف ... ولكن حذار أن تراقبنى وأنا أعد « الفطيرة » المسحورة ! ... وحذار أن تقول شيئاً اذا رأيتنى أضع فى « الفطيرة » أى شئ ! ... وحذار أن تنظر الى « جيم » وهو يأكل « الفطيرة » ! ... وحذار أن تلمس « الفطيرة » بيدك ! ! ..

فقال الزنجى : ألمسها بيدي ! ... كيف المسها بيدي ياسيدي؟ لن أنظر اليها ... ولن ألمسها ولو منحت مائة الف مليون دولار ! !

## الفصل السابع والثلاثون

القميص الأخير - البحث في كل  
مكان - الفطيرة المسحورة! ..

---

ذهبنا الى مخزن في الساحة الخلفية ، تضع فيه الأسرة مخلفاتها القديمة كالأحذية البالية والملابس القديمة والزجاجات المهشمة والأواني المحطمة .. وعثرنا على مقلاة قديمة من الصفيح ، فأغلقتها ما بها من ثقوب توطئة لاستخدامها في اعداد « الفطيرة المسحورة » ...  
... تم ملأنا المقلاة بالدقيق ...

وعدنا الى المنزل لتناول طعام الافطار ... وانتهز « توم » اقتراب « العم سيلاس » منه ، فوضع ملعقة قديمة في جيب معطفه .

وانتظرنا « الحالة سالى » ... وعند ما جاءت ، كانت بادية الغضب والضيق . واستقرت في مقعدها ، وصبت القهوة ، وراحت تعبت برأس أقرب طفل اليها ... ثم قالت لزوجها :  
- أين ذهب قميصك الآخر ؟ .. لقد بحثت عنه في كل مكان ، فلم أجده !

وغاص قلبى بين جنبى ، ووقف الطعام في حلقى ، فسعلت سعلة قوية جعلت الطعام يتطاير من فمى ... أما « توم » فقد اصفر وجهه ...

وقال « العم سيلاس » :  
- اننى فى حيرة ... اننى واثق من اننى خلعت هذا القميص  
لانى ...  
فقلت « الحالة سالى » :

- لأنك ترتدى القميص الآخر ! ... اننى أيضا واثقة من انك  
خلعته ... واثقة من اننى علقتة على « جبل الفسيل » أمس .  
فقد رأيته هناك ... ولكنه اختفى ! ... أين ذهب ؟ ...  
لا أدرى ... لذلك سوف تضطر الى ارتداء « الفانلة » الحمراء  
ريشما أصنع لك قميصا جديدا ... وسيكون هذا القميص الجديد  
ثالث قميص أصنعه لك خلال ثلاث سنوات ! ... أين ذهب  
القميص ؟ ... لماذا لا تحافظ على ملابسك ؟ !  
فقال لها « العم سيلاس » :

- سأبذل قصارى جهدى للمحافظة على ملابسى ... ولكن  
الخطأ ليس خطاى ! ... اننى لا شأن لى بهذه الملابس الا حينما  
أرتديها .. ولست أعتقد ان القميص اختفى حينما كنت أرتديه !!  
- يا « سيلاس » ، ليس القميص وحده هو الذى اختفى ! ..  
فقد اختفت ملعقة أيضا ! ... كان عندنا عشر ملاعق ؛ فأصبحت  
تسعا ... واذا افترضنا ان « العجل » الصغير أكل القميص ،  
فاننا لا نستطيع ان نفترض أنه أكل الملعقة أيضا ! !  
- وماذا اختفى أيضا ؟

- اختفت ست شمعات ! ... من المحتمل أن تكون الجردان  
قد أكلتها ... فلماذا لا تسد الشقوق التى تختفى فيها هذه  
الجردان اللعينة ؟

- اننى أعترف بخطاى يا « سالى » ... وأننى لأعدك بأن  
أسد هذه الشقوق قبل أن تطلع شمس الغد !  
- لست أرى مبررا للعجلة ! ...



ثم أقبلت خادمة زنجية لم تلبث أن قالت :  
 - لقد اختفى أحد أغطية الفراش يا سيدتى !  
 - اختفى غطاء ... يا الهى !!  
 فقال « العم سيلاس » وقد ارتسم الأسف على وجهه :  
 - سأسد هذه الشقوق اليوم .  
 فقالت « الحالة سالى » :  
 - وهل تظن أن الجرذان هى التى سرقت الغطاء ؟ ... أين  
 ذهب هذا الغطاء يا ليزا ؟  
 - لا أدرى يا سيدتى ... لقد كان « منشورا » على « حبل  
 الغسيل » أمس ... ولكنه اختفى !  
 - يا الهى ... قميص ... وغطاء فراش ... وست شموع  
 و .....  
 ثم أقبلت خادمة زنجية أخرى لم تلبث أن قالت :  
 - اختفى شمعدان نحاسى يا سيدتى !  
 فصاحت « الحالة سالى » :  
 - اختفى شمعدان نحاسى ؟ ! ... أغربى عن وجهى أيتها  
 الحمقاء ! ...  
 وجن حنون « الحالة سالى » ، وراحت ترفى وتزبد ، بينما  
 لاذ الجميع بالصمت ...  
 وراح « العم سيلاس » يعبث فى جيوب معطفه ، ولم يلبث أن  
 أخرج المعلقة التى كان « توم » قد دسها خفية فى جيبه ؛ فصاحت  
 « الحالة سالى » :  
 - هذا هو ما توقعته ... اذن فقد كانت المعلقة فى جيبك ! ..  
 فتش فى جيوبك ، عساك تجد الأشياء الأخرى ! ! ... ولكن بالله  
 كيف وجدت المعلقة طريقها الى جيبك ؟  
 فقال « العم سيلاس » :

— الواقع اننى لا أعرف يا « سالى » ... لقد كنت أقرا  
الاصحاح السابع عشر من الانجيل ؛ وأخنى أن أكون قد وضعت  
الملقعة فى جيبى وأنا أحسبها الانجيل !.. فالانجيل ليس فى  
جيبى !.. سأذهب الى حجرثى لأبحث عن الانجيل .. فاذا  
وجدته هناك ، سأؤكد من اننى لم أضعه فى جيبى .. وبذلك  
يكون ما حدث هو اننى وضعت الملقعة فى جيبى وأنا أحسبها  
الانجيل !..

ثم صرخت « الحالة سالى » :

— اذهبوا عنى جميعا .. دعونى أتدبر الأمر .. لا تعودوا الا  
بعد أن تهدأ ثورتى ...

وأطعنناها جميعا .. وقررت أنا و «\* توم » أن نسد الجحور  
التي تحتفى فيها الجرذان !..

وبدأنا نعمل على الفور .. واستغرق عملنا ساعة كاملة ..  
وسمعنا وقع أقدام تهبط الدرج ، فأطفأنا الشمعة التي كنا نعمل  
على ضوءها فى « البدروم » واختبأنا .. ورأينا « العم سيلاس »  
يدخل حاملا شمعدانا فى يده ! وكان شارد اللب .. وراح يبحث  
عن جحور يسدها فلم يجد شيئا .. فاستدار على عقبه وسار  
ببطء نحو الدرج وهو يقول :

— لست أتذكر متى أغلقت هذه الجحور !..

وارتقى الدرج وهو يتمتم ، فخرجنا من مخبأنا .. وكان « توم »  
كسيف البال لأن « الملقعة » التي وضعها خفية فى جيب معطف  
« العم سيلاس » اكتشفت قبل أن تصل الى « جيم » !!

واقبلت « الحالة سالى » فى الوقت الذى كان « توم » يبحث  
فيه بسلة الملاعق !.. فراح يعدها : وإنتهزت الفرصة فأخفيت  
ملقعة فى « كم » سترتى !.. وقال توم :

— ما هذا يا خالتي « سالى » ؟ ... ان عدد الملاعق لا يزال تسعا !

فقلت له :

— لا تضايقنى يا « سيدنى » .. انها عشر ملاعق .. لقد عددتها بنفسى .

— ولكنها تسع يا خالتي ! .. انها تسع .

فبدا عليها الضيق وراحت تعد الملاعق ، ثم هتفت :

— يا الهى .. انها تسع ملاعق .. ما معنى هذا ؟ .. ساعدها ثانية .

وبادرت بالقاء الملعقة فى السلة خلصة . واحصت « الحالة سالى » الملاعق ثم قالت :

— يا الهى .. انها عشر الآن !

وبدا عليها الاضطراب والحيرة فقال لها « توم » :

— انها تسع يا خالتي ..

— قلت لك انها عشر .. عشر ملاعق .

— لا بل تسع ملاعق

وبادرت فأخفيت ملعقة ؛ وراحت « الحالة سالى » تعد الملاعق فوجدتها تسعا .. وعندئذ ارتعدت أوصالها .. ومضت تعدها مرة وأخرى وثالثة ! .. وكنت أعمد الى حيلة اخفاء احدى الملاعق واعادتها كل مرة .. فكانت النتيجة عجيبة ! .. لقد احصت « الحالة سالى » الملاعق ست مرات .. فبلغ عددها عشر ملاعق فى ثلاث مرات ، وتسع ملاعق فى المرات الثلاث الأخرى !! .. واثارت ثائرة « الحالة سالى » فألقت بالسلة على الأرض وهى تصرخ :

— اغربا عن وجهى .. اثربا عن وجهى !

وانصرفنا على الفور .. وبادرنا بإعادة غطاء الفراش ووضع

فوق « جبل الفسيل » .. ثم « استعزنا » غطاء آخر من غرفة نوم « الحالة سالى » .. وظللنا نعيد الغطاء الى مكانه ثم نستعيره ثانية يومين متعاقبين ، فانهارت ثقة « الحالة سالى » فى نفسها ولم تعد تدرى كم يبلغ عدد اغطية الفراش .. واذا تولاها هذا الارتباك ، كفت عن ازعاج نفسها بهذا الأمر مرة أخرى !!.



وهكذا حصلنا على كل شيء .. على التميمص والغطاء والملعقة والشموع .. ولم يعد يقلقنا الا صنع « الفطيرة المسحورة » ! .. وأخيرا أعددنا « الفطيرة المسحورة » فى الغسابة . وقطعنا غطاء الفراش وصنعنا منه جبلا على شكل سلم . وحاولنا ان نخفى السلم المصنوع من جبال الغطاء داخل « الفطيرة » فلم نستطع .. فقد كان الجبل كبيرا . ومن ثم قنعنا بجزء صغير منه أخفيناها داخل « الفطيرة » !

وعند ما حمل الزنجى الحارس الذى يطعم « جيم » الفطيرة المسحورة لم يتحسسها أو يعيث بها ... وكنا قد أخفينا ثلاثة أطباق من الصفيح تحت المقلاة ، فحمل الزنجى كل شيء الى « جيم » .. وهكذا حصل « جيم » على كل شيء .. وعندما تركه الزنجى ، شطر « الفطيرة » الى شطرين ، وأخرج منها السلم المصنوع من الجبال .. وراح ينقش بعض العلامات فوق طبق من الأطباق الثلاثة ، ثم قذف به من النافذة كما قلنا له !

## الفصل الثامن والثلاثون

عبارة حزينة - النقش على  
الجدار - حجر الطاحونة \*

---

كان صنع الأقلام الحديدية والمنشار عملية شاقة ، ولكننا كنا مضطرين الى صنعها! .. فقد قال «توم» ان ذلك أمر ضروري!.

قال « توم » :

- لابد من الأقلام .. فكل سجين ينقش عبارة ما على جدران سجنه .. عبارة ما !

وانهمك « توم » في تأليف عدة عبارات ، سجلها على رقعة من الورق .. وقرأ لى هذه العبارات ، فاذا بها تقول :

- ١ - هنا تمزق قلب سجين أسير !
  - ٢ - هنا قضى سجين. نفس ، نبذه العالم والأصدقاء !
  - ٣ - هنا تحطم قلب سجين نفس ، وانطلقت روحه المعبدة بعد سبعة وثلاثين عاما في السجن الانفرادى !!
  - ٤ - هنا مات نبيل غريب لا وطن له ولا أصدقاء ، بعد سبعة عشر عاما قضاها سجيناً .. هنا مات الابن الشرعى للملك لويس السادس عشر!!
- وكان صوت « توم » يرتعش كلما نطق بهذه العبارات ...

وعدنا الى المنزل قبل ان يقع اختيارنا على العبارة التى يجب أن يسجلها « جيم » فوق الجدار!...

وكانت المشكلة هى أن « جيم » لا يعرف القراءة ولا الكتابة .. ولكن « توم » صمم على رأيه ، فقررنا أن نحمل « جيم » على « نقش » العبارة التى يقع عليها الاختيار ، بمسار حديدى ... فقلت لتوم :

– ولكن « نقش » هذه العبارة على الجدار سوف يستغرق وقتا طويلا ... وأخشى أن يطول الوقت ويطول ، فلا يخرج « جيم » من سجنه أبدا !  
وفكر « توم » لحظة ثم قال :

– ولقد نسينا أن جدران الكوخ مصنوعة من الخشب لا الصخر .. وبذلك لن يستطيع « جيم » أن ينقش العبارة التى نختارها له على أى جدار !!  
ثم قال :

– ولكنى وجدت حلا للمشكلة .. سوف أحصل على قطعة من الصخر ننقش عليها هذه العبارة ... سوف نخلع حجر الطاحونة وننقش عليه العبارة التى يقع عليها اختيارنا! ...  
ولم تكن هذه الفكرة صائبة .. فقررنا البحث عن حل آخر !  
وعدنا الى المنزل .. وتسللنا الى حجرتنا ، ولم نلبث أن استغرقتنا فى النوم ..

## الفصل التاسع والثلاثون

### الجرذان - خطابات مجهولة - الفرع .

فرغنا من اعداد خطتنا النهائية ... اصر « توم » على ان نضع في الكوخ الذى يوجد به « جيم » بعض الجرذان . . فالسجون تحفل بالجرذان دائما . . . واشترينا «مصيدة»<sup>2</sup> جرذان من السلك ، حملناها الى المنزل . وفتحنا أحد الجحور التى كنا قد أغلقناها . ووضعنا «المصيدة» أمام الجحر . . وبعد ساعة ، كانت «المصيدة» قد امتلأت بخمسة عشر فأرا كبيرا . . . فنقلنا « المصيدة » الى مكان أمين تحت فراش « الخالة سالى » . . . وعثر « توماس فرانكلين بنجامين جيفرسون الكسندر فيلبس » ابن السيد « سيلاس » - وهذا هو اسمه الكامل - على « المصيدة » ، ففتحها ، فانطلقت الجرذان منها . . . وفي نفس الوقت الذى انطلقت فيه الجرذان من « المصيدة » ، دخلت « الخالة سالى » الغرفة . وعندما عدنا رأيناها واقفة فوق الفراش وهى تصيح بأعلى صوتها ، فقد كانت الجرذان تتواكب هنا وهناك ! . . . وما أن رأنا « الخالة سالى » حتى أمطرتنا بوابل من اللوم والتأنيب ، فرحنا نقتنص الجرذان واحدا

فى اثر الآخر حتى عثرنا عليها جميعا بعد عمل متواصل استغرق  
حوالى الساعتين !..

وحملنا بعض الجرذان الى كوخ « جيم » . . . ونقلنا حجر  
الطاحون اليه أيضا ، فامتأ الكوخ بهذه الأشياء ، وأصبح «جيم»  
المسكين لا يجد مكانا ينام فيه !.. فقد كانت الجرذان تلاحقه  
وتطارده وتتراقص على فراشه !..

ثم أرسلنا القميص الى « جيم » داخل « فطيرة » ؛ وطلبنا  
اليه أن يكتب عليه ما يشاء بالدم الذى يقطر من الجروح التى  
أحدثتها الجرذان بجسمه !.. ونقش « توم » على حجر الطاحونة  
العبارة التى اخترناها له .. وكنا سعيدين ، فقد كانت الخطوة  
تنفذ بحذافيرها !..



وبعث « العم سيلاس » برسالتين الى « مزرعة أورليانز »  
طلب فيهما الى « الأنسة واطسون » أن تحضر لأخذ الزنجى  
الهارب « جيم » ، ولكنه لم يتلق رداً لأنه لم تكن هناك مزرعة  
تحمل اسم « مزرعة نيواورليانز » ! وأخيرا قرر « العم سيلاس »  
أن يعلن عن بيع « جيم » فى صحف « سانت لويس »  
و « نيواورليانز » .. وما أن سمعنا ذلك حتى سرت الرعدة فى  
أوصالنا ..

وقال لى « توم » :

— لا تخش شيئا .. سوف ألجأ الى الخطابات المجهولة ! !  
فقلت له :

— الخطابات المجهولة ؟ ! ... ما معناها .

— انها تحذير للقوم هنا بأن كارثة توشك أن تحل بهم ...

لقد تحدثت كل كتب المغامرات عن أمثال هذه الخطابات !!..



فهذه الخطابات تدخل الفرع في قلوب الناس ، فيبقون في منازلهم  
أثناء هروب السجين !  
وانهمك « توم » في اعداد خطاب جاء فيه :  
« احذروا .. ان المتاعب على الأبواب .. كونوا يقظين »  
الصديق المجهول ..

وأخذت الخطاب وقذفت به من « تحت الباب » !.. وفي  
الليلة التالية ، رسمنا صورة جمجمة وعظمتين متقاطعتين على  
الباب الأمامي .. وفي الليلة التالية رسمنا صورة « تابوت » ..  
وهكذا ركب الفرع الأسرة كلها !..  
وقررت الأسرة ان تضع عند كل باب زنجيا يراقب هذا الباب  
طيلة الليل ..

وكنا قد قررنا ان ننفذ خطتنا في فجر اليوم التالي ، فاعد  
« توم » خطابا ؛ ثم تسلق السياج ، والصق الخطاب على الباب ..  
وكان الخطاب يقول :

« اننى صديق لكم .. هناك عصابة من السفاكين تحاول ان  
تسرق الزنجى الهارب الليلة ... لقد حاولت العصابة ادخال  
الفرع في قلوبكم لنظفوا داخل المنزل فيسهل عليهم ارتكاب  
جريمتهم .. اننى أحد افراد هذه العصابة ، ولكننى رجل متدين  
أريد الانفصال عن العصابة لكى استأنف حياة شريفة ... سوف  
يتسلل أفراد العصابة من الناحية الشمالية ، ويتسلقون السياج  
عند منتصف الليل .. وسوف يستخدمون مفتاحا زائفا لدخول  
الكوخ الذى يوجد به الزنجى الهارب .. سأطلق لكم صوتا أشبه  
بالمواء حينما تهتم العصابة بدخول الكوخ .. وحينما تنهمك  
العصابة في فك قيود الزنجى ، تستطيعون ان تتسللوا الى الكوخ  
للقبض على أفراد هذه العصابة .. لست أبغى من وراء ذلك  
الحصول على أية مكافأة ... »

## الفصل الأربعون

صيد السمك - مطاردة عنيفة -  
(جيم) يصمم على استدعاء الطيب .

---

كانت روحنا المعنوية مرتفعة في الصباح ، فركبنا القارب ورحنا نصيد السمك !.. وقضينا وقتا طيبا .. ثم ذهبنا الى حيث تركت « العائمة » فوجدناها في مكانها .. وعندما عدنا الى المنزل مساء ، الفينا الجميع خائفين مذعورين ترتعد فرائصهم وأوصالهم !.. وما أن فرغنا من تناول طعام العشاء حتى طلبت الينا « الحالة سالى » أن نأوى الى الفراش !..

وصعدنا الدرج ، فى طريقنا الى حجرة النوم .. وما أن غابت « الحالة سالى » عن أنظارنا ، حتى تسللنا الى « البدروم » ، وحملنا كمية لا بأس بها من الطعام الى غرفتنا .. فقد كنا نزمع اطلاق سراح « جيم » فى تلك الليلة والهرب على الفور !.. وآوينا الى الفراش ، ثم استيقظنا حوالى الساعة الحادية عشرة .. وسألنى « نوم » :

— أين الزبد الذى أحضرناه من « البدروم » ؟

— لا أدرى ... أليس هنا ؟

— لا ...

— لماذا تصر عليه ؟  
— لا بد من الحصول عليه يا « هاك » .. تسلل الى « البدروم »  
واحضر كمية من الزبد ..

وذهبت الى « البدروم » بينما تسلل « توم » الى الخارج ..  
وهناك فى « البدروم » وجدت قطعة من الزبد فى حجم قبضة  
اليد كنت قد نسيتهـا فوق قطعة من الخبز ، فالتقطت قطعة الخبز  
المحملة بالزبد وحملتـها ورحت أرتقى الدرج الخشبيى .. وما أن  
بلغت الطابق الأرضي حتى رأيت « الحالة سالى » مقبلة وفى يدهـا  
شمعة .. فوضعت قطعة الخبز بما فوقها من زبد تحت قبعتى ..  
وواجهت الحالة سالى ...

قالت لى :

— هل كنت فى « البدروم » ؟

— نعم .. يا سيدتى ..

— وماذا كنت تفعل هناك ؟

— لا شئـ يا سيدتى .

— لماذا أنت هنا فى هذا الوقت المتأخر من الليل ؟

— لا أدرى يا سيدتى ..

— لا تدري ؟! .. لا تجبنى بهذا الأسلوب يا « توم » ... ماذا

كنت تفعل فى « البدروم » ؟

— لم أكن أفعل شيئاً يا سيدتى ...

وتوقعت أن تدعنى أمضى فى سبيلى كما عودتنـا ، ولكنـها  
لم تفعل ؛ فقد بدت على وجهها أمارات الخوف والفرع وقالت  
بلهجة حازمة قوية :

— اذهب الى غرفة الجلوس ... وأبق هناك ريثما أعود اليك

... ولن تفلت من يدى الا اذا رويت لى الحقيقة كاملة ! ..

وذهبت الى غرفة الجلوس .. ولشد ما كانت دهشتى حينما

ألفيتها مزدحمة بالناس .. رايت خمسة عشر فلاحا يحمل كل واحد منهم بندقية .. فغاص قلبى بين جنبى .. كانوا جميعا يتهايمسون .. وكانوا فرعين مضطربين ، ولكنهم كانوا يتظاهرون بأنهم ليسوا كذلك ! .. وتولانى فزع شديد ، وتمنيت أن تأتى « الخالة سالى » وتضربنى ان نساءت ثم تدعنى أذهب الى حيث يوجد « توم » لأحذره من نتائج مغامراته ، ولنطلق سراح « جيم » ونهرب قبل أن ينفذ صبر المتربصين فى غرفة الجلوس !!

وأخيرا جاءت « الخالة سالى » ، وراحت تظرنى وابلا من الأسئلة ، ولكنى لم أستطع أن أجيب على أسئلتها ! ... ومضت « الخالة سالى » تسألنى وأنا أنشف من قمة رأسى الى اخمص قدمى وقد تملكنى فزع عظيم .. وكانت حرارة الغرفة نشتد ، فبدأ الزبد يذوب ويسيل فوق عنقى وخلف أذنى وفوق جبهتى ! ورأت « الخالة سالى » قطرات الزبد ، فاصفر لونها وصاحت .

— بحق السماء ، ان هذا الغلام مصاب بجمى خفية ! ... ان مخه يسيل ! ...

كان الفلاحون المتجمعون فى الغرفة يريدون أن يتسللوا الى الكوخ ليقبضوا على العصابة المزعومة ... وكانوا قد تهيأوا لذلك بالفعل ... ولكنهم جمدوا فى أماكنهم عند ما صرخت « الخالة سالى » ... وسرعان ما التفوا حولى ليستطلعوا جلية الأمر . ومدت « الخالة سالى » يدها ونزعت قبعتى فسقطت قطعة الخبز وما تبقى فوقها من زبد ! ... وجذبتنى اليها وضمتنى الى صدرها وهى تقول :

— لقد أفرعتنى ! لشد ما أنا مسرورة ! ... لقد كنت أظن أن مخك يسيل ! ... لماذا لم تقل لى أنك ذهبت الى « البدروم » للحصول على قطعة من الخبز وبعض الزبد ؟ ... اذهب الى فراشك ولا تدعنى أشهد وجهك الا صباح الغد ! ...

وفى لمح البصر ، صعدت الى الطابق العلوى ، ثم تسلقت مانعة الصواعق الى الساحة ، واندفعت فى الظلام حتى بلغت الحظيرة . .  
ورحت أروى لصديقى « توم سوبر » كل ما حدث . . . وقلت له ان الوقت ضيق جدا وانه يحسن بنا ان نرحل قبل أن يدهمنا الرجال المسلحون . . .

فومضت عينا « توم » ثم قال :

— لا تخش شيئا . . .

فقلت له :

— اسرع يا « توم » .. اسرع يا « توم » . . . أين « جيم »

— الى جوارك مباشرة ! . . . انه مستعد . . . ولكن هلم بنا

نطلق المواء الذى تحدثنا عنه فى الخطاب ! !

وفجأة سمعنا وقع أقدام رجال مقبلين نحو الباب . . .

وسمعناهم يتحسسون موضع القفل . . . ثم سمعنا رجلا يقول :

— قلت لكم اننا سنسبقهم . . . فهاهم لم يحضروا بعد . . .

ان الباب لا يزال مغلقا بالفتاح . . . تعالوا بنا نختبئ لهم داخل

الكوخ . . . وليبق بعضنا خارج الكوخ فى انتظار العصاة ! ..

ودخلوا الكوخ . . . ولم يستطيعوا رؤيتنا بسبب الظلام . . .

فبادرنا بالتسلل الى الخارج عبر السرداب . . .

وتعثر « توم » فى أحد الأغصان عند السياج فتحطم الفصن

وأحدث صوتا مكتوما . . . وكنا فى تلك اللحظة قد هبطنا من فوق

السياج . . . وسمعنا رجلا يقول :

— من هناك ؟ . . . أجب والا أطلقنا النار !

ولم نجب . . . أطلقنا سيقاننا للريح . . . وفجأة دوى فى

الفضاء صوت ثلاث طلقات . . .

ثم سمعنا الرجال يقولون :

— لقد انطلقوا الى النهر . . . اتبعوهم . . . أطلقوا الكلاب ! ..

وانطلقوا فى اثرنا . . . وعند ما بلغنا المكان الذى توجد به  
« الطاحونة » اختبأنا بين الأعشاب الكثيفة . . . وأقبلت الكلاب  
فلم تعبأ بنا لأنها كانت تعرفنا . . . وعندما ابتعد الرجال المسلحون ،  
خرجنا من مخبئنا وأطلقنا سيقاننا للريح مرة أخرى . . . ورحنا  
نجرى حتى بلغنا المكان الذى أخفينا فيه القارب ، فاطلقناه ورحنا  
نقطع الماء حتى بلغنا الجزيرة التى أخفينا فيها « العائمة » . . .

وعند ما صعدنا الى العائمة قلت للزنجى « جيم » :

— ها قد أصبحت حراً مرة أخرى با « جيم » . . . لن نصبح  
عبداً رقيقاً بعد الآن ! . . .

فقال « نوم » :

— الحق اننى سعيد جداً . . لقد نفذنا الخطة على خير وجه . .  
وكنا جميعاً مسرورين . . وكان « توم » أكثرنا سعادة ، لأنه  
— كما قال — أصيب برصاصة فى « كعب » رجله !!  
وعند ما سمعت أنا و « جيم » ذلك ، تبدد سرورنا . . . فقد  
بدأ « توم » يتلوى من الألم ، وراح الدم يندفق من الجرح . .  
وكان لايد أن تكف عن التجديف لنعتنى بالصبي الجريح . . .  
فضممنا الجرح . . وحاول « توم » أن يحملنا على التجديف وتركه  
وتأنسه ، ولكننا رفضنا . . .

قال « جيم » :

— لقد أصيب « توم » بهذا الجرح بسببى . . . ولهذا لن أنتقل  
من هذا المكان قبل استدعاء طبيب يفحص « توم » . . . لن أبرح  
هذا المكان مهما حدث من أمر . . . حتى لو أدى الأمر الى سجنى  
أربعين عاماً !! . . .

لقد كان « جيم » زنجياً طيب القلب . . . فاطمأن قلبى وقلت  
له اننى ذاهب للبحث عن طبيب . . . فثار « توم » ، ولكننا

صممنا على ذلك . وحاول « توم » أن يطلق العائمة ولكننا لم ندع له فرصة !

وعند ما رأى « توم » استقل الزورق ، قال :  
— ما دمت مصمما على استدعاء طبيب ، فمن الخير لك عند ما تصل الى القرية أن تعصب عينى الطبيب ، وأن تضع فى يده كيسا مملوءا بالذهب وأن تقوده الى هنا فى الظلام حتى لا يعرف الطريق !! .  
مسكين « توم » . . . انه مفتون بالمغامرات ! . . . ووعدته بان أنفذ تعليماته ، تم انصرفت بعد أن اتفقنا على أن يختبئ « جيم » فى الغابات حتى لا يراه الطبيب ! ! . . .

## الفصل الحادى والدربور

### الطبيب - العم سيلاس - الخالة سالى قلقة

---

كان الطبيب كهلا لطيف المعشر طيب القلب ... استقبلنى بوجه بشوش ... ورحت أروى له القصة ، فقلت له اننى وأخى كنا نصطاد السمك فى احدى الجزر ، وعسكرنا فوق عائمة صغيرة عثرنا عليها هناك ... ورأى أخى أثناء نومه حلما مفزعا فارتعشت أوصاله ، واصطدمت ساقه بالبندقية وهو نائم فانطلقت وأصابته الرصاصة « كعب » قدمه ! ... ثم طابت اليه الذهاب الى العائمة ، وان يلوذ بالصمت حتى لا يعرف « الجميع » ما حدث !!  
فقال الطبيب :

- ومن هم هؤلاء « الجميع » ؟
- أسرة « فيلبس » .
- كيف أصيب القلام ؟
- قلت لك كان يحلم .. وانطلقت البندقية ، فأصابته ...
- ياله من حلم غريب !
- وأعد الطبيب حقيبتته وتبعنى ... وما أن رأى الزورق حتى تولاه الخوف ... كان الزورق صغيرا لا يتسع الا لشخص واحد .



فقلت له :

— لا تخشى شيئاً بأسبدي .. ان الزورق ... واحد ...  
لاكثر من شخص واحد ... لقد انسج لثلاثتنا ...

— ثلاثكم ؟ !

— نعم أنا و « سيدنى » اذى ... و ... و البديلة ! ...  
هذا ما أعنيه .

— آه ! ...

وأخذ يهز الزورق بقدمه ثم قال انه يفضل الحرس على زورق  
آخر ... وكانت الزوارق كلها منسدودة بالسلاسل فلم يستطيع  
ان نكف واحدا منها ... وعندئذ قال الطبيب :

— هات هذا الزورق ... ساذهب الى الغلام الجريح ...  
... لا تبرح هذا المكان يا غلام ! ...

واستقل الزورق ومضى به الى حيث اثمرت له بديتى ! ...

وغلبنى النوم ، فسمت ... وحينما استيقظت من النوم نالت  
الشمس قد توسطت كبد السماء ، فأسرعت الى نزل الطبيب .  
ولكن خادمه قال لى انه خرج ليلا ولم يعد بعد ... ولا يأتى  
الخوف ...

ومضيت فى طريقى الى النهر ، ولكننى ما كنت انسى في احد  
المنعطفات حتى اصطدمت بالعم « سيلاس » ...

قال لى « العم سيلاس » :

— أهذا أنت يا « توم » ؟ ... أين كنت طوال هذا الوقت انهما  
الغلام الشرير ؟

— كنت أبحث عن الزنجى الهارب ... أنا و « سيدنى » ...

— والى أين ذهبتما ؟ ان خالتكما تنتظركما فى قلق !

— ولماذا تقلق ؟ اننا بخير ... لقد فقونا اى الرجال والكلاب .  
ولكننا لم نستطع اللحاق بهم ... واعتقدنا انهم توجهوا الى

النهر ، فحصلنا على قارب للحاق بهم ... وعبرنا النهر ولكننا لم نعر لهم على أثر ... ومن ثم ، رحنا نستكشف النهر حتى انتابنا الاعياء ، فربطنا القارب وغنا ولم نستيقظ الا منذ حوالى ساعة ! ... فجئنا الى هنا بالقارب ... ثم ذهب « سيدنى » الى مكتب البريد ليجث عن رسائل ! ! ...

وذهبنا الى مكتب البريد ولكننا لم نجد « سيدنى » لانه لم يكن هناك ! .. ولكننا وجدنا رسالة للعم « سيلاس » ؛ فضاها وفراها ثم قال :

— تعال بنا نذهب الى المنزل ... فسيعود « سيدنى » بعد ان يفرغ من عيشه ! ..

وعند ما عدنا الى المنزل ، وجدنا « الحالة سالى » مضطربة جدا ... كانت تضحك وتبكي فى آن واحد ! ... احتضنتنى بحنان ثم ضربتنى برفق ... وقالت انها سوف تؤدب « سيدنى » عند ما يعود ! !

وكان المنزل مزدحما بالفلاحين وزوجاتهم ... وكانوا يثرثرون بلا انقطاع ... كانوا جميعا يتحدثون عن الزنجى الهارب ، والبارات المنقوشة على حجر الطاحون ، ويقولون أن الزنجى مجنون ! ! ... وتحدثوا عن السلم المصنوع من الحبال والمنشار والجردان وكل ما وجدوه فى الكوخ ... ثم تحدثوا عن القمص المسروق وغطاء الفراش والنموع والنمعدان والمقالة القديمة .. كانوا فزعين خائفين ...

ومر الوقت سريعا ، وأقبل الليل ، فقالت « الحالة سالى » :  
— يا الهى ... لقد أوشك الليل على الانصرام ، ولم يصد سيدنى ... ترى ماذا حدث له ؟ !  
فقلت لها :

— أستطيع ان أذهب الى المدينة لأعود به !

— لا ... لن تفعل ذلك ... ستبقى حيث أنت ... إذا لم يعد « سيدنى » قبل حلول موعد العشاء ، سيذهب « سيلاس » للبحث عنه ! ...

وحل موعد العشاء ... وذهب « العم سيلاس » الى المدينة ليبحث عن « توم » ... ثم عاد بعد ذلك كسيف البال ... وراح يهدىء من نائرة « الخالة سالى » قائلا لها ان « سيدنى » غلام عابث وانه لابد سيعود مع الصباح ...



وعند ما صعدت الى غرفة النوم ، صعدت « الخالة سالى » معى وراحت تحدثنى وتتودد الى ... تم امتدحت « سيدنى » وأطرته ... وراحت تسألنى عما حدث . وقالت انها تخشى أن يكون قد أصابه مكروه ... ثم انهمرت الدموع من عينيها .. وقلت لها ان « سيدنى » بخير وانه سيعود فى الصباح بدون شك ...

وأخيرا قبلتنى وتركتنى أنام !  
ونمت نوما متقطعا ... وحاولت التسلل الى الخارج ثلاث مرات ولكننى كنت أعود كلما رأيت « الخالة سالى » جالسة امام غرفة نومها والدموع تنحدر فوق خديها ...

## الفصل الثالى والأربعون

« توم سوير » جريج - قصة الطبيب  
- صنيع طبيب الجيم - « توم »  
يعترف - وصول « الخالة سالى »

---

ذهب « العم سيلاس » مرة ثانية الى المدينة قبل تناول طعام الافطار ، ولكنه لم يعثر على « توم » فعاد الى المنزل . وجلس الزوجان الى المائدة وقد استغرفا فى التفكير . . . وبعد فترة قصيرة من الوقت قال العم سيلاس للخالة « سالى » :

- هل أعطيتك الرسالة التى تلقيتها ؟

- أية رسالة تعنى ؟

- الرسالة التى تسلمتها أمس من مكتب البريد .

- لا . . .

- لايد أننى نسيت .

وبحث الرجل فى جيوبه عن الرسالة ولكنه لم يجدها ، وذهب الى حيث وضعها ، ثم عاد ، وقدمها لزوجته وهو يقول :

- انها من « سانت بينرسيورج » . . . من أختك !

وأمسكت « الخالة سالى » بالرسالة ؛ ولكن الرسالة سقطت منها على الارض قبل أن تفض غلافها . . . سقطت الرسالة لأن يد « الخالة سالى » تراخت وارتعشت . . . فقد رأت - كما رأت انا - « توم سوير » محمولا على « نقالة » ، ومن ورائه الطبيب الكهل ، والرنجى الهارب « جيم » مسندودا الى الأغلال والقيود ، وجمهرة من الناس ! . . .

وبادرت بالتقاط الرسالة ، والتسلل الى الخارج ! ... اما  
« الخالة سالى » ، فقد ألقت بنفسها فوق « توم » وهى تصرخ  
قائلة :

— أواه ... لقد مات ... نعم مات ... لقد كنت أعرف  
أنه مات ! ..

ولكن « توم » لم يلبث أن استدار نحوها وراح يتمتم بطريقة  
توحى بأنه يهذى ، فرفعت « الخالة سالى » يديها نحو السماء  
وهتفت :

— الحمد لله ... انه ما زال حيا ... الحمد لله ...  
ثم انحنت فوقه وطبعت قبلة على شفتيه ... وهرولت الى  
المنزل لتعد له فراشا وثيرا .

وسرت وراء الرجال لأرى ما سيفعلون بالزنجى المسكين  
« جيم » ... وكان بعض الرجال ثائرين ، فحاولوا الاعتداء على  
« جيم » وسنقه ليكون عبرة لغيره من الزوج ، ولكن البعض الآخر  
نهبهم عن ذلك قائلا لهم ان « جيم » ليس أحد زنوجهم وأن  
صاحبه سيأتى يوما من الأيام لاستعادته ! وهكذا هدأت العاصفة  
... فأولئك الذين بتحمسون لشئ أحد الزوج هم دائما أول  
الأشخاص الذين يتراجعون عند ما يطلب اليهم دفع ثمن الزنجى !  
ولكن « جيم » لم يسلم من الأذى ... فقد ضربوه وركلوه  
وقادوه الى الكوخ ، وشدوا وثاقه ، وقيدوا رجليه وقدميه ،  
وأقسموا ألا يتناول من الطعام الا الخبز والماء القراح ، وقرروا أن  
يظل سجينا حتى يأتى صاحبه لاستلامه أو يباع بالمزاد ! ...  
وبعد فترة قصيرة من الوقت أقبل الطبيب وألقى نظرة على  
الكوخ والزنجى السجين .. ثم قال :

— لا تقسوا على هذا الزنجى .. انه زنجى طيب .. فعندما  
ذهبت الى العائمة لرؤية الصبى الجريح ، كان هذا الصبى نائرا ..

لقد تهددنى بالقتل اذا انا حاولت أن أفعل شيئاً !.. وكان لابد أن يساعدنى أحد ، فظهر هذا الزنجى فجأة وراح يساعدنى !.. ساعدنى كثيراً .. وكنت أعرف انه الزنجى الهارب فاضطرت الى قضاء الليلة فوق العائمة حتى لا يهرب .. وألحق أن هذا الزنجى طيب ومخلص .. لقد أبى أن يهرب وصمم على ملازمنى لمساعدة الصبى الجريح .. انه زنجى أمين أبها السادة .. انه يساوى ألف دولار .. فلولاه لما تحسنت حالة الصبى الجريح .. أيها السادة لا تقسوا عليه !

وأحببت هذا الطبيب لما أداه من صنيع جميل للزنجى « جيم » .. وفرحت لأن « جيم » برهن على وفائه واختلاصه . وسرعان ما بدأ الرجال الشائرون يعطفون على « جيم » ، فوعدوا الطبيب بالأى يقسوا عليه .

وعاد الجميع الى المنزل ، فعدت معهم . وبدأت أفكر فى قصة أروبوها للخالة سالى اذا سألتنى ولماذا أخفيت عنها ما حدث لتوم .. ولكن « العمه سالى » لم تسألنى لأنها كانت تقضى كل وقتها مع « توم » فى حجراته !..

\*\*\*

وفى صباح اليوم التالى ، سمعت أن صحة « توم » تحسنت ، وأن « الخالة سالى » تركت غرفته لشئال قسطاً من الراحة والنوم ، فتسللت الى حجرة « توم » ، وأنا أزمع أن اتفق معه على قصة نروبها لتبرر بهما ما حدث .. ولكن « توم » كان مستغرقاً فى النوم . فجلست قبالة أثرتب استيقاظه .. وبعد حوالى نصف ساعة أقبلت « الخالة سالى » وجلست الى جوارى وهمست فى أذنى قائلة :

« فلنبتهل الى الله أن يشفيه .. الحمد لله .. انه مستغرق فى النوم .. لقد بدأ يشفى .. أدعو الله أن يسترد قواه العقلية ، فقد قال الطبيب انه كان يهدى !

وظللنا نرقب « توم » وهو نائم . . . ونسعد « توم » من الوقت  
تحرك « توم » وفتح عينيه وقال :

— أين أنا ؟ . . لماذا أنا هنا لا أين العالم ؟  
فقلت له :

— لا تخش شيئا . . ان كل شيء على ما يرام !  
— و « جيم » ؟

— و « جيم » أيضا بخير !

— اذن نحن بخير . . هل أخبرت خالتى ؟

وكدت اقول نعم لولا ان « الخالة سالى » فادلسه « الخالة » :  
— يخبرنى عن ماذا ؟

فقال « توم » :

— عن الطريقة التى تم بها كل شيء .  
فقلت « الخالة سالى » :

— وما هو « كل شيء » هذا ؟

— كل شيء . . كل شيء عن الخطة التى دبرناها امرار « جيم » . .  
الخطة التى دبرتها انا و « توم » !

— يا الهى . . عم يتحدث هذا الغلام ؟ هل فقد عقله مرة ثانية ؟

— لا . . لم افقد عقلى يا خالتى . . لقد اطلقنا سراح « جيم » . .

انا و « توم » . . نعم نفذنا الخطة التى وضعناها . . اقلناها بسجل  
رائع . . .

وانطلق « توم » يتحدث . . اعترف بكل شيء . . قال لها :

— لقد وضعنا خطة استغرق تنفيذها عدة اسابيع . . لنا

نقضى ساعات وساعات فى العمل وانتم نيام . . سرقتنا السموع

وغطاء الفراش والقميص والملاعق والأطباق والمقلاة والدقيق . .

ونقلنا حجر الطاحونة الى الكوخ ! . . كذلك كتبنا الخطابات المجهولة

ورسمنا صورة الجمجمة والتابوت . . وحفرنا سردابا وبنينا

سلما من الحبال بعتنا به الى « جيم » داخل « فطيرة » :

فصرخت « الخالة سالى » قائلة :

— يا اله السموات !..

ثم مضى « توم » يقول :

— نعم .. كانت مغامرة مثيرة .. ملأنا الكوخ بالجردان ..

وعند ضيقت « توم » فى « البدروم » بعد أن سرق الزبد ، كادت

الخطئة تفشل .. وذهب الرجال الى الكوخ قبل أن نخرج نحن ..

فهربنا .. وراح الرجال يطاردوننا وأطلق أحدهم بندقيته

فأصابتنى رصاصة .. ولكننا استطعنا أن نصل الى العائمة ..

وهكذا أصبح «جيم» حرا!.. نحن الذين فعلنا هذا كله ياخالتي!

فقالت « الخالة سالى » :

— الحق انها مغامرة مثيرة ! .. اذن ، فأنتما اللذان أثرتما كل

هذه المتاعب وأدخلتما الفرع فى قلوبنا جميعا ...

— نعم يا خالتي .. فعلنا هذا كله لا لكى ندخل الفرع فى قلوبكم

ولكن حبا فى المغامرة .. ولكم أنا آسف لازعاجكم .

فقالت « الخالة سالى » :

— لقد اغتفرت لكما كل شيء .. ولكن حذار من التدخل مرة

أخرى فى شئوننا !

فقال « توم » :

— فى شئون من يا خالتي ؟

— فى شئون « جيم » الزنجيم الهارب .

فاصفر لون وجه « توم » وبدت عليه أمارات القلق وقال :

— شئون « جيم » !..

فقالت « الخالة سالى » :

— نعم .. فى شئون « جيم » !

فرمقنى « توم » بنظرة قوية وقال :

— ألم تقل لى يا « توم » أن « جيم » بخير ؟.. ألم يهرب ؟



فقالت له « الحالة سالى » :

— لا .. لم يهرب .. لقد قبضوا عليه وسجنوه فى الكوخ !  
وهو الآن مشدود الى أغلاله وقيوده .. ولا يتناول من الطعام  
الا الخبز الجاف والماء القراح ..

انتصب « توم » وقد انتفخت أوداجه وصاح فى غضب :  
— لماذا يسجنونه ؟ .. اطلقوا سراحه .. انه ليس عبدا رقيقا  
.. انه انسان حر .. نعم انه انسان حر كأى انسان آخر !  
فقالت « الحالة سالى » :

— ماذا يعنى هذا الغلام ؟

فقال لها « توم » :

— أئنى كل كلمة قلتها .. اطلقوا سراحه والا ذهبت لاطلاق  
سراحه .. اننى أعرفه .. و « توم » يعرفه أيضا .. انه  
صديقنا .. لقد ماتت « الأنسة واطسون » التى تملكه منذ  
شهرين .. ماتت وهى تشعر بالندم والحجل لأنها أرادت أن تبيعه  
لأحد تجار الرقيق قبل هروبه بأيام قلائل ! .. نعم ماتت وهى  
تشعر بالندم ، وسجلت فى وصيتها أنها أعتقته ! !  
فقالت له « الحالة سالى » :

— ولماذا قمت بتلك المغامرة المثيرة لاطلاق سراحه ما دمت  
تعرف أن سيده أعتقته ؟

— فعلت ذلك حبا فى المغامرة ! ..

ثم كف عن الكلام ، ولم يلبث أن صرخ :

— يا الهى .. ها هى خالتى « بولى » !

ووثبت « الحالة سالى » لاستقبال أختها « الحالة بولى » .  
أقصد خالة توم ! .. أما أنا ، فقد تسلمت تحت الفراش ، فقد  
كان الموقف حرجا ..

وتعانقت الأختان ، ثم تطلعت « الحالة بولى » الى توم من وراء  
عويناتها ، وقالت له :

— لماذا تدير وجهك هكذا يا « توم » ؟ لابد أنك تشعر بالحجل !  
فقالت « الخالة سالى » :

— يا الهى .. هل تغيرت هيئة الصبى الى هذا الحد ؟ انه ليس  
« توم » يا أختاه .. انه « سيدنى » .. أما « توم » .. توم ..  
أين أنت يا « توم » ؟ لقد كان هنا منذ لحظة !  
فقالت « الخالة بولى » :

— تقصدين « هاكلبرى فن » يا أختاه !.. ان « سيدنى »  
لم يأت الى هنا !.. اخرج من تحت الفراش يا « هاكلبرى فن » !!..  
فخرجت من تحت الفراش مطأطء الرأس !..  
وبدت أمارات الدهشة والحيرة على وجه « الخالة سالى » ..  
ثم دخل « العم سيلاس » .. وراحت الخالة بولى .. خالة  
« توم » تروى لهم كل شيء !..

قالت لهم انها حين تلقت الرسالة التى قتلت لها فيها أختها  
« سالى » ان « توم » و « سيدنى » وصلا سالمين ، أيقنت أن فى  
الأمر شيئاً لأن « سيدنى » لم يأت الى هنا !.. ثم روت كيف  
أن « الأنسة واطسون » مانت وسجلت فى وصيتها انها اعتقت  
الزنجى « جيم » .. ثم قالت لأختها سالى :

— لقد بعثت اليك برسالة أسألك فيها عما تقصدينه بقولك أن  
« سيدنى » جاء مع « توم » !!.. فلماذا لم تردى على رسالتى ؟  
— لم ألق منك أية رسالة يا أختاه !..

فاستدارت « الخالة بولى » نحو « توم » وقالت له :  
— هل أنت الذى ...

فقال « توم » :

— نعم ... انهما فى حقيبتى يا خالتى !..  
— يا لك من صبى « شقى » !.. ولولا أننى أعرف مدى  
شغفك بالمغامرات ، لسلخت جلدك !..

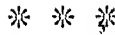
## الخاتمة

« جيم » يتحرر - ٤٠ دولارا للزنجى  
ثمنا للسجن - المخلص « هاكلىرى فن » !

---

عندما خرج الجميع سألت « توم » :  
- فيم كانت كل هذه المغامرة . ما دمت تعلم ان « الانسة  
واطسون » اعتقت « جيم » ؟  
فقال « توم » :

- كنت ابحت عن مغامرة ! . . وكنت ازمع ان ادضى الى « جيم »  
بالحقيقة بعد ان تنطلق بنا العائمة ! . . وكنت اهدف من وراء هذه  
المغامرة الى تكريم « جيم » . . فلو اننا افلحنا فى تنفيذ خطتنا .  
لأرسلت الى الزنوج فى مدينتنا خطابا اروى لهم فيه القداسة .  
واطلب اليهم ان يخفوا الى استقبال « جيم » . . لبتنا نجعلنا فى  
تنفيذ خطتنا . . فقد كان ذلك خليقا بان يجعل منا بطلين ومن  
« جيم » بطلا ثالثا !! . . وعلى كل حال ، فان نهابة القداسة لا تقل  
روعة عما كنت اتخيل !



ودهبنا الى الكوخ ، واطلقنا سراح « جيم » . . وعدنا به الى

المنزل . وكانت « الخالة بولى » قد علمت بالمساعدة التى قدمها « جيم » للطبيب الذى عالج « توم » فشكرته .. وفدمت الأسرة له طعاما شهيا ، وأكرموا وفادته .. ونفحه « توم » أربعين دولارا مكافأة له على ارتضائه التضحية بحريته من أجل انقاذه من الجرح الذى أصابه ؛ فقال لى « جيم » :

— هل تتذكر ما قلته لك يا « هالك » عندما كنا فى جزيرة جاكسون ؟ .. ألم أقل لك ان صدرى غزير النعر ، وان ذلك يدل على اننى سأصبح ثريا فى يوم من الأيام ؟ .. لقد كنت أعلم أننى سأصبح ثريا .. وها قد هبط على النراء !!  
وتحدث « توم » فقال لنا :

— هلموا بنا نغادر هذه المزرعة .. لنقضى أسبوعين فى بلاد الهنود الحمر ! ..  
فقلت له :

— وكيف ؟

فقال « توم » :

— نستترى ملابس جديدة تشبه ملابس الهنود الحمر .. ونذهب الى بلاد الهنود الحمر لنقضى هناك أسبوعين !  
— ولكننى لا أملك من المال ما اشتري به ملابس تشبه ملابس الهنود الحمر .. ولست أعنقد أن أبى قد ترك لى شيئا من ثرونى التى كان يحتفظ بها القاضى « ناتشر » !  
فقال « توم » :

— ان أباك لم يعد الى المدينة منذ اختفائه .. ولا تزال تروتك .. اقصد الستة آلاف دولار فى انتظارك ..

وقال « جيم » الزنجى بلهجة حاسمة :

— نعم .. لم يعد أبوك الى المدينة .. ولن يعود اليها على الإطلاق !!

— ولماذا يا « جيم » ؟ .. لماذا أنت متأكد هكذا ؟  
فقال لى :

— هل تتذكر ذلك المنزل العائم الذى كان به رجل مقتول ؟ ..  
هل تتذكر أننى دخلت الغرفة التى كان القتييل ملقى فيها على  
الأرض ، وغطيت وجهه بغطاء الفراش ؟ .. هل تتذكر أننى لم  
أسمح لك بدخول الغرفة ؟ .. ان هذا القتييل لم يكن سوى أبيك  
.. ان ثروتك لا تزال فى انتظارك !! ..

وأخبرا استرد « توم » صحته .. وربط « الرصاصه » التى  
أخرجها الطبيب من « كعب » قدمه فى سلسلة الساعة التى كان  
يلفها حول عنقه .. وكان يرى « الرصاصه » كلما أخرج الساعة  
.. وأننى لسعيد لأن مغامرتنا انتهت نهاية حسنة .. ونحن  
جميعا نأمل أن يغفر لنا ذنوبنا ما بدر منا ..

والآن لا يوجد ما يستحق أن أكتب عنه .. ولو أننى كنت  
أعلم ما فى كتابة القصص من عناء ومشقة لما أقدمت على تأليف  
هذه القصة .. وأعدكم بالألا أكتب قصة أخرى .. والسلام .  
المخلص

(( هاكلىبرى فن ))

تمت القصة

أول يونيو ١٩٥٨

# صدر من كتاب العلوم الإنسانية

## في مجموعة الألف كتاب

( اجتماع . اقتصاد . تربية . علم نفس . تاريخ وتراجم . جغرافيا )  
( رحلات . دين . سياسة . فلسفة . قانون . معارف عامة )

- |                                      |                           |
|--------------------------------------|---------------------------|
| ( ١ ) حضارة الإسلام                  | تأليف جوستاف جرونياوم     |
| ( ٢ ) اتجاهات الفلسفة المعاصرة       | » إميل ترهيه              |
| ( ٣ ) البوليس والكشف عن الجريمة      | » ريجنالد موريش           |
| اليوم .                              |                           |
| ( ٤ ) سكوتلنديارد                    | » سير هارولد سكوت         |
| ( ٥ ) فلسفة الخير                    | » لويس دكنسن              |
| ( ٦ ) حركات الشباب الاجتماعية        | » الصاغ الدكتور محمد فتحي |
| ( ٧ ) بلاد ما بين النهرين            | » ل . ديلا بورت           |
| ( ٨ ) بسمرق                          | » إميل لدفيج              |
| ( ٩ ) آثار حضارة الفراعنة            | » الأستاذ محرم كمال       |
| ( ١٠ ) الحياة الناجحة                | » أوستاس تشسر             |
| ( ١١ ) كيف تقرأ الجريمة              | » إدجار ديل               |
| ( ١٢ ) الحياة اليومية في مصر القديمة | » ألن شورتر               |
| ( ١٣ ) الديانات في إفريقيا           | » ه . دبشان               |
| ( ١٤ ) الطفل من الخامسة إلى العاشرة  | » أرنولد جزل              |
| ( ١٥ ) علم نفس الاقتصاد              | » إيفيلين توماس           |

(١٦) تاريخ العالم من :

١٩١٤ — ١٩٥٠

تأليف دافيد تومسون

» برتراند رسل

» فرويد

» بوجان فاييه

» جورج كاستلان

» بازيل دافيدس

» جورج فيل

» الأمير الاى محمد

» عبد الفتاح إبراهيم

» ت. س. أشن

» ي. هيل

» السير ليونارد دوىلى

» جيمس فيرجيف

» الدكتور نقولا زيادة

» ويهام تامبير

» أندريه جوسان

» إيفان هنتر

» برستيد

» فيليس دين

» اسكندرهارووبرتراند رسل

» اميل بوافان

» الدكتور صلاح العقاد

» موريس جنزبرج

(١٧) نحو مجتمع أفضل

(١٨) الأحلام والجنس

(١٩) تاريخ طابع البريد

(٢٠) تاريخ الجيوش

(٢١) صحوة أفريقيا

(٢٢) الجريدة

(٢٣) الحرب بين الماضى والحاضر

(٢٤) الانقلاب الصناعى فى انجلترا

(٢٥) الحضارة العربية

(٢٦) مدخل إلى علم الآثار

(٢٧) الجغرافيا والسادة العالمية

(٢٨) الرحالة العرب

(٢٩) تاريخ العلم وصلته بالفلسفة

(٣٠) طبقات المجتمع

(٣١) بذور الشر

(٣٢) فجر الضمير

(٣٣) قصة التجارة الدولية

(٣٤) السلام العالمى فى العصر الذرى

(٣٥) تاريخ الصحافة

(٣٦) الاستعمار فى الخليج الفارسى

(٣٧) علم الاجتماع

تأليف ب . ديوانيه	الصحافة في العالم
» لورد بيتر بروك	النجاح
» برتراند رسل	سبل الحرية
» { الدكتور أحمد البطراوي	الجنس البشري في معرض الأحياء
» جاك دوه دونيه دي فابر	الدولة
» جون والتن	مئة من علماء الطبيعة
» ماريان شيفل	الطفل الموهوب
من مؤلفات اليونسكو	ما هو الجنس ؟
تأليف رومر جدين	هانز كريستيان أندرسون
	حياة لويس باستور
	هاكليري فن



# مطبوعات مكتبة مصر

## في مشروع الألف كتاب

تأليف جوستاف جرونيباوم	حضارة الإسلام
» الأستاذ قدرى طوقان	العلوم عند العرب
» ه. ج. فارمر	تاريخ الموسيقى العربية
{ دكتور إسماعيل هزاع ، دكتور رزق نخلة سدره	الرادار في السلم
{ » م. أ. استغفسن ، شارل استيوارت	استخفاء الحيوان
المجمع المصري للثقافة العلمية	النزرة في خدمة السلام
تأليف جون درو	الإنسان والليكروب والمرض
{ هدى جبهة ، نادية أبو الجهد ، جهاء فهمي	مختارات من المسرحيات القصيرة
تأليف جوستاف لوفيفر	روايات وقصص مصرية من العصر الفرعوني
» ل. س. دن ، ث. دوبزها لسي	الوراثة والسلالة والمجتمع
» خسننو بنغنق	دنيا المصالح
» جيمس هنرى برستل	جفر الضمير
{ » هنرى . و . سيمون ، إبراهيم فينوس	أشهر الأوبرات
{ » دكتور محمد صفى الدين دكتور جمال الدين الدناصورى والأستاذ محمد صبحى عبد الحليم والأستاذ أبو بكر على عبد العاطى	دراسات في جغرافية مصر

## تصويب

ص	س	خطأ	صواب
في بعض الصفحات الأولى		هاكلبرى	هاكلبرى
٢٢	١٧	أحمقا	أحمق
٢٧	٩	قصر	قصرأ
٨٦	١	ادخل	ادخلى
٨٨	١٢	بناها	بنبها
٩٤	١٩	تغطية خطأك	خطئك
١٣٣	١	جد آسنان	جد آسفين

